جوامع الجامع

جوامع الجامع

تأليف

أمين الإسلام أبي علي
الفضل بن الحسن الطبرسي
ت ٥٤٨ هـ

تحقيق

جواد السيد كاظم الحكيم

الجزء الرابع

سورة الفاتحة - سورة النساء

راجعه واعتنى بنشره

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
WWW.MK.IQ
E.mail: media@mk.iq
الموبايل: ٠٠٩٦٤٧٧١١١٧٣١٠٨

الطبرسي، الفضل بن الحسن بن الفضل، 468-548 هجري
جوامع الجامع / تأليف امين الإسلام ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ؛ تحقيق جواد السيد كاظم الحكيم.- الطبعة الأولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، ١٤٣٩ هـ. = ٢٠١٧.
٦ مجلد : صور طبق الاصل ؛ ٢٤ سم
يتضمن نبذة مختصرة عن حياة المؤلف.
يتضمن مصادر وكشافات.
١. القرآن--تفاسير الشيعة--القرن ٦ هـ. الف. الحكيم، جواد كاظم--محقق. ب. العنوان.
BP130.4 .T33 2017
مركز الفهرسة ونظم المعلومات

الكتاب: جوامع الجامع
تأليف: أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي
تحقيق: جواد السيد كاظم الحكيم
راجعه واعتنى بنشره: قسم شؤون المعارف الاسلامية والانسانية
الطبعة: الأولى
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع
سنة الطبع: ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٣٢١) لعام ٢٠١٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحج

مكية، وقيل: مدنية غير ست آيات، وآياتها ثمانية وسبعون آية كوفي، خمس بصري، عدّ الكوفي: ﴿الْحَمِيمُ﴾، ﴿الْجُلُودُ﴾، ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة الحجّ) أُعطي من الأجر كحجّة حجّها، وعمرة اعتمرها بعدد من حجّ واعتمر))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها في كل ثلاثة أيّام لم تخرج سنته حتى يخرج إلى بيت الله الحرام))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ
عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ
سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ
﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ
وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي

(١) الكشف والبيان ج٧: ٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٨.

رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ
مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ
وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ
بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

الزلزلة والزلزال: شدّة التحريك والإزعاج، وأن يضاعف زليل الأشياء عن مراكزها ومقارها، وهي مضافة إلى الفاعل على تقدير: أنّ الساعة تزلزل الأشياء، أو إلى تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف وإجرائه مجرى المفعول به، كقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[١].

علل سبحانه وجوب التقوى على الناس بذكر ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ ووصفها بأهول صفة ليتصوروها بعقولهم ويتزودوا لها. وروي: أنّ هاتين الآيتين نزلتا ليلاً في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله ﷺ ولم ير أكثر باكياً من تلك الليلة، ولما أصبحوا لم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدراً، وكانوا بين باك ومفكر[٢].

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بـ﴿تَذْهَلُ﴾ والضمير للزلزلة، والذهول: الذهاب عن الأمر بدهشة. والمرضعة: هي التي ألقمت ثديها الصبي، والمرضع ـ بغير هاء ـ التي من شأنها أن ترضع. والمعنى: إنّ هول تلك الزلزلة إذا فاجأها وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه، لما يلحقها من الدهشة.

---

(١) سبأ: ٣٣.

(٢) الكشف والبيان ج٧: ٦.

﴿عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾ عن إرضاعها، أو عن الذي أرضعته، وعن الحسن: (تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام)[١].

وقرئ: سكرى وبسكرى فهو نظير عطشى من عطشان، ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ و﴿بِسُكَٰرَىٰ﴾ نحو كسالى، والمعنى: وتراهم سكارى على التشبيه لما هم فيه من شدّة الفزع، وما هم بسكارى من الشراب ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ أذهب عقولهم خوف ﴿عَذَابَ ٱللَّهِ﴾.

والمجادل ﴿فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ قيل: هو النضر بن الحارث[٢] وكان ينكر البعث ويقول: القرآن أساطير الأوّلين، والملائكة بنات الله، وقيل: هي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وفيما لا يجوز من الصفات والأفعال، ولا يرجع إلى علم ولا برهان.

﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في ذلك ﴿كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ عات متجرد للفساد، يغويه عن الهدى ويدعوه إلى الضلال.

وعلم من حاله أنّ من جعله ولياً له، فإنّ ثمرة ولايته الإضلال عن طريق الجنّة والهداية إلى النار.

وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ﴾ تمثيل، والهاء للشيطان، أي: كأنّما كتب إضلال من يتولاه عليه، لظهور ذلك في حاله. وقرئ: ﴿أَنَّهُۥ ، فَأَنَّهُۥ﴾ بالفتح والكسر، فأما الفتح فلأنّ الأوّل فاعل ﴿كُتِبَ﴾ والثاني عطف عليه، والأولى أن يكون الفاء وما بعده في موضع جواب الشرط إن جعلت ﴿مَن﴾ شرطاً، وفي موضع خبر المبتدأ إن جعلت ﴿مَن﴾ بمعنى (الذي) لكونه موصلاً بالفعل، والجملة في موضع خبر

---

(١) تفسير الطبري ج١٧: ٨٨.

(٢) عن ابن جريج وغيره. الدر المنثور ج٤: ٣٤٤.

(أنّ) الأولى. وأما الكسر فعلى حكاية المكتوب كما هو، أي: كأنّما كتب عليه هذا الكلام، كما تقول: كتبت إنّ الله على كل شيء قدير، أو على تقدير (قيل)، أو على أنّ كتب فيه معنى القول.

المعنى: ﴿إِن﴾ ارتبتم في ﴿ٱلْبَعْثِ﴾ فالذي يزيل ريبكم أن تنظروا في مبدأ خلقكم. والعلقة: القطعة الجامدة من الدم، والمضغة: اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ، والمخلّقة: المسواة الملساء من العيب والنقص، يقال: خلّق السواك إذا سوّاه وملّسه، كأنّه سبحانه يخلق بعض المضغ كاملاً أملس من العيوب وبعضها على عكسه، فيتفاوت لذلك الناس في خلقهم وصورهم وتمامهم ونقصهم.

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا، وأنّ من قدر على خلق البشر من تراب أوّلاً ثمّ من نطفة ثانياً، وقدر على أن يجعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاماً، قدر على إعادة ما أبدأه.

﴿وَنُقِرُّ﴾ أي: ونبقي ﴿فِي﴾ أرحام الأمهات ﴿مَا نَشَآءُ﴾ أن نقرّه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقت الوضع، وما لم نشأ إقراره أسقطته الأرحام.

ووحّد قوله: ﴿طِفْلًا﴾ لأنّ الغرض الدلالة على الجنس، أو أراد ثمّ نخرج كل واحد منكم طفلاً.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ وهو حال اجتماع العقل وتمام الخلق والقوة والتمييز، وهو من ألفاظ الجموع التي لم يأت لها واحد، كأنّها شدّة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع.

و﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الأولى في وقت الطفولية.

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ أي: ليصير نسّاء، بحيث لو كسب علماً في شيء زال عنه من ساعته، فلا يستفيد علماً وينسى ما كان علمه.

والهامدة: الميتة اليابسة، وهذه دلالة أخرى على البعث، ولكونها معاينة ظاهرة كررها الله في كتابه.

﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾ تحركت بالنبات، وانتفخت لظهور نمائها ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ﴾ جنس مؤنق حسن الصورة سار للناظر إليه.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦
وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ
٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ
بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠

أي: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرنا من تصريف الخلق وإحياء الأرض وما فيهما من البدائع والحكم حاصل بسبب ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: الثابت الموجود، وأنّه قادر على إحياء ﴿ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ وعلى كل مقدور، وهو حكيم لا يخلف الميعاد، وقد وعد البعث فلابد أن يفي بوعده.

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ ضروري ﴿وَلَا هُدٗى﴾ أي: استدلال ونظر يهدي إلى المعرفة ﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ وهو الوحي.

﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ أي: متكبراً في نفسه، فإنّ ثني العطف عبارة عن الخيلاء والكبر كتصعير الخد.

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لما كان جداله مؤدياً إلى الضلال جعل كأنّه الغرض في الضلال.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ
أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا
يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ
مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ
كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ
يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾

﴿عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ أي: على طرف في الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على هنيّة وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحس بظفر وغنيمة اطمأن وقرّ، وإلا انهزم وفرّ.

وقرئ: خاسر الدنيا والآخرة، وهو منصوب على الحال.

و﴿ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ مستعار من ضلال من أبعد في التيه، فبعدت مسافة ضلاله.

سفّه الله سبحانه هذا الكافر بأنّه يعبد جماداً لا يملك ضرّاً ولا نفعاً، وهو يعتقد أنّه يستنفع به حين يستشفع به، ثمّ قال: يقول هذا الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى دخوله النار بعبادة الأصنام، ولا يرى أثر الشفاعة التي أمّلها منها ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾، أو كرر ﴿يَدۡعُواْ﴾ كأنّه قال: يدعو يدعو من دون الله مالا يضرّه ومالا ينفعه، ثمّ قال: لمن ضرّه بكونه معبوداً

أقرب من نفعه بكونه شفيعاً لبئس المولى، والمولى: الناصر، والعشير: الصاحب، كقوله: ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[١].

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ﴾ من أعادي رسول الله ﷺ وحسّاده أنّ الله لا ينصره ويطمع فيه، ويغيظه أنّه لا يظفر بمطلوبه، فليستفرغ جهده في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعله من بلغ به الغيظ كل مبلغ حتى مدّ حبلاً ﴿إِلَى﴾ سماء بيته فاختنق، فلينظر أنّه إن فعل ذلك ﴿هَلْ﴾ يذهب نصر الله الذي يغيظه؟.

وسمّى الاختناق قطعاً لأنّ المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه، ولذلك يقال للبهر[٢]: قطع؛ وسمّى فعله كيداً، لأنّه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره، أو على سبيل الاستهزاء لأنّه لم يكد به محسوده، إنّما كاد به نفسه، والمراد: ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظه. وقيل: معناه: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ المظلة ليصعد عليه و﴿لْيَقْطَعْ﴾ الوحي أن ينزل عليه[٣]. وقرئ: ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ بكسر اللام وسكونها، وأصل هذه اللام الكسر، إلا أنّه جاز إسكانها مع الفاء والواو، لأنّ كل واحد منهما لا ينفرد بنفسه، فهو كحرف من نفس الكلمة فصار بمنزلة: فخذ وعضد، ثمّ شبه الميم في ﴿ثُمَّ﴾ بالواو والفاء كقولهم: أراك منتصباً.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الإنزال أنزلنا القرآن كله ﴿ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍ﴾، ولأنّ ﴿ٱللَّهَ يَهْدِى﴾ به الذين علم أنّهم يؤمنون، أو يثبّت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك.

---

(١) الزخرف: ٣٨.

(٢) البهر: انقطاع النفس من الإعياء. (لسان العرب: مادة بهر)

(٣) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج١٧: ٩٥.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾

دخلت ﴿إِنَّ﴾ على واحدة من جزأي الجملة لزيادة التأكيد، كما في قول جرير:

إِنَّ الخَلِيفَـةَ إِنَّ اللهَ سَرْبَلَـهُ سِرْبَـالَ مُلْكٍ بِـهِ تُرْجَى الخَوَاتِيمُ[1]

والفصل: التمييز بين المحقّ والمبطل، أو الحكم والقضاء بينهما.

وسمّيت مطاوعة هذه الأشياء لله عزّ وجلّ اسمه فيما يحدث من أفعاله وتسخيره لها سجوداً، تشبيهاً لذلك بما يفعله المكلف من السجود الذي كل خضوع دونه.

﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة، وقيل: التقدير: وكثير من الناس استحقّ الثواب إذ وحّد الله وأطاعه، ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ إذ أبى السجود ولم يوحّده جل اسمه.

﴿وَمَن﴾ يهنه الله بأن كتب عليه الشقاوة وأدخله النار ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ من الإكرام والإهانة.

(١) ديوان جرير: ٤٣١، وفيه: يكفي الخليفة أن...

﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ
ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ
مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ
أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ
٢٢ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن
ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ
مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾

﴿هَٰذَانِ﴾ فريقان أو جمعان مختصمان، والخصم مصدر وصف به فاستوى فيه الواحد والجمع، وقوله: ﴿هَٰذَانِ﴾ للفظ و﴿ٱخۡتَصَمُواْ﴾ للمعنى، كقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾[1]، ولو قال: هؤلاء ﴿خَصۡمَانِ﴾ أو اختصما لكان جائزاً. وقيل: نزلت في النفر الستة من المؤمنين والكافرين تبارزوا يوم بدر، وهو حمزة بن عبد المطلب قتل عتبة بن ربيعة، وعليّ عليه السلام قتل الوليد بن عتبة، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وقرنه شيبة بن ربيعة[2].

﴿فِي رَبِّهِمۡ﴾ في دين ربّهم وصفاته.

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هو فصل الخصومة المعني بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

﴿قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ أي: ألبسوا مقطعات النيران وهي الثياب القصار، كأنّه سبحانه يقدّر لهم نيراناً على مقادير جثثهم كما يقطع الثياب الملبوسة،

(١) محمّد: ١٦.

(٢) أسباب النزول: ٢١٦.

ونحوه: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾[1].

و﴿ٱلْحَمِيمُ﴾ الماء الحار، وعن ابن عباس: (لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها)[2].

﴿يُصْهَرُ﴾ أي: يذاب وينضج بذلك الحميم أمعاؤهم وأحشاؤهم كما يذاب به جلودهم.

المقامع: السياط.

أي: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾ فخرجوا ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ وعن الحسن: (إنّ النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً)[3]، وقيل لهم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ وهو الغليظ من النار المنتشر العظيم الإحراق.

وقرئ: ﴿لُؤْلُؤًا﴾ بالنصب على ويؤتون لؤلؤاً.

﴿وَهُدُوٓاْ﴾ أي: وهداهم الله إلى أن يقولوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده، وهداهم إلى طريق الجنّة.

و﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ هو الله المستحمد على عباده بنعمه.

والأساور: جمع أسوار، وفيه ثلاث لغات: أسوار، وسِوار، وسُوار.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ

---

(١) إبراهيم: ٥٠.

(٢) الكشاف ج٣: ١٥٠.

(٣) الكشاف ج٣: ١٥٠.

فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا
لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ
بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن
فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن
كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ
فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟
مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ
وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ
وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ
لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟
ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: أنّ الصدود يقع منهم على سبيل الاستمرار والدوام.

﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: للذين يقع عليهم اسم الناس، من غير فرق بين حاضر وباد، وناء وطارئ.

وقرئ: ﴿سَوَآءً﴾ بالرفع والنصب، فالنصب على أنّه المفعول الثاني لـ﴿جَعَلْنَـٰهُ﴾ أي: جعلناه مستوياً ﴿ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾، والرفع على أنّ الجملة في محلّ النصب على المفعول الثانّي. وفيه دلالة على امتناع جواز بيع دور مكة.

والمراد بـ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: الحرم كله، كما قال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ

﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[(١)].

والإلحاد: العدول عن القصد، وقوله: ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ حالان مترادفان، ومفعول ﴿يُرِدْ﴾ متروك ليتناول كل متناول، كأنّه قال: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ﴾ مراداً ما عادلاً عن القصد ظالماً.

﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يعني: إنّ الواجب على من كان فيه أن يسلك طريق العدل والسداد في جميع ما يهم به ويقصده. وخبر ﴿إِنَّ﴾ محذوف، لدلالة جواب الشرط عليه، وتقديره: إنّ الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم، وكل من ارتكب فيه ذنباً فهو كذلك.

واذكر حين جعلنا ﴿لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ مباءة، أي: مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة، و﴿أَن﴾ هي المفسّرة، أي: تعبّدنا إبراهيم وقلنا له: ﴿لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ من الأصنام والأقذار أن تطرح حوله.

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ﴾ ناد فيهم، والنداء ﴿بِالْحَجِّ﴾ أن يقول: حجّوا، أو عليكم ﴿بِالْحَجِّ﴾. وروي: أنّه صعد أبا قبيس[(٢)] فقال: يا أيّها الناس، حجّوا بيت ربّكم، فأسمع الله صوته كل من سبق علمه بأنّه يحج إلى يوم القيامة، فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال[(٣)]. وعن الحسن: (إنّ الخطاب لرسول الله ﷺ، أمر أن يعلم الناس بوجوب الحج في حجّة الوداع)[(٤)].

﴿رِجَالًا﴾ أي: مشاة، جمع راجل، كقائم وقيام.

---

(١) الإسراء: ١.

(٢) أبو قبيس: الجبل المشرف على مكة. معجم البلدان ج١: ٨٠.

(٣) تفسير العياشي ج٢: ٢٣٢، الدر المنثور ج٤: ٣٥٤.

(٤) معالم التنزيل ج٣: ٤٧.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ حال معطوف على حال، كأنّه قال: رجالاً وركباناً.

﴿يَأْتِينَ﴾ صفة لـ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾ لأنّه في معنى الجمع، وقرأ الصادق عليه السلام: رُجّالاً ـ بضم الراء ـ مشددة، وقال: هم الرجّالة، وقرئ يأتون ـ بالواو ـ صفة للرجال والركبان.

﴿فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ طريق بعيد.

ونكّر ﴿مَنَافِعَ﴾ لأنّه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات، وقيل: هي منافع الآخرة من العفو والمغفرة[١].

واختلف في الأيّام المعلومات: فالمروي عن الباقر عليه السلام: ((أنّها يوم النحر والثلاثة بعده أيّام التشريق، والأيّام المعدودات: عشر ذي الحجّة))[٢]. وهو قول ابن عباس[٣]، واختيار الزجّاج قال: (لأنّ الذكر هنا يدلّ على التسمية على ما يذبح وينحر، وهذه الأيّام تختص بذلك)[٤]. وعن الصادق عليه السلام: ((هو التكبير بمنى عقيب خمس عشرة صلاة أوّلها صلاة الظهر من يوم النحر، يقول: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أولانا ورزقنا من بهيمة الأنعام))[٥].

البهيمة: مبهمة في كل ذات أربع، فبيّنت بـ﴿الْأَنْعَامِ﴾ وهي: الإبل والبقر والضأن والمعز.

---

(١) عن الباقر عليه السلام. تفسير الطبري ج١٧: ١٠٨.

(٢) التبيان ج٧: ٣١٠.

(٣) تفسير الطبري ج١٧: ١٠٨.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ج٣: ٤٢٣.

(٥) تفسير القمي ج٢: ٨٤ باختلاف.

والأمر بالأكل منها أمر إباحة، لأنّ أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم، ويجوز أن يكون ندباً لما فيه من مساواة للفقراء ومواساتهم.

﴿ٱلْبَآئِسَ﴾ الذي أصابه بؤس، أي: شدّة وقضاء.

التفث: قصّ الشارب والأظفار والاستحداد واستعمال الطيب، والتفث: الوسخ، والمراد: قضاء إزالة التفث.

﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾ مواجب حجّهم، أو ما عسى ينذرونه من أعمال البر في حجّهم ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ طواف الزيارة، وروى أصحابنا: أنّه طواف النساء الذي يستباح به وطء النساء، وذلك بعد طواف الزيارة[١].

والعتيق: القديم، لأنّه ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾[٢] وقيل: أعتق من الجبابرة، كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله[٣]، وقيل: أعتق من الغرق[٤]، وقيل: هو الكريم[٥]، من قولهم عتاق الطير.

﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر والشأن ذلك، والحرمة: مالا يحلّ هتكه، وجميع ما كلفه الله تعالى به من مناسك الحج وغيرها فهو بهذه الصفة، فيحتمل أن يكون عاماً في جميع التكاليف، ويحتمل أن يكون خاصاً في مناسك الحج ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ فالتعظيم خير له، ومعنى التعظيم: العلم بأنّها واجبة الحفظ ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ آية تحريمه، وذلك قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ...الآية﴾ في

---

(١) ينظر: الوسائل ج٩ باب ٢ من أبواب الطواف.

(٢) آل عمران: ٩٦.

(٣) عن ابن عباس وغيره، وروي مرفوعاً. الدر المنثور ج٤: ٣٥٧.

(٤) عن سعيد بن جبير. الدر المنثور ج٤: ٣٥٩.

(٥) الكشف والبيان ج٧: ٢٠.

سورة المائدة[١].

ثمّ لما حثّ الله سبحانه على تعظيم حرماته، أمر عقيبه باجتناب الأوثان وقول الزور، لأنّ توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول من أعظم الحرمات، وقيل: ﴿قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ هو قول أهل الجاهلية: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك[٢].

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾

﴿حُنَفَآءَ﴾ أي: مستقيمي الطريقة على أمر الله، مائلين عن سائر الأديان.

وقرئ: ﴿فَتَخَطَّفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ أي: فتتخطفه فحذف تاء التفعل، وهذا التشبيه يجوز أن يكون من المركب والمفرّق، والمركب مثل أن تقول: من أشرك بالله فإنّ حاله كحال من خرّ من السماء فاختطفته الطير، أي: أخذته بسرعة فتفرّق أجزاءه في حواصلها، أو عصفت به الريح فهوت به إلى الأماكن البعيدة. والمفرّق أن يكون الإيمان مشبّهاً في علوه بالسماء، وتاركه مشبّهاً بالساقط من السماء، والأهواء

---

(١) الآية: ٣.

(٢) عن مقاتل. الدر المنثور ج٤: ٣٥٩.

الموزعة أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يستهويه في الضلالة بالريح التي تهوي به في المهاوي المهلكة.

وتعظيم الشعائر وهي الهدايا، لأنّها من معالم الحج استسمانها واستحسانها، وأن يترك المكاس في شرائها، فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن: الهدي، والأضحية، والرقبة. وعن الباقر(عليه السلام): ((لا تماكس في أربعة أشياء: في الأضحية، وفي ثمن النسمة، وفي الكفن، وفي الكراء إلى مكة))[١].

﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ أي: فإنّ تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها، لأنّه لابد من عائد من الجزاء إلى ﴿مِن﴾ ليرتبط به، وإنّما ذكرت ﴿ٱلْقُلُوبِ﴾ لأنّها مراكز التقوى، فإذا تمكّنت فيها ظهر أثرها في الجوارح.

﴿لَكُمْ﴾ في الشعائر ﴿مَنَٰفِعُ﴾ بركوب ظهورها وشرب ألبانها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أن ينحر ويتصدق بلحومها، و﴿ثُمَّ﴾ للتراخي في الوقت، فاستعيرت للتراخي في الأحوال، والمعنى: إنّ لكم في الهدي منافع كثيرة في دينكم ودنياكم، وأعظم هذه المنافع ﴿مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ﴾ ومحلّها: حيث يجب نحرها، أو وقت وجوب نحرها، أو وجوب نحرها منتهية إلى البيت كقوله: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾[٢]، فإن كان الهدي للحج ينحر بمنى، وإن كان للعمرة بمكة.

وقرئ: ﴿مَنسَكًا﴾ بفتح السين وكسرها، وهو مصدر بمعنى النسك، والمكسور بمعنى: الموضع، أي: شرعنا ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أن ينسكوا، أي: يذبحوا لوجه الله لأن يذكروا اسمه على النسائك.

---

(١) الخصال: ٢٢٣.

(٢) المائدة: ٩٥.

﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ﴾ أي: أخلصوا له الذكر خاصة، واجعلوه لوجهه سالماً، أي: خالصاً لا يشوبه إشراك.

والمخبتون: المتواضعون، من الخبت وهو المطمئن من الأرض.

وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ
ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ
ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٣٦ لَن يَنَالَ
ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا
لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٧ ۞إِنَّ
ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ
٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ
وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ
وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن
يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠

﴿وَٱلۡبُدۡنَ﴾ جمع بُدنة، سمّي بذلك لعظم بدنها، وهي الإبل خاصة، وجعل البقر في حكم الإبل لقوله ﷺ: ((البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة))[1]، وهي منصوب بإضمار الفعل الذي ظهر تفسيره.

﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾: من أعلام الشريعة التي شرعها الله، وإضافتها إلى اسمه تعظيم لها.

﴿لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞ﴾ أي: نفع في الدنيا والآخرة.

---

(١) مسند أحمد ج٣: ٣٦٣.

وذكر ﴿ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ أن يقول: بسم الله والله أكبر، اللهم منك ولك.

﴿صَوَآفَّ﴾ أي: قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، قد ربطت اليدان من كل واحدة منها ما بين الرسغ إلى الركبة، وعن الباقر عليه السلام: أنّه قرأ صَوَافِنَ، وروي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس، وهو من صفون الفرس، وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه، لأنّ البدنة قد تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث.

﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾ أي: سقطت على الأرض، من وجب الحائط وجبة، ووجبت الشمس جبة، وهو عبارة عن تمام خروج الروح منها.

﴿فَكُلُواْ﴾ أي: فحلّ لكم الأكل ﴿مِنۡهَا﴾ والإطعام.

و﴿ٱلۡقَانِعَ﴾: السائل، من قنعت إليه وكنعت: إذا خضعت له وسألته قنوعاً، ﴿وَٱلۡمُعۡتَرَّ﴾ المعترض بغير سؤال، أو القانع: الراضي يقنع بما أعطيته، والمعتر: المارّ بك تطعمه، يقال: عراه واعتراه وعره واعتره بمعنى.

﴿سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ تأخذونها مطيعة منقادة للأخذ فتعقلونها، منّ الله سبحانه بذلك على عباده.

لن يصيب رضاء الله ﴿لُحُومُهَا﴾ المتصدق بها ﴿وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ المهراقة بالنحر ﴿وَلَٰكِن﴾ يصيب رضاه ﴿ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾ والإخلاص وصدق النية. وقرئ: ﴿يَنَالَ﴾ و﴿يَنَالُهُ﴾ بالتاء والياء. وروي: أنّ أهل الجاهلية كانوا إذا نحروا لطخوا البيت بالدم، فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك، فنزلت[1].

وكرر سبحانه تذكير النعمة بالتسخير، ثمّ قال: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا

---

(١) لباب النقول: ١٩٢.

﴿هَدَىٰكُمْ﴾ وهو أن يقال: الله أكبر على ما هدانا، وقيل: إنّه ضمّن معنى الشكر فعدّاه تعديته، أي: لتشكروا الله على هدايتكم لأعلام دينه ومناسك حجّه، بأن تكبّروا وتهللوا.

ثمّ خصّ المؤمنين بالدفع عنهم والنصرة لهم كما قال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[1]، وجعل العلة في ذلك أنّه لا يحبّ أضدادهم الذين يخونون الله ورسوله ويكفرون نعمه.

وقرئ: ﴿يُدَٰفِعُ﴾ أي: يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه.

وقرئ: ﴿أُذِنَ﴾ و﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ على البناء للفاعل والمفعول جميعاً، والمعنى: أذن لهم في القتال، فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه.

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾: بسبب كونهم مظلومين، وهم أصحاب رسول الله ﷺ، وهي أوّل آية نزلت في القتال، والإخبار بكونه قادراً على نصرهم عدة منه بالنصر، وما قبل الآية من قوله: ﴿يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ مؤذن بهذه العدة أيضاً.

و﴿أَن يَقُولُواْ﴾ مجرور الموضع على البدل من ﴿حَقٍّ﴾، أي: ﴿بِغَيْرِ﴾ موجب سوى التوحيد الذي كان ينبغي أن يوجب التمكين والإقرار لا الإخراج من الديار.

ومعنى ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ تسليطه المسلمين على الكفار ﴿وَلَوْلَا﴾ ذلك لاستولى أهل الشرك على أهل الملل وعلى متعبداتهم فهدموها، ولما تركوا للنصارى بيعاً ولا لرهبانهم ﴿صَوَٰمِعُ﴾ ولا لليهود ﴿صَلَوَٰتٌ﴾ ولا للمسلمين ﴿مَسَٰجِدُ﴾. وسمّيت الكنيسة صلاة لأنّها يصلى فيها. وقرأ الصادق عليه السلام: صلوات ـ بضم الصاد واللام ـ، وفسّرها بالحصون والآطام،

(١) غافر: ٥١.

وقرئ: دفاع، ولهدمت ـ بالتخفيف ـ.

﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ أي: ينصر دينه وأولياءه.

ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ
﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ
﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ
فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾
فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾

هذا ثناء من الله عزّ اسمه على المؤمنين، وإخبار عما سيكون منهم بظهر الغيب إن مكّنهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وبسط لهم في الدنيا من القيام بأمور الدين. وعن الباقر عليه السلام أنّه قال: ((نحن هم))[1].

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ منصوب بدل من قوله: ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾، وقيل: هو تابع لـ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا﴾[2] فيكون المعني بهم: المهاجرين.

﴿وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: مرجعها إلى حكمه وتقديره.

أي: لست بواحد في التكذيب، فقد كذّب الرسل أقوامهم، ولك بهم أسوة.

﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ أيضاً مع ظهور معجزاته.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري وتغييري حيث أبدلتهم بالنعمة نقمة

---

(١) تفسير فرات: ٢٧٤.

(٢) الكشاف ج٣: ١٦١.

وبالمنحة محنة، وبالعمارة خراباً.

والخاوي: الساقط، من خوى النجم: إذا سقط، أو الخالي من خوى المنزل: إذا خلا من أهله، وخوى بطن الحامل. وكل مرتفع أظلك من سقف بيت أو أظلة أو كرم فهو عرش. وقوله: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ إن تعلّق بـ﴿خَاوِيَةٌ﴾ فالمعنى: أنّها ساقطة على سقوفها، أي: خرّت سقوفها على الأرض ثمّ سقطت حيطانها عليها، أو أنّها ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها؛ وإن كان خبراً بعد خبر فالمعنى: هي خالية وهي مطلة على عروشها، على معنى: أنّ العروش سقطت على الأرض وبقيت الحيطان مشرفة عليها. وقرئ: أهلكتها.

ومعنى المعطلة: إنّها عامرة فيها الماء، ومعها آلات الاستسقاء إلا أنّها عطلت أي: تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها. أي: وكم من بئر عطلناها عن سقائها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ أخليناه عن ساكنيه، فحذفت لدلالة ﴿مُّعَطَّلَةٍ﴾ عليه، وفي هذا دليل على أنّ ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى (مع) في ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾.

والمشيد: المرتفع، وقيل: المجصص[1].

أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ
ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ
وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ
﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ
أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ

---

(١) عن سعيد بن جبير وغيره. تفسير الطبري ج١٧: ١٢٨.

﴿مُّبِينٌ ۝٤٩ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٥٠ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝٥١﴾

ثمّ حث سبحانه على السفر والاعتبار بمصارع من أهلكهم الله من الكفار.

أي: ﴿يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ ما يجب أن يعقل من التوحيد، و﴿يَسْمَعُونَ﴾ ما يجب سماعه من الوحي ﴿فَإِنَّهَا﴾ الضمير للشأن والقصّة، وقد يجيء مؤنثاً، ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً يفسّره ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، وفي ﴿تَعْمَى﴾ راجع إليه، والمعنى: إنّ أبصارهم صحيحة لا عمى بها وإنّما العمى بقلوبهم، أو يريد أن لا اعتبار بعمى الأبصار، فكأنّه ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب.

وقوله: ﴿ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ توكيد كما في قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[1]، وذلك لتقرير: أنّ مكان العمى هو القلب لا البصر.

ثمّ أنكر استعجالهم للعذاب المتوعد به، أي: كأنّهم يجوزون فوته، والله عزّ اسمه لا يخلف وعده، ولا محالة أن يصيبهم ذلك إلا أنّه عزّ اسمه حليم لا يعجل، ومن حلمه واستقصاره المدد الطويلة أن ﴿يَوْمًا﴾ واحداً عنده ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ عندكم، وقيل: معناه: كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيّام عذابه في طول ألف سنة من سنيكم، لأن أيّام الشدائد طوال[2].

وكم ﴿مِّن﴾ أهل ﴿قَرْيَةٍ﴾ قد أنظرتهم حيناً ﴿ثُمَّ﴾ أخذتهم بالعذاب ﴿وَإِلَيَّ﴾ المرجع.

---

(١) آل عمران: ١٦٧.

(٢) معاني القرآن للفراء ج٢: ٢٢٨.

﴿سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾ بالفساد: من الطعن فيها بأن سمّوها سحراً وشعراً وأساطير الأوّلين، ومن تثبيط الناس عنها.

﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾ أي: مسابقين في زعمهم وتقديرهم. وقرئ: معجزين، أي: مسابقين عندهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لهم، أو قاصدين تعجيز رسولنا، يقال: عاجزه أي: سابقه، لأنّ كل واحد من المتسابقين في طلب عجز الآخر عن اللحاق به، فإذا سبقه قيل: أعجزه وعجزه.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

روي أنّ السبب في نزول هذه الآية: أنّ النبيّ ﷺ تلا سورة النجم وهو في نادي قومه، فلما بلغ قوله: ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾[1] ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي: في تلاوته: تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهنّ لترتجى، فسرّ بذلك المشركون، فنزلت الآية تسلية له ﷺ[2]. ومعناه: أنّه لم يبعث رسول ولا نبيّ إلا

---

(١) النجم: ٢٠.

(٢) أسباب النزول: ٢١٧.

إذا تمنّى أي: تلا، حاول الشيطان تغليطه فألقى في تلاوته ما يوهم أنّه من جملة الوحي، فيرفع الله ما ألقاه بمحكم آياته، وقيل: إنّما ألقى ذلك في تلاوته بعض الكفار، فأضيف ذلك إلى الشيطان لما حصل بإغوائه. ومما يبين أنّ التمنّي يكون في معنى التلاوة، قول حسان بن ثابت:

تَمَنَّـى كِتَـابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلِـهِ وَآخِـرَهُ لاَقَـى حِمَـامَ المَقَـادِرِ[1]

وعن مجاهد قال: (كان النبيّ ﷺ إذا تأخر عنه الوحي تمنّى أن ينزل عليه فيلقي الشيطان في أمنيته بما يوسوس إليه، وينسخ الله ذلك ويبطله بما يرشده إليه من مخالفة الشيطان)[2]. وقيل: تلك الغرانيق إشارة إلى الملائكة، أي: هم الشفعاء لا الأصنام، والغرانيق: جمع غرنوق، وهو الشاب الجميل الممتلئ رياً.

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: يذهب به ويبطله.

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: يثبّتها حتى لا يتطرق عليها ما يشعثها.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ في الأمنية وتمكينه من ذلك ﴿فِتْنَةً﴾ أي: محنة وابتلاء، يزداد المنافقون به شكاً وظلمة، وهم الذين ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، والمؤمنون يقيناً ونوراً قد ازدادوا إيماناً إلى إيمانهم.

﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ هم المشركون المكذبون.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: وإنّ هؤلاء المنافقين والمشركين، والأصل: وإنّهم، إلا أنّه وضع الظاهر موضع الضمير ليقضي عليهم بالظلم.

﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ أي: مشاقة لله تعالى.

---

(١) لم أعثر عليه لحسان وإنما هو لكعب بن مالك، ديوانه: ٢٩٤.

(٢) التبيان ج٧: ٣٣٠.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بالله وبحكمته ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ وفي الحكمة فيصدّقوا به.

﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تطمئن وتسكن.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ﴾ أن يتأوّلوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة، فلا تعتريهم شبهة ولا تخالجهم مرية.

والضمير في قوله: ﴿فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ للقرآن أو للرسول. والمراد باليوم العقيم: يوم بدر، وصفه بالعقيم لأنّ أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنّهن عقم لم يلدن، أو لأنّ المقاتلين يوصفون بأنّهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بأنّه عقيم مجازاً، أو لأنّه لا مثل لهذا اليوم في عظم أمره لقتال الملائكة فيه، كما قيل:

عَقُمَ النِّسَاءُ فَمَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ ... إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقْمُ[1]

وقيل: المراد به يوم القيامة، وسمّاه عقيماً لأنّه لا ليلة له[2]، وكأنّه قال: ﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ ... أَوْ يَأْتِيَهُمْ﴾ عذابها، فوضع الظاهر موضع الضمير.

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا
حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم
مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ

(١) ديوان أبي دهبل الجمحي: ٦٦.

(٢) عن الضحاك وغيره. تفسير الطبري ج١٧: ١٣٥.

﴿وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٦٠﴾

التقدير في ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾: يوم يؤمنون، أو يوم تزول مريتهم.

سوّى بين من مات من المهاجرين في سبيل الله وبين من قتل منهم في الموعد تفضلاً منه.

والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم ﴿حَلِيمٞ﴾ عن تفريط من فرط منهم بفضله وكرمه. وروي: أنّهم قالوا: يا رسول الله، هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير، ونحن نجاهد معك كما جاهدوا، فما لنا إن متنا معك؟ فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين.

﴿وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ أي: ومن جازى الظالم بمثل ما ظلمه، سمّى الابتداء بالمعاقبة من حيث إنّه سبب وذاك مسبب عنه، كما حملوا النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ الضمير للمبغي عليه.

﴿لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾ لا يلومه على ترك ما بعثه عليه من العفو عن الجاني بقوله: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[1]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾[2].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ

---

(١) البقرة: ٢٣٧.

(٢) الشورى: ٤٠.

﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾

أي: ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر بسبب أنّه قادر، ومن آيات قدرته أنه ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾، أو بسبب أنّه خالق الليل والنهار فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من خير أو شرّ، فإنّه ﴿سَمِيعٌۢ﴾ لما يقولون ﴿بَصِيرٌ﴾ بما يعملون.

وقرئ: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الوصف بخلق الليل والنهار وبالإحاطة بما يجري فيهما بسبب أنّه الله ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الثابت إلهيته، وأنّ كل ما يدعى إلهاً من دونه باطل الدعوة، وأنّه ﴿ٱلْعَلِىُّ﴾ عن الأشباه، ولا شيء أعلى منه شأناً وأكبر سلطاناً.

﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ إنّما رفع لأنّ المعنى إثبات الاخضرار، ولو نصب جواباً للاستفهام لانقلب المعنى إلى نفي الاخضرار.

﴿لَطِيفٌ﴾ واصل علمه أو فضله إلى عباده ﴿خَبِيرٌ﴾ بمصالحهم.

﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من البهائم مذللة للركوب في البر، ومن المراكب جارية ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾ وغير ذلك من المسخّرات.

﴿أَن تَقَعَ﴾ أي: كراهة أن تقع إلا بمشيئته.

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ
لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا
يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٦٧﴾
وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ
مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ
﴿٧٠﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ
عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ
فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ
يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا
ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

﴿لَكَفُورٞ﴾ أي: جحود يجحد الخالق مع هذه الأدلة الدالة على الخلق.

﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ نهي لرسول الله ﷺ، أي: لا تلتفت إلى قولهم، ولا تمكّنهم من أن ينازعوك، أو هو زجر لهم عن منازعته.

﴿فِى ٱلۡأَمۡرِ﴾ أي: في أمر الدين. روي: أنّ بديل بن ورقاء وغيره من كفار خزاعة قالوا للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله؟ يعنون الميتة(١).

وإن أبوا إلا مجادلتك فادفعهم بأن تقول: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ بأعمالكم وبقبحها، فهو مجازيكم عليها، وهذا وعيد برفق ولطف.

---

(١) الكشف والبيان ج٧: ٣٣.

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ أي: يفصل بينكم بالثواب والعقاب، وهذا تسلية لرسول الله ﷺ مما كان يلقاه منهم.

أي: وكيف تخفى عليه أعمالهم وقد علم بالدليل أنّه سبحانه ﴿يَعۡلَمُ﴾ كل ﴿مَا﴾ يحدث ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، وقد كتبه في اللوح المحفوظ قبل حدوثه؟! وحفظ ذلك وإثباته والإحاطة به عليه ﴿يَسِيرٞ﴾.

﴿وَيَعۡبُدُونَ﴾ ما لم يتمسّكوا في صحّة عبادته ببرهان سماوي، ولا عرفوه بدليل عقلي، ﴿وَمَا﴾ لمن ظلم مثل هذا الظلم ناصر ينصره.

﴿ٱلۡمُنكَرَ﴾ الفظيع من التجهّم والعبوس، أو الإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام.

و﴿يَسۡطُونَ﴾ أي: يقعون ويبطشون من شدّة الغيظ.

﴿ٱلنَّارُ﴾ خبر مبتدأ محذوف، كأنّ قائلاً قال: ما هو؟ فقال: النار، أي: هو النار.

﴿مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ أي: من سطوكم على التالين للآيات وغيظكم عليهم، أو مما أصابكم من الغيظ والكراهة بسبب ما تلي عليكم.

﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ﴾ استئناف، أو تكون ﴿ٱلنَّارُ﴾ مبتدأ ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ﴾ خبره.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ
ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ
٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤
ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ

ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ وَإِلَى
ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ
وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ
تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ
وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ
سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا
عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

قد تسمّى الصفة أو القصّة الرائعة مثلاً لاستحسانها واستغرابها، تشبيهاً ببعض الأمثال التي سيّرت لكونها مستحسنة عندهم.

وقرئ: ﴿تَدۡعُونَ﴾ بالياء والتاء.

﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ في محلّ النصب على الحال، كأنّه قال: إنّ خلق الذباب يستحيل منهم مشروطاً عليهم اجتماعهم لخلقه، وهذا مبالغة في تجهيل قريش حيث وصفوا صوراً ممثلة يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله وأحقره ولو اجتمعوا لذلك بالإلهية التي تقتضي الاقتدار على كل أجناس المقدورات، والإحاطة بجميع المعلومات.

و﴿ٱلطَّالِبُ﴾ الذباب ﴿وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ الصنم، وقيل: بالعكس منه، والمعنى: ضعف السالب والمسلوب[1]، وقيل: معناه: جهل العابد والمعبود[2].

---

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٧: ١٤١.

(٢) عن الضحاك. الكشف والبيان ج٧: ٣٤.

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عرفوه حقّ معرفته، وما عظموه حقّ عظمته حيث جعلوا الأصنام شركاء له.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾ هذا رد لإنكارهم من أن يكون الرسول من البشر، وبيان أن رسل الله قد يكونون ﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ومن البشر. ثمّ ذكر أنّه سبحانه عالم بأحوال المكلفين من مضى منهم ومن غبر، فلا يعترض عليه في حكمه واختياره.

أمر سبحانه بالصلاة التي هي أجلّ العبادات، ثمّ بغيرها من العبادات كالصوم والحج والزكاة، ثمّ بفعل الخيرات على العموم، وعن ابن عباس: (أنّ ﴿ٱلْخَيْرَ﴾ صلة الأرحام ومكارم الأخلاق)[١].

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: افعلوا هذا كله وأنتم طامعون في الفلاح، لا تتكلون على أعمالكم. وعن عقبة بن عامر[٢] قال: ((قلت: يا رسول الله، في سورة الحج سجدتان؟ قال: نعم، إن لم تسجدهما فلا تقرأهما))[٣].

﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ﴾ أمر بالغزو، أو بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر، [كما روي أنّه ﷺ رجع من بعض غزواته فقال: ((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر))[٤]][٥].

﴿فِى ٱللَّهِ﴾ أي: في ذات الله، ومن أجله.

---

(١) معالم التنزيل ج٣: ٥٥.

(٢) عقبة بن عامر بن عبس الجهني سكن مصر والياً عليها من قبل معاوية، توفي في آخر زمن معاوية. ينظر: الاستيعاب ج٣: ١٠٦، معجم رجال الحديث ج١٢: ١٧١.

(٣) سنن الدارقطني ج١: ٤٠٨.

(٤) الكشف والبيان ج٧: ٣٦. أمالي الصدوق: ٣٧٧.

(٥) ساقطة من ج.

﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ كما يقال: هو حقّ عالم أي: عالم حقّاً، وكان القياس: حقّ الجهاد فيه أو حقّ جهادكم فيه، إلا أنّ الجهاد لما اختص بالله من حيث إنّه يفعل لوجهه ومن أجله جازت إضافته إليه، لأنّ الإضافة قد تكون بأدنى اختصاص، ويجوز أن يتسع في الظرف، كقول الشاعر:

وَيَـوْمَ شَـهِدْنَاهُ سَـلِيماً وَعَامِـراً[١]

﴿ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ أي: اختاركم لدينه ولنصرته.

﴿ما جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ أي: ضيق، فلم يكلفكم مالا تطيقونه، ورخّص لكم عند الضرورات كالقصر والتيمم، وجعل التوبة مخلصاً لكم من الذنوب، ونحوه: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[٢]. وفي الحديث: ((إنّ أمّتي أمّة مرحومة))[٣].

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ﴾ نصب على الاختصاص، أي: أعني بالدين ملة أبيكم، أو بمضمون ما تقدّمها، كأنّه قال: وسع دينكم توسعة ملة أبيكم، ثمّ حذف المضاف، وجعل ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أباً للأمة كلها، لأنّ العرب من ولد إسماعيل، وأكثر العجم من ولد إسحاق، ولأنّه أبو رسول الله ﷺ وهو أب لأمته، فالأمة في حكم أولاده.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ﴾ الضمير لله تعالى أو لإبراهيم ﴿مِن﴾ قبل القرآن في سائر الكتب ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ القرآن، أي: فضّلكم على الأمم وسمّاكم بهذا الاسم.

﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ بالطاعة والقبول ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى﴾

---

(١) الكتاب ج١: ١٧٨ لرجل من بني عامر، وبقيته: قليل سوى الطعن النهال نوافله.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) مسند أحمد ج٤: ٤١٠.

الأمم بأنّ الرسل قد بلّغوهم، ومثله: ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا... الآية﴾[1]، وقيل: شهيداً عليكم أنّه قد بلّغكم، وتكونوا شهداء على الناس بعدكم بأن تبلّغوا إليهم ما بلّغه الرسول إليكم.

وإذ خصّكم سبحانه بهذه الكرامة فاعبدوه وثقوا به وتمسّكوا بدينه ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ المتولي لأمركم، وهو خير مولى وناصر.

---

(١) البقرة: ١٤٣.

سورة المؤمنون

مكية، مائة وثمان عشرة آية كوفي، وتسع عشرة آية غيرهم، لم يعدّ الكوفي ﴿وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾.

في حديث أُبيّ: ((من قرأها بشّرته الملائكة بالروح والريحان يوم القيامة، وبما تقرّ به عينه عند نزول ملك الموت))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها ختم الله له بالسعادة إذا كان يدمن قراءتها في كل جمعة، وكان منزله في الفردوس الأعلى مع النبيّين والمرسلين))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ
هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ

(١) الكشف والبيان ج٧: ٣٧.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٨.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾

الفلاح: الظفر بالمراد، وقيل: البقاء في الخير[١].

و﴿أَفۡلَحَ﴾: دخل في الفلاح، كـ(أبشر): دخل في البشارة.

والخشوع في الصلاة: خشية القلب والتواضع، وأضيفت الصلاة إليهم لأنّهم المنتفعون بها، وهي عدّتهم وذخيرتهم، والذي يصلّون له جلّ وتقدّس عن الحاجة إليها.

و﴿ٱللَّغۡوِ﴾: ما لا يعنيك من قول أو فعل كالهزل واللعب، والمعنى: إنّهم شغلهم الجدّ عن الهزل والباطل وجميع المعاصي. ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة وصفهم عقيبه بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك.

والزكاة: اسم مشترك بين عين ومعنى، فالعين: ما يخرجه المزكّي، والمعنى: فعله الذي هو التزكية، وهو المراد في الآية. وما من مصدر إلا وقد يعبّر عن معناه بالفعل، ويقال لمحدثه: فاعل، كما يقال للضارب: فاعل الضرب، وأنشد لأمية بن أبي الصلت:

المُطْعِمُونَ الطَّعَامَ فِي السَّنَةِ الأَزْمَةِ وَالفَاعِلُونَ لِلزَّكَوَاتِ[٢]

ويجوز أن يراد بالزكاة: العين على تقدير مضاف محذوف وهو الأداء، ويحمل البيت على هذا أيضاً.

﴿عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ في موضع الحال، أي: الأوّالين على أزواجهم، والمعنى:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٥.

(٢) أمية بن أبي الصلت حياته وشعره: ١٦٥.

إنّهم ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ﴾ في جميع الأحوال ﴿إِلَّا﴾ في حال تزوّجهم أو تسرّيهم. ويجوز أن يتعلّق ﴿عَلَىٰٓ﴾ بمحذوف يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ كأنّه قال: يلامون إلا على أزواجهم، أي: يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ عليه.

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي: طلب سوى الأزواج والمملوكة.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ الكاملون في العدوان المتناهون فيه.

قرئ: لأمانتهم و﴿لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ﴾، وعلى صلاتهم و﴿صَلَوَٰتِهِمْ﴾ على الواحد والجمع، وسمّي الشيء المؤتمن عليه [والمعاهد عليه أمانة وعهداً، ومثله: ﴿يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾(١)، ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾(٢)، وإنّما يؤدى المؤتمن عليه](٣) لا الأمانة نفسها، وكذلك الخيانة. ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله ومن جهة المخلوقين، والخصوص فيما حملوه من الأمانات للناس وعهودهم.

وكرر ذكر الصلاة، لأنّ في الأوّل وصفهم بالخشوع فيها، وفي الثاني وصفهم بالمحافظة عليها، وهو أن يؤدّوها في أوقاتها ويراعوا أركانها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الجامعون لهذه الصفات هم الأحقّاء بأن يسمّوا ورّاثاً دون من عداهم، ثمّ بيّن الوارثين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾، وأنّث ﴿ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ على تأويل الجنّة.

---

(١) النساء: ٥٨.

(٢) الأنفال: ٢٧.

(٣) ساقطة من ج.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً
فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ
مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ
أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم
بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ
﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ
بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ
فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ
تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾

السلالة: خلاصة تسلّ من بين الكدر، وعن الحسن: (ماء بين ظهراني الطين)[1]. والمعنى: ﴿خَلَقْنَا﴾ جوهر الإنسان أوّلاً ﴿مِّن طِينٍ﴾ ثمّ جعلنا جوهره بعد ذلك ﴿نُطْفَةً﴾. و﴿مِن﴾ الأوّل للابتداء و﴿مِن﴾ الثاني للبيان.

والقرار: المستقر، يريد: الرحم، وصفها بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها، كقولهم: طريق سائر، أو بمكانتها في نفسها لأنّها مكنت بحيث هي وأحرزت.

وقرئ: عَظْماً فَكَسَوْنَا العَظَمَ، على الإفراد وعلى الجمع في الموضعين، وضع الواحد موضع الجمع لزوال اللبس، لأنّ الإنسان ذو عظام كثيرة.

أي: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ مبايناً للخلق الأوّل، حيث جعله حيواناً بعد كونه جماداً، وأودع كل جزء من أجزائه من عجائب فطرة وغرائب حكمة مالا يكتنه

---

(١) الكشاف ج٣: ١٧٨.

بالوصف ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ تعالى واستحقّ التعظيم.

﴿أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ أي: أحسن المقدّرين تقديراً، فترك ذكر المميز لدلالة ﴿ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ عليه.

والطرائق: السماوات، لأنّه طورق بعضها فوق بعض، وكل شيء فوقه مثله فهو طريقه، أو لأنّها طرق الملائكة ومتقلباتهم، أو هي الأفلاك لأنّها طرائق الكواكب وفيها مسائرها.

﴿بِقَدَرٍ﴾ أي: بتقدير يصلون به إلى المنفعة ويسلمون من المضرّة، أو بمقدار ما علمنا من مصالحهم وحاجاتهم.

﴿فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ كقوله: ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾(١)، وكما قدرنا على إنزاله فنحن قادرون على رفعه وإزالته، وقوله: ﴿عَلَىٰ ذَهَابِۭ﴾ يعني على وجه من وجوه الذهاب ﴿بِهِۦ﴾.

وخصّ هذه الأنواع الثلاثة من جملة الأشجار لأنّها أكرمها وأجمعها للمنافع، ووصف النخيل والأعناب بأنّ ثمرهما جامع بين أمرين: إنّه فاكهة يتفكه بها، وطعام يؤكل رطباً ويابساً، ولذلك أتى بالواو، والزيتون بأنّ دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعاً.

﴿وَشَجَرَةٗ﴾ عطف على ﴿جَنَّٰتٖ﴾. وقرئ: ﴿سَيۡنَآءَ﴾ بكسر السين وفتحها، فمن كسرها فإنّما يمنع الصرف للتعريف والعجمة أو للتأنيث لأنّها بقعة، لأنّ فعلاء ـ بكسر الفاء ـ لا يكون ألفه للتأنيث كألف صحراء.

وطور سيناء، وطور سينين لا يخلو: إما أن يكون مضافاً إلى بقعة اسمها

---

(١) الزمر: ٢١.

سيناء أو سينون، وإما أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كامرئ القيس.

﴿بِٱلدُّهۡنِ﴾ في موضع الحال، أي: تنبت وفيها الدهن، وقرئ: تنبت، وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون (أنبت) بمعنى (نبت) كما في بيت زهير:

رَأَيْتُ ذَوِي الحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِيناً لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ البَقْلُ[1]

والآخر: أن يكون مفعوله محذوفاً، والمعنى: ينبت زيتونها، وفيه الزيت.

﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٢٥﴾﴾

القصد بـ﴿ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ الإبل لأنّها مقرونة بالفلك التي هي السفن، فهي سفن البر. أي: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ من الركوب والحمل وغير ذلك، وفيها منفعة زائدة وهي الأكل الذي هو انتفاع بذواتها.

﴿غَيۡرُهُۥٓ﴾ بالرفع على المحلّ وبالجر على اللفظ، والجملة استئناف يجري مجرى التعليل للأمر بالعبادة.

﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: يطلب الفضل عليكم والرئاسة، ونحوه:

---

(١) شعر زهير بن أبي سلمى: ٤١.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾[(١)].

﴿بِهَٰذَا﴾ أي: ما سمعنا بمثل هذا الكلام، أو بمثل هذا الذي يدّعي أنه رسول الله وهو ﴿بَشَرٌ﴾.

والجنّة: الجنون أو الجن، أي: به جنّ يخبلونه.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: اصبروا عليه إلى زمان، فإن أفاق من جنونه وإلا فاقتلوه.

قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ
بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن
كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ
وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ
أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ﴿٣٠﴾

أي: ﴿ٱنصُرۡنِي﴾ بإهلاكهم بسبب تكذيبهم إيّاي، أو ﴿ٱنصُرۡنِي﴾ بدل ما كذّبوني، كما يقال: هذا بذاك، أي: مكان ذاك وبدله. والمعنى: أبدلني من غم تكذيبهم النصرة عليهم، أو انصرني بإنجاز ما وعدتهم من العذاب، وهو ما كذّبوه فيه حين قال لهم: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[(٢)].

﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ أي: بحفظنا وكلاءتنا، كان معه من الله حفظة يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض له، ومنه قولهم: عليه من الله عين كالئة.

---

(١) يونس: ٧٨.

(٢) الأعراف: ٥٩.

﴿وَوَحۡيِنَا﴾ أي: بأمرنا وتعليمنا إيّاك كيف تصنع. روي: أنّه قيل لنوح عليه السلام: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة، فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب(١).

وقيل: التنور: وجه الأرض، وقد مر ذكره وبيانه(٢).

وسلك فيه: دخله، وسلك غيره وأسلكه بمعنى.

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي﴾ أي: ولا تكلّمني ﴿فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي: في شأنهم، نهاه عن الدعاء لهم لكونهم ظالمين، ولأنّ الحكمة أوجبت إغراقهم ليكونوا عبرة للمعتبرين.

وكما نهى عن ذلك أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم، ثمّ أمره أن يدعوه بدعاء هو أنفع له، وهو طلب أن ينزله في السفينة أو في الأرض عند خروجه منها ﴿مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا﴾ يبارك له فيه، وأن يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسألته، وهو قوله: ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾. وقرئ: منزلاً بمعنى: إنزالاً، أو موضع إنزال.

﴿وَإِن كُنَّا﴾ (إن) هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية. والمعنى: وإنّ الشأن والقصّة كنا مبتلين، أي: مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم، أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا ليعتبروا.

ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ

(١) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج٥: ١٦٨.

(٢) راجع تفسير الآية: ٤٠ من سورة هود.

مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ
﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ
﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى
اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا
كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾

﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾ هم عاد قوم هود، لأنّه المبعوث بعد نوح.

﴿أَنِ﴾ مفسّرة لـ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أي: قلنا لهم على لسان الرسول: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾.

﴿كَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ أي: بلقاء ما فيها من الحساب والجزاء.

﴿مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ منه، وحذف لدلالة ما قبله عليه، أو حذف الضمير والمعنى: من مشروبكم.

﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ في موضع الرفع بأنّه فاعل فعل هو جزاء الشرط، كأنّه قال: أيعدكم أنّكم إذا متّم وقع إخراجكم؟. والجملة الشرطية في موضع رفع بأنّها خبر عن ﴿أَنَّكُمْ﴾، أو كرر ﴿أَنَّكُم﴾ للتأكيد، فيكون ﴿مُّخْرَجُونَ﴾ خبراً عن الأوّل، وحسن التكرير لفصل ما بين الأوّل والثاني بالظرف، أو ارتفع قوله: ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ بالظرف على تقدير: أيعدكم أنّكم وقت موتكم وكونكم ﴿تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ إخراجكم، ويكون الظرف مع ما ارتفع به خبراً لـ(أنّ).

وقرئ ﴿هَيْهَاتَ﴾ بالفتح والكسر، وعن الزجّاج: (معناه: إنّ البعد لما توعدون﴾[1]، فنزّله منزلة المصدر، ويجوز أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ١٢.

بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، كما أنّ اللام في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[١] لبيان المهيت له.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ ﴿هِيَ﴾ ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه، وأصله: إنّ الحياة إلا حياتنا الدنيا، ثمّ وضع ﴿هِيَ﴾ موضع الحياة لأنّ الخبر يدلّ عليها ويبيّنها، ومثله:

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ[٢]

والمعنى: لا حياة إلا هذه الحياة.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت بعض ويولد بعض، وينقرض قرن ويأتي قرن.

﴿قَلِيلٍ﴾ صفة للزمان، كقديم وحديث في قولك: ما رأيته قديماً ولا حديثاً، وفي معناه: عن قريب، و(ما) توكيد بمعنى: قلة المدة وقصرها.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
(٤١) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا
وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ
فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٤)
ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥) إِلَى
فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ
لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ
الْمُهْلَكِينَ (٤٨) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩) وَجَعَلْنَا
ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠)﴾

---

(١) يوسف: ٢٣.

(٢) ديوان علي بن الجهم: ١٦٢، وبقيته: وللدهر أيّام تجور وتعدل.

﴿ٱلصَّيۡحَةُ﴾ صيحة جبرائيل عليه السلام، صاح بهم فدمّرهم ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ باستحقاقهم العذاب، أو بالعدل من الله.

والغثاء: حميل السيل مما اسودّ وبلي من العود والورق، شبّه دمارهم بذلك.

﴿فَبُعۡدٗا﴾ أي: سحقاً، وهو من المصادر الموضوعة مواضع أفعالها، أي: بعدوا وهلكوا، يقال: بَعُد بُعداً وبَعداً، قال:

إِخْـوَتِي لَا تَبْعُـدُوا أَبَـداً   وَبَـلَى وَاللهِ قَـدْ بَعَـدُوا[1]

و﴿لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بيان لمن دعي عليه بالبعد كما ذكرناه في ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾[2].

﴿أَجَلَهَا﴾ الوقت الذي حدّ لهلاكها.

﴿تَتۡرَا﴾ فعلى، والألف للتأنيث، أي: أرسلناها متواترة يتبع بعضهم بعضاً، واحداً بعد واحد، وقرئ: تترا ـ بالتنوين ـ، والتاء بدل من الواو.

وأضاف الرسل إلى نفسه هنا، وإلى أممهم في قوله: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾[3]، لأنّ الإضافة تكون بالملابسة، والرسول يلابس المرسل والمرسل إليه جميعاً.

﴿فَأَتۡبَعۡنَا﴾ الأمم أو القرون ﴿بَعۡضَهُم بَعۡضٗا﴾ في الإهلاك ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ أخباراً يسمر بها.

والأحاديث: اسم جمع للحديث، ويكون جمعاً أيضاً للأحدوثة التي هي

---

(١) البيت لفاطمة بنت الأحجم الخزاعية. ديوان الحماسة: ٢٥٨ وفيه: اخوتا لا تبعدوا....

(٢) الآية: ٣٦.

(٣) فاطر: ٢٥.

مثل الأعجوبة والأضحوكة، وهي ما يتحدّث به الناس تعجباً، وهو المراد هنا.

والمراد بالسلطان المبين: العصا، لأنّها كانت أم آيات موسى، وقد تعلّقت بها معجزات شتى، كانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر يضربهما بها، فجعلت كأنّها ليست بعضها، فعطفت عليها كقوله: ﴿جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[1]، ويجوز أن يراد به الآيات أنفسها، أي: هي آيات وحجّة ظاهرة بيّنة.

﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: متكبرين، من قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[2]، أو متطاولين على الناس ببغيهم وظلمهم.

﴿لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ لإنسانين خلقهما مثل خلقنا، والبشر يكون واحداً وجمعاً، و(مثل) و(غير) يوصف بهما الإثنان والجمع والمذكر والمؤنث، كقوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾[3]، ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[4]، ويقال أيضاً: هما مثلاه، وهم أمثاله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[5].

﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿عَابِدُونَ﴾ أي: مطيعون لنا طاعة العبد لمولاه.

أي: أعطينا قوم موسى التوراة لكي يهتدوا إلى طريق الحقّ، ويعملوا بشرائعها.

﴿ءَايَةً﴾ أي: حجّة على قدرتنا على الاختراع، فهو مثل قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا

---

(١) البقرة: ٩٨.

(٢) القصص: ٤.

(٣) النساء: ١٤٠.

(٤) الطلاق: ١٢.

(٥) الأعراف: ١٩٤.

﴿وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[١]، وذلك أنّ الآية في كليهما واحدة، وهي: أنّ عيسى عليه السلام خلق من غير ذكر، ومريم حملت من غير فحل.

﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ أي: وجعلنا مكانهما ومأواهما أرضاً مرتفعة، وهي أرض بيت المقدس، فإنّها كبد الأرض، وأقرب الأرض إلى السماء، وقيل: فلسطين والرملة[٢]، وقيل: هي حيرة الكوفة وسوادها[٣].

والقرار: المستقر من أرض مستوية منبسطة. وعن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام: ((القرار: مسجد الكوفة، والمعين: الفرات))[٤]. وأصله الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض، واختلف في زيادة ميمه، فقيل: إنّه مفعول من عانه: إذا أدركه بعينه، وقيل: إنّه فعيل من الماعون وهو المنفعة، أي: نفاع لظهوره وجريه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾
فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾
فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ
وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

قيل: إنّه خطاب لنبيّنا صلى الله عليه وآله[٥]، وفيه إعلام بأنّ كل رسول في زمانه مأمور بذلك وموصى به.

---

(١) الأنبياء: ٩١.

(٢) عن أبي هريرة. تفسير الطبري ج١٨: ٢٠.

(٣) تفسير القمي ج٢: ٩١.

(٤) معاني الأخبار: ٣٥٥ عن عليّ عليه السلام، وكلامهم واحد. كامل الزيارات: ٤٨ عن الصادق عليه السلام.

(٥) عن الحسن وغيره. معالم التنزيل ج٣: ٦١.

والمراد بـ﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: ما طاب وحلّ، وقيل: هنا كل ما يستطاب ويستلذ من الأكل والفواكه[١]، ويشهد لذلك مجيئه في إثر قوله: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. ويجوز أن يكون وقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم إلى الربوة، فذكر على سبيل الحكاية، أي: آويناهما وقلنا لهما هذا، فعلّمهما أنّ الرسل كلهم خوطبوا به، فكلا مما رزقناكما واعملا صالحاً اقتداء بالرسل.

وقرئ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ بالكسر على الاستئناف، وأنّ ـ بالفتح ـ بمعنى: ولأنّ، وأن مخففة من الثقيلة، و﴿أُمَّتُكُمۡ﴾ مرفوعة معها.

وقرئ: ﴿زُبُرًا﴾ جمع زبور، أي: كتباً مختلفة، يعني: جعلوا دينهم أدياناً، وقرئ: زُبَراً، أي: قطعاً، استعيرت من زبر الفضة والحديد.

و﴿كُلُّ﴾ فرقة من فرق هؤلاء المختلفين الذين تقطّعوا دينهم فرح بباطله، معتقداً أنّه على الحقّ، راض بما عنده.

﴿فِي غَمۡرَتِهِمۡ﴾ أي: فيما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم، وأصل الغمرة: الماء الذي يغمر القامة، أو شبههم الله باللاعبين في الغمرة لما هم عليه من الباطل، قال ذو الرمة:

كَأَنَّنِي ضَـارِبٌ فِي غَمْـرَةٍ لَعِـبُ[٢]

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى أن يقتلوا أو يموتوا، أي: يحسبون هذه الأمداد مسارعة ﴿لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ ومعاجلة بالثواب قبل وقته، وليس ذلك إلا استدراجاً لهم إلى الهلاك.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ١٥.

(٢) ديوان شعر ذي الرمة: ٧، وصدره: ليالي اللهو يطبيني فأتبعه.

و﴿بَلْ﴾ استدراك لقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ أي: بل هم أشباه البهائم لا فطنة لهم حتى يتأملوا ويتفكروا أهو استدراج أم مسارعة في الخيرات. والراجع من خبر (أن) إلى اسمه محذوف، والتقدير: نسارع به.

إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ
مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي
ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ وَلَدَيْنَا
كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا
وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا
مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا
تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ
تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾

﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ أي: يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقة، وقيل: أعمال البرّ كلها[1].

﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ الصادق عليه السلام: ((أي: خائفة أن لا يقبل منهم))[2]. وعنه عليه السلام: ((يؤتي ما آتى وهو خائف راج))[3]. وعن الحسن: (المؤمن جمع إحساناً وشفقة، والمنافق جمع إساءة وأمناً)[4]، لأنهم أو بـ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ وحذف الجار، أي:

---

(١) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج١٨: ٢٥.

(٢) الكافي ج٨: ٢٢٩.

(٣) كتاب الزهد: ٢٤، وفيه: خاش راج.

(٤) تفسير الطبري ج١٨: ٢٥.

لإيقانهم بأنّهم راجعون إلى الله وجلت قلوبهم، إذ لم يأمنوا التفريط.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ أي: هم الذين يبادرون إلى الطاعات رغبة منهم فيها.

﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ أي: فاعلون السبق لأجلها، أو سابقون الناس لأجلها.

أي: وهذا الذي وصف به الصالحون ليس بخارج من حد الوسع والطاقة، وكل ما عمله العباد من التكاليف مثبت عندنا في كتاب ناطق بالحقّ، وهو صحيفة الأعمال يقرؤون فيه يوم القيامة ما هو صدق وعدل، لا زيادة فيه ولا نقصان، يوفون أجور أعمالهم.

﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ أي: لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد في عقابهم، ولا يؤاخذون بذنب غيرهم.

﴿بَلۡ﴾ قلوب الكفار ﴿فِي غَمۡرَةٖ﴾ أي: غفلة غامرة لها ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ أي: من هذا الكتاب المشتمل على الوعد والوعيد وهو القرآن، أو من هذا الذي عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ﴿وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ﴾ متجاوزة لذلك أي: لما وصف المؤمنون به ﴿هُمۡ لَهَا﴾ معتادون، وبها مشتغلون.

﴿حَتَّىٰٓ﴾ يأخذهم الله ﴿بِٱلۡعَذَابِ﴾: و(حتى) هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام، والعذاب: قتلهم يوم بدر، أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: ((اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنيّ يوسف))[١]، فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد[٢] والأولاد.

---

(١) سنن الدارمي ج١: ٣٧٤، الفصول المختارة: ٢٢٥.

(٢) القد ـ بالكسر ـ: سير يقد من جلد غير مدبوغ. (الصحاح: مادة قدد)

تجأرون أي: تصيحون وتصرخون باستغاثة، أي: يقال لهم حينئذ: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟﴾ فإنّ الجؤار غير نافع لكم ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: لا تغاثون ولا تمنعون منا، أو من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للبيت الحرام أو للحرم، والباء يتعلّق بـ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾، كانوا يستكبرون به على الناس ويفخرون بأنّهم ولاته، أو يكون الضمير لآياتي لأنّها في معنى كتابي، ومعنى استكبارهم بالقرآن: تكذيبهم به استكباراً، ضمّن ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ معنى مكذبين فعدّي تعديته، أو استكبروا بسببه فلم يقبلوه، وعلى هذا فالوقف يكون على ﴿بِهِۦ﴾.

ويجوز أن يتعلّق الباء بـ﴿سَٰمِرًا﴾ أي: يسمرون بالطعن في القرآن وتسميته سحراً أو شعراً، وبسب النبيّ ﷺ. والسامر: القوم الذين يسمرون ليلاً، ويجوز أن يتعلّق بـ﴿تَهْجُرُونَ﴾ أيضاً، أي: تهذون بذلك. فعلى هذين الوجهين يجوز الوقف على ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾. وقرئ: تهجرون ـ بضم التاء ـ، من أهجر الرجل في منطقه أي: أفحش، والهُجر بالضم: الفحش، و﴿تَهْجُرُونَ﴾ بالفتح يجوز أن يكون معناه: تهجرون آياتي وكتابي فلا تنقادون له وتكذّبون به، من الهجر بالفتح.

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ
لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ
بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ
أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم
بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ
خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ

لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي
طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ
لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾

﴿ٱلْقَوْلَ﴾ القرآن، يقول: ﴿أَفَلَمْ﴾ يتدبّروا القرآن ليعرفوا أنّه الحقّ الدال على صدق نبيّنا، بل أجاءهم ﴿مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ﴾ فلذلك استبدعوه وأنكروه، كما قال: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾[1]، أو ليخافوا عند تدبّر آياته مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ﴿أَمْ جَآءَهُم﴾ من الأمن ﴿مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ﴾ حيث خافوا الله فآمنوا به وأطاعوه، وآباؤهم: إسماعيل وأعقابه. وعن النبيّ ﷺ: ((لا تسبّوا مضر ولا ربيعة فإنّهما كانا مسلمين، ولا تسبّوا الحرث بن كعب ولا أسد بن خزيمة ولا تميم بن مرة فإنّهم كانوا على الإسلام، وما شككتم فيه من شيء فلا تشكّوا في أنّ تبّعاً كان مسلماً))[2].

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ﴾ محمّداً وشرفه في نسبه وصدق لسانه وأمانته، وأنّه كما قال أبو طالب في خطبته لنكاح خديجة: (لا يوزن برجل إلا رجح)[3].

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ أي: جنون وهم يعلمون أنّه بريء منها، وأنّه أرجح الناس عقلاً، وأجلّهم قدراً، وأتقنهم رأياً، ولكنّه جاءهم بما خالف أهواءهم، ولم يوافق ما ألفوه ونشؤوا عليه، ولم يمكنهم دفعه لأنّه الحقّ المبين، فعوّلوا على البهت من النسبة إلى الجنون والسحر والشعر.

---

(١) يس: ٦.

(٢) أنساب الأشراف ج١: ٣١ باختصار.

(٣) الكافي ج٥: ٣٧٤، الكامل في اللغة والأدب ج٤: ٤.

ثمّ عظّم سبحانه شأن الحقّ بأنّ السماوات والأرض ومن فيهن لم يقم إلا به، ولو اتبع أهواءهم لانقلب باطلاً، ولذهب ما يقوم به العالم. ويجوز أن يكون المراد بالحقّ الإسلام، أي: ولو اتبع أهواءهم وانقلب شركاً لأهلك الله العالم، ولجاء بالقيامة ولم يؤخره، وعن قتادة: (الحقّ هو الله)[1]، أي: لو اتبع الله أهواءهم وأمر بالشرك لما كان إلهاً.

﴿أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: بالكتاب الذي هو ذكرهم، أي: شرفهم وصيتهم وفخرهم، أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[2].

وأصل الخرج والخراج واحد، وهو ما تخرجه إلى الإمام والعامل من أجرة أرضك، والخرج أخصّ من الخراج، يعني: أم تسألهم على هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق، فالكثير من عطاء الخالق خير.

ألزمهم سبحانه الحجّة في هذه الآيات بأنّ الذي أرسله إليهم رجل معروف أمره، مخبور علانيته وسرّه، صالح لأن يصطفى للرسالة، جدير به، فإنّه لم يعهد منه إلا الصدق ووفور العقل والشهامة والأمانة حتى يدّعي النبوّة بباطل، ولم يجعل ذلك ذريعة إلى استعطاء أموالهم، ولم يدعهم إلا إلى الصراط السوي الذي هو دين الإسلام، هذا مع إبراز المكنون من أدوائهم، وهو إخلالهم بالتدبّر، وشغفهم بتقليد الآباء للضلال من غير برهان، وتعللهم بأنّه مجنون بعد ثبات تصديقه من الله بالمعجزات والدلالات، وإعراضهم عما فيه حظهم من الذكر والشرف.

﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ أي: عادلون عن هذا الصراط المذكور.

---

(١) الكشاف ج٣: ١٩٦.

(٢) الصافات: ١٦٨، ١٦٩.

ولما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة، وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز - وهو دم القراد مع الصوف - جاء أبو سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ فقال له: أنشدك بالله والرحم، ألست تزعم أنّك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال: بلى، قال: قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع[١].

والمعنى: لو كشف الله تعالى عنهم هذا الضرّ ـ وهو الهزال والقحط الذي أصابهم ـ برحمته عليهم ووجدوا الخصب، لرجعوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار، ولتمادوا في غوايتهم يترددون. واستشهد على ذلك بأنّا أخذناهم بالسيوف، وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم، فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرّع، حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو آلم العذاب وأشدّ من الأسر والقتل، فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم، وجاء أعتاهم في العناد والاستكبار يستعطفك، أو محنّاهم بكل محنة من الجوع والقتل فما رئي منهم لين قياد وهم كذلك حتى إذا عذّبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون، كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾[٢].

والإبلاس: اليأس من كل خير، وقيل: هو السكون مع التحيّر[٣]، واستكان: هو استفعل من الكون، أي: انتقل من كون إلى كون، كاستحال: إذا انتقل من حال إلى حال، أو هو افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه، كما قيل:

بِمُنْتَزَاحِ[٤]

---

(١) الكشف والبيان ج٧: ٥٣.

(٢) الروم: ١٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٢٠.

(٤) ديوان إبراهيم بن هرمة: ٨٧، وتمامه: وأنت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح.

وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾
وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ
وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلۡ
قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا
وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ
إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ
إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾
سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ
كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ
وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾

إنّما خصّ ﴿ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ لأنّه يتعلّق بها من المنافع الدينية والدنيوية مالا يتعلّق بغيرها، وإحدى منافعها أن يستعملوها في آيات الله تعالى وأفعاله، فيستدلّوا بذلك على توحيده، ويشكروا نعمه، فإنّ مقدّمة شكر النعمة الإقرار بالمنعم بها، وأن لا يجعل معه شريك.

[﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾][(١)] أي: ﴿تَشۡكُرُونَ﴾ شكراً قليلاً، و﴿مَا﴾ مزيدة للتأكيد.

ومعنى ﴿ذَرَأَكُمۡ﴾: خلقكم وبثكم بالتناسل ﴿وَإِلَيۡهِ﴾ تجمعون بعد تفرقكم.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

﴿وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ أي: هو المختص به، وهو يتولاه ولا يقدر على تصريفهما غيره. وقرئ: أفلا يعقلون ـ بالياء ـ.

﴿بَلۡ قَالُواْ﴾ أي: قال أهل مكة كما ﴿قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ المنكرون للحشر.

والأساطير: جمع أسطورة، وهي ما كتبه الأوّلون وسطروه مما لا حقيقة له.

ثمّ احتج عليهم بما فيه تجهيل لهم، والمراد: أجيبوني عما استعملتكم فيه إن كان عندكم فيه علم ﴿أَفَلَا﴾ تتذكرون فتعلموا أنّ من فطر الأرض ومن فيها من العقلاء وغيرهم، كان قادراً على الإعادة إذ ليس ذلك بأعظم منه، وكان حقيقاً بأن لا يشرك به في الإلهية بعض مخلوقاته.

قرئ الأوّل ﴿لِلَّهِ﴾ باللام، وفي الآيتين بعده باللام وغير اللام، لأنّ قولك: (من ربّه) و(لمن هو) في معنى واحد.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: أفلا تخافونه! فلا تشركوا به.

يقال: أجار الرجل فلاناً على فلان أي: أغاثه منه ومنعه، أي: من يجير من يشاء على من يشاء ولا يجير عليه أحد من أراده بسوء.

﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ أي: فكيف تخدعون عن توحيده ويموّه عليكم؟! كما قال امرؤ القيس:

أَرَانَا مُوضَعِينَ لِحَتْمِ غَيْبٍ   وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ[1]

أي: نخدع، والخادع هو الشيطان، أو الهوى.

﴿بَلۡ﴾ جئناهم ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ بأنّ الشرك باطل، ونسبة الولد إليه محال ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ بادعائهم الشرك ونسبتهم إليه الولد.

---

(١) ديوان امرئ القيس: ٩٧، وفيه: لأمر غيب.

مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ
بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ
﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل
رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ
بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ
أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ
﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ
أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم
بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿إِذًا﴾ تكون جزاءً وجواباً لكلام متقدّم، وهاهنا شرط محذوف، والتقدير: ولو كان معه آلهة ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ أي: لانفرد كل واحد من الآلهة بما خلقه من الخلق واستبد به، ولرأيتم ملك كل واحد من الآلهة متميزاً من ملك الآخرين، ولغلب بعضهم بعضاً، كما أنّ ملوك الدنيا يتغالبون ويطلب بعضهم قهر بعض، وممالكهم متمايزة، فحين لم تروا أثراً لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنّه إله واحد منزّه ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الأولاد والأنداد.

قرئ: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ بالجر صفة لـ(لله)، وبالرفع خبر مبتدأ محذوف.

والنون و(ما) مؤكدتان، لـ(أن) أي: إن كان لابد أن تريني ما وعدوه من العذاب في الدنيا أو في الآخرة ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾ فيهم، وأخرجني من بينهم إذا أردت إحلال العذاب بهم. وعن الحسن: (أخبره الله سبحانه أنّ له في أمّته نقمة،

ولم يخبره أفي حياته هي أم بعد وفاته، فأمره أن يدعو بهذا الدعاء)[١]. وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله: أنّه ﷺ قال في حجّة الوداع وهو بمنى: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنّي في كتيبة يضاربونكم، فغمز من خلفه منكبه الأيسر، فالتفت فقال: أو عليّ)) فنزلت الآيات[٢].

وقوله: ﴿رَبِّ﴾ مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء، حثّ على فضل تضرّع وجوار وإنّا لقادرون على إنجاز ما نعدهم، ولكن ننظرهم ونمهلهم.

﴿ٱدۡفَعۡ﴾ السيئة بالحسنى، وهو الصفح عنها ومقابلتها بالإحسان ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا﴾ يذكرونه من أحوالك بخلاف صفتها أو بوصفهم وسوء ذكرهم، وأقدر على جزائهم.

﴿أَعُوذُ بِكَ﴾ أي: أعتصم بك ﴿مِنۡ﴾ نزغات ﴿ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ والهمز: النخس، ومنه: مهماز الرائض. والشياطين يحثّون الناس على المعاصي كما تهمز الراضة الدواب يحثّونها على المشي، ونحوه: ﴿تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾[٣]. فأمر عزّ اسمه بالتعوّذ من نخساتهم بلفظ المتضرّع إلى ربّه المكرر لندائه، وبالتعوّذ من أن يحضروه أصلاً ويشهدوه، وعن ابن عباس: (عند تلاوة القرآن)[٤]، وعن عكرمة: (عند النزع)[٥]. والأظهر أنّه في الأحوال كلها حتى يتعلّق بـ﴿يَصِفُونَ﴾ أي: لا يزالون

---

(١) الكشاف ج٣: ٢٠١.

(٢) شواهد التنزيل ج١: ٤٠٣.

(٣) مريم: ٨٣.

(٤) الكشاف ج٣: ٢٠٢.

(٥) الكشاف ج٣: ٢٠٢.

على سوء الذكر إلى هذا الوقت.

﴿ٱرۡجِعُونِ﴾ خطاب لله تعالى بلفظ الجمع للتعظيم، إذا أيقن بالموت تحسّر على ما فرّط فيه فسأل ربّه الرجعة وقال: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ في الذي تركته من المال، وفيما ضيّعته من الطاعات، وقيل: هو في الزكاة[١]. وسئل الرضا عليه السلام: ((أيعرف القديم سبحانه الشيء الذي لم يكن أنّه لو كان كيف كان يكون؟ فقال: أما قرأت قوله عزّ اسمه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[٢]، وفي موضع آخر: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فقد عرف الشيء الذي لم يكن ولا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وقوله سبحانه ـ يحكي قول الأشقياء ـ: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٣] فقد علم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون))[٤].

و﴿كَلَّآ﴾ معناه: ردع عن طلب الرجعة، وإنكار واستبعاد ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ بلسانه لا حقيقة لها، أو هو قائلها وحده لا تسمع منه. ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ﴾ والضمير للجماعة، أي: أمامهم حائل وحاجز بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث من القبور.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ

---

(١) عن الصادق عليه السلام. ثواب الأعمال: ٢٣٥.

(٢) الأنبياء: ٢٢.

(٣) الأنعام: ٢٨.

(٤) كتاب التوحيد: ٣١ باختلاف يسير.

خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ
تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ
عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ
عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ
كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم
مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا يتواصلون بالأنساب ولا يتعاطفون بها مع معرفة بعضهم بعضاً، أو يتفرقون معاقبين ومثابين. وعن النبيّ ﷺ: ((كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي))[1].

﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله وخبره، لشغل كل واحد منهم بنفسه، وأما قوله: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾[2]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[3] فقد سئل عنه ابن عباس فقال: (هذه تارات يوم القيامة)[4]، يعني: إنّ للقيامة أحوالاً مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها، ويشغلهم عظم الهول عن المساءلة في بعضها.

والموازين: جمع موزون، وهي الموزونات من الأعمال التي لها قدر ووزن عند الله.

---

(١) شواهد التنزيل ج١: ٥٣٠، أمالي الشيخ الطوسي ج١: ٣٥٠.

(٢) يونس: ٤٥.

(٣) الصافات: ٢٧.

(٤) معالم التنزيل ج٣: ٦٤.

وقوله: ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ بدل من ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، أو يكون خبراً لـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿تَلْفَحُ﴾ أي: يصيب وجوههم لفح النار، وعن الزجّاج: (اللفح والنفح واحد، إلا أنّ اللفح أشدّ تأثيراً)[١]. والكلوح: أن تتقلص الشفتان عن الأسنان.

﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾ أي: ملكتنا، من قولهم: غلبني فلان على كذا إذا أخذه منه. وقرئ: ﴿شِقْوَتُنَا﴾ و شقاوتنا ومعناهما واحد، وهو سوء العاقبة الذي استحقّوه بسوء أعمالهم.

﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ أي: ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب إذا زجرت، يقال: خسئ الكلب فخسأ، لازم ومتعد، ولا تكلّموني في رفع العذاب فإنّه لا يرفع.

﴿سِخْرِيًّا﴾ قرئ بضم السين وكسرها، وهو مصدر سخر كالسخر، إلا أنّ في الياء زيادة قوة في الفعل، وقيل: إنّ المكسور من الهزء، والمضموم من السخرة والعبودية[٢]، أي: سخرتموهم واستعبدتموهم ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ﴾ بتشاغلكم بهم عن تلك الصفة ﴿ذِكْرِي﴾ فتركتموه، أي: تركتم أن تذكروني فتخافوني في أوليائي.

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ
لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ
فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا
تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٢٣.

(٢) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج١٨: ٤٧.

﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ
لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾
وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

قرئ: ﴿أَنَّهُمْ﴾ بفتح الهمزة وكسرها، فالفتح على أنّه مفعول ﴿جَزَيْتُهُمُ﴾، والكسر استئناف، أي: قد فازوا حيث صبروا فجزوا أحسن الجزاء بصبرهم.

والضمير في ﴿قَالَ﴾ لله تعالى، أو للسائل عن لبثهم، وقرئ: (قل) في الموضعين على معنى: قل أيّها السائل عن لبثهم. استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم في النار، أو لم يشعروا بطول لبثهم في القبور لكونهم أمواتاً، أو لأنّ المنقضي في حكم ما لم يكن. وصدّقهم الله في تقللهم لسني لبثهم في الدنيا، ووبّخهم على غفلتهم التي كانوا عليها.

والمراد بـ﴿ٱلْعَآدِّينَ﴾: الملائكة، [لأنّهم أحصوا أعمال العباد وأيّامهم، وقيل: هم الحسّاب(١)، أي: فاسأل الملائكة](٢) الذين عدّوا أعمار الخلق، أو من يقدر أن يلقي فكره إلى العدّ فإنّا لا نعرف عدد تلك السنين إلا أن نستقلها ونحسبها ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

﴿عَبَثًا﴾ حال، أي: عابثين، أو مفعول له، أي: ما ﴿خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ للعبث بل للحكمة التي اقتضته، وهي أن نتعبدكم ونكلفكم الطاعات ثمّ نعيدكم في دار الجزاء لنثيب ونعاقب، وقرئ: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بفتح التاء.

و﴿ٱلْحَقُّ﴾ الثابت الذي لا يزول، أو الذي يحقّ له الإلهية والملك فلا

---

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج١٨: ٤٩.

(٢) ساقطة من ج.

يزول ملكه، وكل ملك غيره فملكه مستعار، وإنّما يملك بعض الأشياء من بعض الوجوه، وهو ﴿ٱلۡمَلِكُ﴾ المالك لجميع الأشياء من جميع الوجوه.

ووصف العرش بالكرم لأنّ الرحمة تنزل منه، وينال الخير والبركة من جهته، ولنسبته إلى أكرم الأكرمين.

﴿لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ صفة لازمة، نحو قوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾[1] جيء بها للتوكيد، أو هو اعتراض بين الشرط والجزاء، كما يقال: من أحسن إلى فلان لا أحقّ بالإحسان منه، فالله مثيبه.

---

(١) الأنعام: ٣٨.

سورة النور

مدنية، أربع وستون آية.

في حديث أُبيّ: ((من قرأها أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى))[1]، الصادق عليه السلام: ((حصّنوا أموالكم وفروجكم بتلاوة (سورة النور)...))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾
ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى
دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ
إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

﴿سُورَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ موصوف بـ﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾ والخبر محذوف أي: فيما يتلى عليكم ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾. وقرئ في الشواذ: سُورَةً أنزلناها ـ بالنصب ـ على زيداً ضربته. و﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾ تفسير للفعل المضمر، أو على اقرأ سورة و﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾

---

(١) الكشف والبيان ج٧: ٦٢.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٩

صفة.

﴿وَفَرَضۡنَٰهَا﴾ أي: فرضنا أحكامها التي فيها، أي: جعلناها واجبة مقطوعاً بها، وأصل الفرض القطع. وقرئ: فَرَّضْنَاهَا ـ بالتشديد ـ وهو للتوكيد وللمبالغة في الإيجاب، أو لأنّ فيها فرائض شتى، تقول: فرضت الفريضة وفرّضت الفرائض. وقرئ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتشديد الذال وتخفيفها.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ رفعهما على الابتداء، والخبر محذوف، والتقدير: فيما فرض عليكم الزانية والزاني أي: جلدهما، ويجوز أن يكون الخبر ﴿فَٱجۡلِدُواْ﴾ لأنّ الألف واللام بمعنى (الذي)، والتقدير: الذي زنا والتي زنت فاجلدوهما، كما تقول: من زنا فاجلدوه.

والجلد: ضرب الجلد، تقول: جلده كما تقول: ظهره وبطنه وركبه، وهذا حكم من ليس بمحصن من الزناة الأحرار البالغين، فأما المحصن فحكمه الرجم.

وقرئ: رأفة ـ بفتح الهمزة ـ، والمعنى: إنّ الواجب على المؤمنين أن يستعملوا الجد في دين الله، ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده، وقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ من باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه. وقيل: معناه: ﴿لَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا﴾ رحمة تمنعكم عن إقامة الحدّ عليهما فتعطلوا الحدود، أو من الضرب الشديد، بل أوجعوهما ضرباً ولا تخففوا كما يخفف في حدّ الشارب.

والرجل يجلد قائماً على حالته التي وجد عليها ضرباً وسطاً مفرّقاً على الأعضاء كلها، لا يستثنى منها إلا ثلاثة: الوجه والرأس والفرج. وفي لفظ الجلد إشارة إلى أنّه لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم. والمرأة تجلد قاعدة عليها ثيابها قد ربطت عليها حتى لا تبدو عورتها.

وفي تسميته عذاباً دليل على أنّه عقوبة، ويجوز أن يسمّى عذاباً لأنّه يمنع من

المعاودة كما يسمّى نكالاً.

والطائفة: الفرقة الحافة حول الشيء، وهم ثلاثة فصاعداً، وهي صفة غالبة، وعن الباقر عليه السلام وابن عباس والحسن وغيرهم: أنّ أقلّها رجل واحد[1]. وينبغي أن لا يشهد إلا خيار الناس.

الفاسق: الذي من شأنه الزنا، لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء اللاتي على خلاف صفته، وإنّما يرغب في زانية مثله أو مشركة، وكذلك الزانية المسافحة المشهورة بذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها، وإنّما يرغب فيها من هو من شكلها.

وإنّما قرن سبحانه بين الزاني والمشرك تفخيماً لأمر الزنا واستعظاماً له، ومعنى الجملة الأولى: وصف الزاني بكونه غير راغب في العفائف لكن في الزواني، ومعنى الجملة الثانية: وصف الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفّاء ولكن للزناة، وبينهما فرق.

وإنّما قدّمت الزانية على الزاني في الأولى، لأنّ الآية مسوقة لعقوبتهما على جنايتهما، والمرأة منها منشأ الجناية وهي الأصل والمادة في ذلك، ثمّ قدّم الزاني عليها في الثانية، لأنّ الآية مسوقة لذكر النكاح، والرجل هو الأصل فيه والخاطب، ومنه مبدأ الطلب.

وحرّم الزنا ﴿وَحُرِّمَ﴾ نكاح المشهورات بالزنا ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

(١) ينظر: الدر المنثور ج٥: ١٨، تهذيب الأحكام ج١٠: ١٥٠.

ذكر سبحانه حدّ الزنا، ثمّ ذكر حدّ القذف بالزنا، أي: يقذفون العفائف من النساء بالزنا والفجور.

﴿ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ﴾ عدول يشهدون بأنّهم شاهدوهن يفعلن ذلك ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾ والواجب أن يحضروا في مجلس واحد، فإن جاؤوا متفرقين كانوا قذفة.

ويقتضي نظم الآية أن تكون هذه الجمل الثلاث بأجمعها جزاء للشرط، فيكون التقدير: من قذف المحصنات فاجلدوهم وردّوا شهادتهم وفسّقوهم، أي: فاجمعوا لهم الجلد وردّ الشهادة والتفسيق.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ عن القذف ﴿وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ يغفر لهم، فلا يجلدون ولا تردّ شهادتهم ولا يفسّقون.

والأبد: اسم لزمان طويل انتهى أولم ينته، فإذا تاب القاذف قبلت شهادته، سواء حدّ أولم يحدّ، عن أئمّة الهدى عليهم السلام[١] وابن عباس[٢]، وهو مذهب الشافعي[٣]. ومن شرط توبة القاذف أن يكذّب نفسه، فإن لم يفعل ذلك لم تقبل شهادته.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٠﴾

---

(١) ينظر: الوسائل ج١٨ باب ٣٦ من أبواب الشهادات.

(٢) الدر المنثور ج٥: ٢١.

(٣) كتاب الأم ج٧: ٨١.

روي: أنّه لما نزلت آية القذف قام عاصم بن عدي الأنصاري(١) فقال: يا رسول الله، إن رأى رجل منا مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى جُلد ثمانين! وإلى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى، قال: كذلك أنزلت يا عاصم. فخرج فلم يصل إلى منزله حتى استقبله هلال بن أمية يسترجع، فقال: ما وراءك؟ قال: شرّ، وجدت على بطن امرأتي خولة شريك بن سمحاء، فقال: هذا والله سؤالي، فرجعا، فأخبر عاصم رسول الله، فبعث إليها فقال: ما يقول زوجك؟ فقالت: لا أدري، ألغيرة أدركته أم بخلاً على الطعام، وكان شريك نزيلهم، فنزلت الآيات ولاعن بينهما(٢). وقرئ: أَرْبَعَ شَهَادَاتً ـ بالنصب ـ لأنّه في حكم المصدر الذي هو ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ وهي مبتدأ محذوف الخبر، فيكون التقدير: فواجب أن يشهد أحدهم أربع شهادات، ويكون ﴿بِٱللَّهِ﴾ من صلة ﴿شَهَٰدَٰتٍ﴾، وفي الرفع يكون ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾ خبراً.

وقرئ: أَنْ لَعْنَةُ اللهِ، وَأَنْ غَضَبُ اللهِ على تخفيف (أن) ورفع ما بعدهما. وقرئ بنصب الخامسة الثانية على معنى: وتشهد الخامسة.

وصفة اللعان: أن يوقف الرجل بين يدي الحاكم والمرأة عن يمينه، فيقول الرجل أربع مرات: أشهد بالله أنّي لمن الصادقين فيما ذكرته من الفجور عنها، ثمّ يقول في المرة الخامسة: لعنة الله عليّ إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به. ويدفع عن المرأة العذاب ـ وهو حد الزنا ـ أن تقول: أشهد بالله أنّه لمن الكاذبين فيما قذفني به، أربع مرات، مرة بعد أخرى، وتقول في الخامسة: غضب الله عليّ إن كان من

---

(١) عاصم بن عدي بن الجد العجلاني الأنصاري، شهد أُحداً وما بعدها، قيل: إنه مات سنة ٤٥هـ عن ١١٥ سنة. ينظر: الإصابة ج٢: ٢٤٦.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ج٧: ٧٠.

الصادقين فيما قذفني به. ثمّ يفرّق الحاكم بينهما، ولا تحلّ له أبداً، وكان عليها العدّة من وقت اللعان. وإن نكل الرجل عن اللعان قبل استكمال الشهادات وجب عليه حدّ القذف.

وجواب ﴿لَوۡلَا﴾ متروك، وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ
لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ
لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ
بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ
شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ
﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ
فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ
بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ
﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ
هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم
مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ
ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٠﴾

الإفك: أبلغ الكذب، وأصله من الإفك وهو القلب، لأنّه قول مأفوك عن وجهه، والمراد: ما أفك به على عائشة وصفوان بن المعطل. والعصبة: الجماعة من العشرة إلى أربعين، وكذلك العصابة، واعصوصبوا: اجتمعوا، وهم: عبد الله بن

أُبيّ ـ وهو الذي ﴿تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ أي: إثمه ـ، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ﴾ من تلك العصبة نصيبه ﴿مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ على مقدار خوضه في الإفك، والعذاب العظيم لابن أُبيّ، لأنّ معظم الشرّ كان منه، يشيع ذلك في الناس ويقول: امرأة نبيّكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثمّ جاء يقودها، والله ما نجت منه ولا نجا منها.

والخطاب في قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لعائشة وصفوان لأنّهما المقصودان بالإفك، ولمن ساءه ذلك من المؤمنين ولكل من رمي بسب، ومعنى كونه خيراً لهم: إنّ الله تعالى يعوّضهم بصبرهم.

وكان سبب الإفك: أنّ عائشة ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق، وكانت قد خرجت لقضاء حاجة، فرجعت طالبة له، وحمل هودجها على بعيرها ظناً منهم أنّها فيه، فلما عادت إلى الموضع وجدتهم قد رحلوا، وكان صفوان من وراء الجيش، فلما وصل إلى ذلك الموضع وعرفها أناخ بعيره حتى ركبته وهو يسوقه حتى أتى الجيش وقد نزلوا في قائم الظهيرة. كذا رواه الزهري عن عائشة[1]. وقرئ: كُبْرَهُ ـ بضم الكاف ـ، أي: عظمه.

﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: بالذين هم كأنفسهم، لأنّ المؤمنين كلهم كالنفس الواحدة. ونحوه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[2]، و﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾[3]، وقيل: معناه:

---

(١) سيرة ابن هشام ج٣: ٣٠٩ـ٣١١ .

(٢) الحجرات: ١١.

(٣) النور: ٦١.

هلا ظننتم ما تظنونه بأنفسكم لو خلوتم بها[١]، ولم يقل: ظننتم بأنفسكم خيراً، عدولاً عن المضمر إلى المظهر، وعن الخطاب إلى الغيبة، ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات. ويدلّ على أنّ الاشتراك في الإيمان مقتض أن لا يصدّق مؤمن على أخيه قول غائب، وموجب أن يصرّح ببراءة ساحته وتكذيب قاذفه.

﴿لَوۡلَا﴾ الأولى والثانية للتحضيض، وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره، والمعنى: ولولا أنّي حكمت بأن أتفضل عليكم في الدنيا والآخرة، لعاجلتكم بالعقاب فيما خضتم فيه. يقال: أفاض في الحديث واندفع وخاض.

﴿إِذۡ﴾ ظرف ﴿لَمَسَّكُمۡ﴾ أو لـ﴿أَفَضۡتُمۡ﴾.

﴿تَلَقَّوۡنَهُۥ﴾ يأخذه بعضكم من بعض، يقال: تلقى القول وتلقنه وتلقفه بمعنى، والأصل تتلقونه، وصفهم بارتكاب آثام ثلاثة، وعلّق مس العذاب العظيم بها: وهو التحدّث منهم به حتى انتشر وشاع، وقولهم بأفواههم مالا علم لهم به، واستحقارهم لذلك.

وفصل بين ﴿لَوۡلَا﴾ و﴿قُلۡتُم﴾ بالظرف لفائدة، وهي بيان أنّه كان يجب عليهم أوّل ما سمعوا أن يتفادوا عن التكلّم به، فكان ذكر الوقت أهم، فوجب تقديمه.

﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ فيه تعجب من عظم الأمر، أو تنزيه الله من أن تكون زوجة نبيّه فاجرة.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ في ﴿أَن تَعُودُواْ﴾ من قولك: وعظت فلاناً في كذا فتركه، أو كراهة أن تعودوا أبداً، أي: ما دمتم أحياء مكلفين.

---

(١) التبيان ج٧: ٤١٦.

و﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تهييج لهم، وتذكيرهم بما يوجب ترك العود، وهو اتصافهم بالإيمان الصارف عن القبيح.

﴿تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ أي: تشيعونها عن قصد إلى الإشاعة ومحبّة لها.

وعذاب الدنيا: الحدّ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما في القلوب من الأسرار.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾ أي: ما طهر أحد منكم من وسوسة الشيطان، لكنّه سبحانه يطهّر بلطفه من يشاء، وهو من له لطف يفعله به ليزكو عنده ويصلح به.

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي: لا يحلف، وهو افتعال من الألية، وقرئ: ولا يتألّ، وعن الزجّاج: (يريد أن لا يؤتوا فحذف (لا))[1]، والمعنى: لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى من يستحقّ الإحسان.

﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾ أولو الغنى ﴿مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ في المال، وقيل: معناه: لا

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٣٦.

يقصّروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم إحنة لجناية اقترفوها[١]، من قولهم: ما ألوت جهداً، إذا لم تدّخر منه شيئاً. نزلت في شأن مسطح، وكان ابن خالة أبي بكر، وكان فقيراً، وكان أبو بكر ينفق عليه، فلما خاض في الإفك حلف أن لا ينفق عليه[٢]. وقيل: نزلت في جماعة من الصحابة حلفوا أن لا يتصدّقوا على من تكلّم بشيء من الإفك ولا يواسوهم[٣].

﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عن الفواحش.

وقرئ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾ بالتاء والياء.

والدين: الجزاء، و﴿ٱلْحَقَّ﴾ صفة للدين، أي: يوفيهم الجزاء الحقّ الذي هم أهله.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: العادل، الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه.

ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ
وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُولَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا
غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا
تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ

---

(١) عن محمّد بن بحر. تفسير الماوردي ج٤: ٨٣.

(٢) أسباب النزول: ٢٢٧.

(٣) تفسير الطبري ج١٨: ٨٢.

﴿أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٢٨ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۝٢٩﴾

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾ من الكلم تقال أو تعدّ للخبيثين من الرجال والنساء ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ﴾ منهم يتعرضون للخبيثات من القول، وكذلك الطيبات والطيبون، و﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الطيبين، وأنّهم ﴿مُبَرَّءُونَ﴾ مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم. ويجوز أن يكون المراد بالخبيثات والطيبات النساء، أي: الخبائث يتزوّجن الخباث، والخباث الخبائث، فكذلك أهل الطيب.

﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنّه من الاستئناس، خلاف الاستيحاش، لأنّ الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا، فهو كالمستوحش لخفاء الحال عليه، فإذا أذن له استأنس، فالمعنى: حتى يؤذن لكم، فهو كقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[1]، فوضع الاستئناس موضع الإذن، لأنّ الاستئناس يرادف الإذن.

والثاني: أنّه استفعال من أنس الشيء: إذا أبصره مكشوفاً، والمعنى: حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا؟ ومنه قولهم: استأنست فلم أر أحداً، أي: استعلمت وتعرّفت، ومنه قول النابغة:

عَـلَى مُسْـتَأْنِسٍ وَحِـدِ[2]

---

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) ديوان النابغة الذبياني: ٣١، وصدره: كأن رحلي وقد زال النهار بنا بذي الجليل....

وعن أبي أيوب الأنصاري[١]: ((قلنا: يا رسول الله، ما الاستئناس؟ قال: يتكلّم الرجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبيرة ويتنحنح، يؤذن أهل البيت، والتسليم: أن يقول: السلام عليكم، أأدخل، ثلاث مرات. فإن أذن له وإلا رجع))[٢].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الاستئذان والتسليم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من تحية الجاهلية وهو قولهم: حييتم صباحاً أو مساءً، ومن الدخول بغير إذن.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أنزل عليكم هذا إرادة أن تتعظوا وتعملوا بما أمرتم به في باب الاستئذان.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ من الآذنين [﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم، أو إن لم تجدوا فيها أحداً من أهلها فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها لأنّه تصرّف في ملك غيرك][٣]، فلابد أن يكون برضاه.

﴿فَارْجِعُوا﴾ ولا تقفوا على الأبواب منتظرين، ولا تلحّوا في تسهيل الحجاب.

﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ الرجوع أطهر لكم، لما فيه من السلامة والبعد عن الريبة لكم، وأنفع لكم وأنمى خيراً. ثمّ أوعد المخاطبين بأنّه ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يأتون وما يذرون، فيجازي بحسب ذلك.

ثمّ استثنى من البيوت التي لا يجب على داخلها الاستئذان: ما ليس بمسكون منها نحو: الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت الباعة والأرحية والحمامات.

---

(١) أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، شهد العقبة وسائر المشاهد مع النبيّ ﷺ وعليه نزل النبيّ حين قدومه المدينة، شهد مع الإمام عليّ عليه السلام حروبه كلها، مات بالقسطنطينية زمن معاوية وقبره هناك. ينظر: الإصابة ج١: ٤٠٥، معجم رجال الحديث ج٧: ٢٥.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ج٦: ١٣٢.

(٣) ساقطة من ج.

والمتاع: المنفعة والارتفاق والبيع والشراء، وقيل: هي الخربات المعطلة يتبرز فيها، والمتاع: التبرز[١].

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾

﴿مِنْ﴾ للتبعيض، والمراد: غضّ البصر عما يحرم، والاقتصار به على ما يحلّ. ويجوز عند الأخفش أن يكون (من) مزيدة[٢]، ولم يجزه سيبويه[٣]. الصادق عليه السلام: ((حفظ الفروج عبارة عن التحفّظ من الزنا في جميع القرآن إلا هنا، فإنّ المراد به الستر حتى لا ينظر إليها أحد، ولا يحلّ للرجل أن ينظر إلى فرج أخيه، ولا للمرأة

---

(١) عن عطا. تفسير الطبري ج١٨: ٩٠.

(٢) معاني القرآن للأخفش ج٢: ٢٧٦.

(٣) ينظر: الكتاب ج٤: ٢٢٥.

أن تنظر إلى فرج أختها))[١].

ثمّ أخبر أنّه ﴿خَبِيرٌ﴾ بأحوالهم وأفعالهم، ويعلم كيف ﴿يَصْنَعُونَ﴾، فعليهم أن يكونوا على حذر واتقاء في كل حركة وسكون.

وأمر النساء أيضاً بغض الأبصار وحفظ الفروج كما أمر الرجال. وعن أم سلمة قالت: ((كنت عند النبيّ ﷺ وعنده ميمونة[٢]، فأقبل ابن أم مكتوم[٣]، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال: احتجبا، فقلنا: يا رسول الله، أليس أعمى لا يبصرنا؟ فقال: أفعمياوان أنتما؟! ألستما تبصرانه))[٤].

الزينة: ما تزيّنت به المرأة من حليّ أو كحل أو خضاب، وهي ظاهرة وباطنة، فالظاهرة لا يجب سترها وهي الثياب، وقيل: الكحل والخاتم والخضاب في الكف[٥]، وقيل: الوجه والكفان[٦]، وعنهم عليهم السلام: ((الكفان والأصابع))[٧]. والباطنة كالخلخال والسوار والقلادة والقرط، فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين. وسئل الشعبي: لِمَ لم يذكر الله الأعمام والأخوال؟ فقال: (لئلا يصفها العم عند

---

(١) الكافي ج ٢: ٣٦.

(٢) ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية أم المؤمنين، تزوجها النبيّ ﷺ سنة ٧ هـ في عمرة القضاء، توفيت بسرف سنة ٥١ هـ. ينظر: الاستيعاب ج٤: ٤٠٤.

(٣) عمرو وقيل عبد الله بن شريح ابن أم مكتوم القرشي، أسلم قديماً، كان النبيّ ﷺ يستخلفه على المدينة في عامة غزواته يصلّي بالناس، شهد القادسية ورجع إلى المدينة فمات بها. ينظر: الإصابة ج٢: ٥٢٣.

(٤) سنن أبي داود ج٤: ٦٢ ح٤١١٢.

(٥) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٨: ٩٣.

(٦) عن عطاء. تفسير الطبري ج١٨: ٩٣.

(٧) مجمع البيان ج٧-٨: ١٣٨ عن تفسير علي بن إبراهيم ولا يوجد في المطبوع.

ابنه، والخال كذلك)[١].

وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتستر، لأنّ هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد، لا يحلّ النظر إليها لغير هؤلاء، وأما الزينة الظاهرة فسومح فيها لهن، لأنّ المرأة لا تجد بداً من ذلك، خصوصاً في الشهادة والمحاكمة.

والخُمُر: المقانع، جمع خمار، أمرن بإلقائها على جيوبهن لأنّها لو كانت واسعة تبدو منها نحورهن، وكن يسدلن الخُمُر من ورائهن فتبقى مكشوفة، فأمرن بسدلها من قدامهن حتى تغطيها. ويجوز أن يكون المراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها، كما قيل: ناصح الجيب. وضربها بالخمار على الجيب وضعها عليه، كقولك: ضربت بيدي على الحائط. وقرئ: جِيُوبِهِنَّ ـ بكسر الجيم ـ لأجل الياء، وبِيُوتاً غَيْرَ بِيُوتِكُمْ ـ بكسر الباء ـ.

﴿أَوۡ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني: النساء المؤمنات، لأنّه ليس للمؤمنة أن تتجرّد بين يدي مشركة أو كتابية عن ابن عباس[٢]. والظاهر أنّه عنى بنسائهن.

و﴿مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ﴾ من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والإماء. وقيل: ﴿مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ﴾ هم الذكور والإناث جميعاً[٣].

والتابع: هو الذي يتبعك لينال من طعامك، ولا حاجة له في النساء، وهو الأبله الذي لا يعرف شيئاً من أمر النساء. وقرئ ﴿غَيۡرِ﴾ بالنصب على الاستثناء أو الحال، وبالجر على الوصفية، و﴿ٱلۡإِرۡبَةِ﴾ الحاجة ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ﴾ وضع الواحد موضع الجمع لأنّه يفيد الجنس.

---

(١) الدر المنثور ج٥: ٤٢.

(٢) الكشاف ج٣: ٢٣١.

(٣) عن عائشة وغيرها. معالم التنزيل ج٣: ٧٧.

و﴿لَمۡ يَظۡهَرُواْ﴾ هو إما من ظهر على الشيء: إذا اطّلع عليه، أي: لا يعرفون ما العورة، ولا يميزون بينها وبين غيرها، وإما من ظهر على فلان: إذا قوي عليه، أي: لم يبلغوا وقت القدرة على الوطء لعدم شهوتهم.

وكانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها، وقيل: كانت تضرب بإحدى رجليها الأخرى ليعلم أنّها ذات خلخالين[١]، وإذا نهين عن إظهار صوت الحليّ بعدما نهين عن إظهار الحليّ [علم أنّ النهي عن إظهار مواضع الحليّ أبلغ][٢].

وقرئ: ﴿أَيُّهُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ ـ بضم الهاء ـ، والوجه فيه: أنّ الألف لما سقطت من (أيّها) لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها ما قبلها.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

الأيامى واليتامى أصلهما (أيايم) و(يتايم) فقلبا، والأيّم للرجل والمرأة، وتأيّما إذا لم يتزوّجا بكرين كانا أو ثيبين. وفي الحديث: ((اللهم إنّا نعوذ بك من

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٨: ٩٧.

(٢) ساقطة من ج.

العيمة والأيمة والغيمة))[١].

أي: ﴿وَأَنكِحُوا﴾ من تأيّم منكم من الأحرار والحرائر، ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم، وهذا أمر ندب واستحباب. وعنه ﷺ: ((من أحبّ فطرتي فليستن بسنتي، وهي النكاح))[٢]، وعنه ﷺ: ((من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا))[٣]، وعنه ﷺ: ((التمسوا الرزق بالنكاح))[٤]، الصادق ﷺ: ((من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظن بربّه، لقوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾))[٥].

﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: استطاعة تزوّج، ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به من المال.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ﴾ مرفوع بالابتداء، أو منصوب بفعل مضمر يفسّره ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ كقولك: زيداً فاضربه، ودخلت الفاء لتضمّن معنى الشرط. والمكاتبة والكتاب أن يقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على كذا، ومعناه: كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال، وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك، أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت عليّ العتق.

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: صلاحاً ورشداً، وقيل: قدرة على أداء مال

---

(١) الزاهر ج١: ٥٩٥.

(٢) الكافي ج٥: ٤٩٤، سنن البيهقي الكبرى ج٧: ٧٨.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ج٣: ٢٧٠.

(٤) فردوس الأخبار ج١: ١٢٥، الكافي ج٥: ٣٣٠ بالمعنى.

(٥) الكافي ج٥: ٣٣٠.

الكتابة[١].

﴿وَءَاتُوهُم﴾ أمر بإعانتهم وإعطائهم سهمهم الذي جعله الله لهم في قوله: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾[٢]، أو حطّهم من المال الذي عليهم وهو استحباب.

﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ﴾ إماءكم على الزنا، وكانت إماء أهل الجاهلية يساعين على مواليهن، وكانت لعبد الله بن أُبيّ ست جوار يكرههن على البغاء، وضرب عليهن ضرائب، فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله ﷺ فنزلت[٣]. ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة. وفي الحديث: ((ليقل أحدكم: فتاي وفتاتي، ولا يقل: عبدي وأمتي))[٤].

و﴿ٱلۡبِغَآءِ﴾ مصدر البغي، وإنّما شرط إرادة التحصن لأنّ الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن، وهو التعفف. وكلمة (إن) وإيثارها على (إذا) تؤذن بأنّهن كن يفعلن ذلك برغبة وطوع، ومن يجبرهن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ﴾ للمكرهات لا للمكره ﴿رَّحِيمٞ﴾ بهن، وعن الصادق عليه السلام: لهن غفور رحيم.

﴿مُّبَيِّنَٰتٖ﴾ أي: واضحات ظاهرات في معاني الأحكام والحدود، ومبيّنات ـ بالفتح ـ: موضحات مفصلات.

﴿وَمَثَلٗا﴾ من أمثال ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ وشبهاً من حالهم بحالكم.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ

---

(١) عن ابن عمر وغيره. تفسير الطبري ج١٨: ٩٩.

(٢) التوبة: ٦٠.

(٣) أسباب النزول: ٢٣٠.

(٤) مسند أحمد ج٢: ٤٩٦.

مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ
تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ
ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ
أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ
﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ
ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ
ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ
حِسَابٖ ﴿٣٨﴾

قال: ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، ثمّ قال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ و﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾، كما يقال: فلان كرمٌ وجودٌ، ثمّ يقول: ينعش الناس بكرمه ويشملهم جوده. ومعناه: ذو نور السماوات وصاحب نور السماوات.

وإضافة النور إلى السماوات والأرض لأحد معنيين: إما لأنّ المراد أهل السماوات والأرض وأنّهم يستضيئون بنوره، وإما للدلالة على عموم إضاءته وشيوع إشراقه. ورووا عن عليّ عليه السلام: الله نوّر السماوات والأرض، والمعنى: نشر فيها الحقّ فأضاءت بنوره، أو نوّر قلوب أهلها به.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة والإشراق.

﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ أي: كصفة مشكاة، وهي الكوّة في الجدار غير النافذة.

﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌ﴾ أي: سراج ثاقب ﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ زهراء هي مشبهة في زهورها بـ﴿كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ من الكواكب المشهورة بمزيد الضوء والزهور كالمشتري والزهرة ونحوهما، وهو منسوب إلى الدر، أي: أبيض متلألئ. وقرئ: دُرّيء

ـ بالهمزة ـ على زنة سكيت، كأنّه يدرأ الظلام أي: يدفعه بضيائه، ودريء كمريق، وهو العصفر.

﴿يُوقَدُ﴾ هذا المصباح ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ أي: مبدأ ثقوبه من شجرة الزيتون، يعني: رويت ذبالته بزيتها، ومن قرأ توقد ـ بالتاء ـ فالفعل للزجاجة، والتقدير: مصباح الزجاجة، فحذف المضاف، وقرئ: يوقد بالياء أيضاً.

﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾ كثيرة البركة والمنفعة، لأنّه يسرج بدهنها، ويؤتدم به، ويوقد بحطبه وثفله، ويغسل الإبريسم برماده، وهي أوّل شجرة نبتت بعد الطوفان في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، وقيل: لأنّ سبعين نبيّاً باركوا فيها منهم إبراهيم عليه السلام[1].

﴿لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ﴾ لأنّ منبتها الشام، وهي بين المشرق والمغرب، وأجود الزيتون زيتون الشام، وقيل: لا يفيء عليها ظل شرق ولا غرب، بل هي ضاحية للشمس لا يظلها شجر ولا جبل، فزيتها يكون أصفى[2]، وقيل: ليست في مقنوءة[3] لا تصيبها الشمس، ولا في مضحى لا يصيبها الظل، لكن الشمس والظل يتعاقبان عليها[4]. وعن الحسن: (ليست من شجر الدنيا فتكون شرقية أو غربية)[5].

﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ﴾ من صفائه وفرط تلألئه وضيائه من غير نار.

---

(١) الكشف والبيان ج٧: ١٠٤.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٨: ١١٠.

(٣) مقنوءة: لا تطلع عليها الشمس. (لسان العرب: مادة عهد)

(٤) عن السدي. معالم التنزيل ج٣: ٨١.

(٥) تفسير الطبري ج١٨: ١١٠.

و﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي: هو نور متضاعف، قد تظاهر فيه نور الزيت ونور المصباح ونور الزجاجة، فلم يبق مما يقوي النور ويزيد في إضاءته بقية.

واختلف في هذا النور الذي أضافه سبحانه إلى نفسه وما شبّهه به، فذهب الأكثر من المفسّرين إلى أنّه نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله فكأنّه قال: مثل محمّد رسول الله وهو المشكاة، والمصباح قلبه، والزجاجة صدره، شبّهه بالكوكب الدري، ثمّ رجع إلى قلبه المشبّه بالمصباح فقال: يوقد هذا المصباح من شجرة مباركة يعني: إبراهيم عليه السلام، لأنّ أكثر الأنبياء من صلبه، أو شجرة الوحي لا شرقية ولا غربية: لا نصرانية ولا يهودية، لأنّ النصارى تصلي إلى المشرق واليهود إلى المغرب ﴿يَكَادُ﴾ أعلام النبوّة تشهد له قبل أن يدعو إليها، أو يكاد صدقه في نبوّته يبين ويتميز وإن لم ير شيء من معجزاته[1]، كما قال عبد الله بن رواحة:

لَـوْ لَمْ تَكُـنْ فِيـهِ آيَـاتٌ مُبَيِّنَـةٌ كَانَـتْ بَدِيهَتُـهُ تُنْبِئُـكَ بِالخَبَرِ[2]

وعن الباقر عليه السلام: ((إنّ قوله: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ هو نور العلم في صدر النبيّ صلى الله عليه وآله والزجاجة صدر عليّ عليه السلام، علّمه النبيّ صلى الله عليه وآله علمه فصار إلى صدره ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يكاد العالم من آل محمّد صلى الله عليه وآله يتكلّم بالعلم قبل أن يسأل ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي: إمام مؤيد بنور العلم والحكمة في إثر إمام من آل محمّد، وذلك من لدن آدم إلى قيام الساعة، هم خلفاء الله في أرضه، وحججه على خلقه، لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم))[3]. وهذا يقتضي أن تكون الشجرة المباركة هي هذه الشجرة التي أشرقت الأرض بنورها من عهد آدم إلى منقرض

---

(١) راجع الدر المنثور ج٥: ٤٨، ٤٩.

(٢) ديوان عبد الله بن رواحة: ١٦٠.

(٣) كتاب التوحيد: ١٠٩.

العالم.

وقيل: إنّ نور الله هو الحقّ[١]، كما في قوله: ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٢] أي: من الباطل إلى الحقّ. وعن أُبيّ بن كعب: أنّه قرأ: مَثَلُ نُورِ مَنْ آمَنَ بِهِ.

﴿يَهْدِي ٱللَّهُ﴾ بهذا النور الثاقب ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من عباده، بأن يفعل به لطفاً إذا علم أنّه يصلح له، ويوفّقه لاتباع دلائله.

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يتعلّق بما قبله، أي: كمشكاة في بعض بيوت الله، وهي المساجد، أو بما بعده وهو ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ ... رِجَالٌ﴾ في بيوت. وقوله: ﴿فِيهَا﴾ هو تكرير كما يقال: زيد في الدار جالس فيها. والمراد بالإذن: الأمر.

﴿أَن تُرْفَعَ﴾ أي: تبنى، كقوله: ﴿بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا﴾[٣]، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾[٤]، أو تعظّم وترفع من قدرها، وقيل: هي بيوت الأنبياء، وروي ذلك مرفوعاً، وهو أنّهﷺ لما قرأ هذه الآية سئل: ((أيّ بيوت هذه؟ فقال: بيوت الأنبياء، فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت عليّ وفاطمة. فقال: نعم، من أفاضلها))[٥].

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ أي: يتلى فيها كتابه، ويذكر أسماؤه الحسنى، وقرئ: يُسَبَّحُ لَهُ ـ على البناء للمفعول ـ، وإسناده إلى أحد الظروف الثلاثة وهي:

---

(١) الكشاف ج٣: ٢٤٠.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

(٣) النازعات: ٢٧، ٢٨.

(٤) البقرة: ١٢٧.

(٥) شواهد التنزيل ج١: ٤١٠.

﴿لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾.

ويرتفع ﴿رِجَالٌ﴾ بما دلّ عليه ﴿يُسَبِّحُ﴾ أي: يسبّح رجال.

والآصال: جمع أصل وهو العشي، والمعنى: بأوقات الغدو، أي: بالغدوات، والتجارة: صناعة التاجر. أي: لا يشغلهم عن الذكر والصلاة، فإذا حضرت الصلاة تركوا التجارة وقاموا إليها.

﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: إقامتها، فإنّ التاء في (إقامة) عوض من العين الساقطة، إذ الأصل (إقوام) فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض فأسقطت، ونحوه:

وَأَخْلَفُوكَ عِدَ الأَمْرِ الذِي وَعَدُوا[1]

وتقلّب القلوب والأبصار: أن تضطرب من الهول والفزع وتشخص، أي: تتقلّب أحوالها فتفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد أن كانت لا تفقه ولا تبصر.

أي: يسبّحون ليجزيهم جزاء أعمالهم مضاعفاً، ويزيدهم على الثواب تفضلاً، والتفضل يكون ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ
إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ
سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن
فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ
يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمۡ
تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ

---

(١) ديوان الفضل بن العباس اللهبي: ٢٢، وصدره: إن الخليط أجدّوا البين فانجردوا

﴿قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٤١ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٤٢﴾

السراب: ما يرى في الفلاة يسرب على وجه الأرض كأنّه ماء يجري. والقيعة: بمعنى القاع أو جمع القاع، وهو المستوي من الأرض.

شبّه ما يعمله الكفار من الأعمال التي يحسبها نافعة عند الله بسراب، يراه من غلبه العطش فيحسبه ماء، فيأتيه فلا يجد ما يرتجيه ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ عند عمله فجازاه على كفره، أو وجد الله عنده بالمرصاد فأتمّ له جزاءه، وهذا في الظاهر خبر عن الظمآن وفي المعنى خبر عن الكفار، وفي معناه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[1]، ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾[2]، ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[3].

والبحر اللجي: الكثير الماء، منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر.

﴿يَغۡشَىٰهُ﴾ أي: يعلو ذلك البحر ﴿مَوۡجٞ﴾ من فوق ذلك الموج ﴿مَوۡجٞ مِّن فوق الموج ﴿سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ﴾ ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ﴾ الواقع فيها ﴿يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ مبالغة في لم يرها، أي: لم يقرب أن يراها.

وهذا تشبيه ثانٍ لأعمالهم في خلوها عن نور الحقّ وظلمتها ـ لبطلانها ـ بظلمات متراكمة.

﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا﴾ بتوفيقه ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له.

وقرئ: سَحَابُ ظُلُمَاتٍ ـ على الإضافة ـ، وسحاب ـ بالرفع والتنوين ـ ظلمات ـ بالجر ـ

---

(١) الفرقان: ٢٣.

(٢) الغاشية: ٣.

(٣) الكهف: ١٠٤.

بدلاً من ظلمات الأولى.

﴿صَٰٓفَّٰتٖ﴾ يصففن أجنحتهن في الهواء، والضمير في ﴿عَلِمَ﴾ لـ﴿كُلٌّ﴾ أو لـ(الله)، وكذلك في ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥ﴾ كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾

﴿يُزۡجِي﴾ يسوق، ومنه: البضاعة المزجاة، يزجيها كل أحد لا يرضاها، والسحاب قد يكون واحداً كالغمام وجمعاً كالرباب.

﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ﴾ أي: بين أجزائه بأن يضم بعضها إلى بعض، ولذلك جاز ﴿بَيۡنَهُۥ﴾ وهو واحد، كما قيل في قوله:

بَـيْنَ الدَّخُـولِ فَحَوْمَـلِ[1]

والركام: المتراكم. والودق: المطر.

﴿مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾ من فتوقه ومخارج القطر منه جمع خلل، وقرئ في الشواذ: من

---

(١) ديوان امرئ القيس: ٨، وصدره: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى... .

خلله.

ذكر من جملة الدلائل على ربوبيته: تسبيح من في السماوات والأرض وكل ما يطير، ثمّ ذكر سبحانه تسخير السحاب، وإنزال المطر منه، وما يحدث فيه من الأفعال على ما تقتضيه الحكمة.

و﴿مِنَ﴾ الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض، والثالثة للتبيين، أو الأولتان للابتداء، والآخرة للتبعيض، على معنى: ينزل البرد من السماء ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا﴾، وعلى الأوّل يكون ﴿مِن جِبَالٍ﴾ مفعول ﴿يُنَزِّلُ﴾. وقرئ: ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ على أن تكون الباء مزيدة كما في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1]. أي: يكاد ضوء برقه يخطف البصر لشدّة لمعانه.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي: يصرفهما ويخالف بينهما بالطول والقصر.

ولما كان اسم (الدابة) يقع على المميز وغير المميّز، غلّب حكم المميّز بأن قال: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾، والماشي ﴿عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ قوائم، ولم يذكر ما يمشي على أكثر من أربع، لأنّه كما يمشي على أربع في مرأى العين. وعن الباقر عليه السلام: ((ومنهم من يمشي على أكثر من ذلك))[2].

وإنّما نكّر قوله: ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ لأنّ المعنى: أنّه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة، فمنها ناس، ومنها بهائم، ومنها هوام، ومن نحوه قوله: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾[3].

وسمّى الزحف على البطن مشياً على طريق الاستعارة، كما قالوا: مشى هذا

---

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) تفسير القمي ج٢: ١٠٧ عن الصادق عليه السلام وحديثهما واحد.

(٣) الرعد: ٤.

الأمر، أو على طريق المشاكلة لأنّه ذكرها مع الماشين. وقرئ: خَالِقُ.

وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾

يعني بقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلى رسول الله بدلالة قوله: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾، وهو كما قيل: أعجبني زيد وكرمه، والمراد: كرم زيد. وروي: أنّ رجلاً كانت بينه وبين عليّ خصومة في ماء وأرض، فقال الرجل: لا أحاكم إلى محمّد فإنّي أخاف أن يحكم له عليّ(١). وذكر أبو القاسم البلخي(٢): أنها كانت بين عليّ وبين عثمان، وكان قد اشترى أرضاً من عليّ، فخرجت فيها أحجار، فأراد ردّها بالعيب، فقال: بيني وبينك رسول الله، فقال الحكم بن أبي العاص: إن حاكمته إلى ابن عمّه حكم له، فنزلت(٣).

﴿مُذْعِنِينَ﴾ مسرعين منقادين، و﴿إِلَيْهِ﴾ صلته أو صلة ﴿يَأْتُوٓا۟﴾، والمعنى:

---

(١) الكشاف ج٣: ٢٤٨، وفيه: إن الرجل هو المغيرة بن وائل.

(٢) أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي، من معتزلة بغداد، كان غزير العلم بالكلام والفقه والأدب، له مصنفات كثيرة، توفي سنة ٣١٩هـ أيّام المقتدر العباسي. ينظر: طبقات المعتزلة: ٨٨.

(٣) التبيان ج٧: ٤٥٠.

أنّهم ينحرفون عن المحاكمة إليك إذا كان الحقّ عليهم، لعلمهم بأنّك لا تحكم إلا بالحقّ المر والعدل البحت، وإن ثبت لهم حقّ على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك، لتأخذ لهم ما ثبت لهم في ذمة الخصم.

﴿بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله، وإنّما هم ظالمون يريدون ظلم من له الحقّ عليهم.

وقرئ: ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل، وبسكون الهاء، وبسكون القاف وكسر الهاء. شبّه تقه بكتف فخفف، كقول الشاعر:

قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنَا سَوِيقَا[1]

وعن ابن عباس: (ومن يطع الله في فرائضه، ورسوله في سننه، ويخشى الله على ما مضى من ذنوبه، ويتقه في المستقبل)[2].

وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾

---

(١) الرجز للعذافر الكندي. النوادر في اللغة: ٣٠٨.

(٢) الكشاف ج٣: ٢٤٩.

﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أصله: يجهدون الأيمان جهداً، فحذف الفعل وقدّم المصدر فوضع موضعه مضافاً إلى المفعول، كقوله: ﴿فَضَرۡبَ الرِّقَابِ﴾[1]. وحكم هذا المنصوب حكم الحال، كأنّه قال: جاهدين أيمانهم، وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها، وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية وكادتها، وعن ابن عباس: (من قال: بالله، فقد جهد يمينه)[2].

﴿لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ﴾ بالخروج في غزواتك.

﴿طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: أمركم الذي يطلب منكم طاعة معلومة لا يشك فيها كطاعة المخلصين، لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم لا تطابقها، أو مبتدأ محذوف الخبر أي طاعة معلومة أولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا﴾ في ضمائركم يجازيكم عليه.

﴿فَإِن﴾ تتولوا عن طاعة الله ورسوله فإنّما ضررتم أنفسكم، فإنّ الرسول ليس عليه إلا ما حمّله الله وكلّفه من أداء الرسالة، فإذا أدّى فقد خرج عن العهدة ﴿وَعَلَيۡكُم﴾ ما كلفتم من التلقي بالقبول والانقياد للطاعة.

و﴿ٱلۡبَلَٰغُ﴾: التبليغ، كالأداء بمعنى التأدية، و﴿ٱلۡمُبِينُ﴾ المقرون بالآيات والمعجزات.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ المؤمنين المطيعين لله ورسوله أن ينصر دين الإسلام على الكفر، ويورثهم الأرض ويجعلهم خلفاء فيها، كما فعل ببني إسرائيل إذ أهلك الجبابرة، وأورثهم أرضهم وأموالهم، وأن يمكّن ﴿لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي﴾ أمرهم أن يدينوا به، وتمكينه: تثبيته وتوطيده وإظهاره على الدين كله، كما قال ﷺ: ((زويت لي الأرض

---

(١) محمّد: ٤.

(٢) الكشاف ج٣: ٢٥٠.

فأُريت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمّتي ما زوي لي منها))[١]، وروى المقداد عنه ﷺ أنّه قال: ((لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعزّ عزيز أو ذل ذليل))[٢]، إما أن يعزّهم الله فيجعلهم من أهلها، وإما أن يذلهم فيدينون لها. وقرئ: كما استُخلف بضم التاء.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ من الإبدال ﴿يَعۡبُدُونَنِي﴾ استئناف أو حال من (وعدهم). وروي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه قال: ((هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل ذلك بهم على يدي رجل منا، وهو مهديّ هذه الأمة، وهو الذي قال رسول الله ﷺ: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي وكنيته كنيتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً))[٣]. وروي ذلك عن الباقر والصادق أيضاً عليهما السلام[٤].

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ
٥٦ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ
وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٥٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ
تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ
لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم
بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

---

(١) معارج نهج البلاغة: ٩١، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٠٤ ح٣٩٥٢ باختصار.

(٢) التبيان ج٧: ٤٥٥. معجم الطبراني الكبير ج٢٠: ٢١٠.

(٣) مجمع البيان ج٧-٨: ١٥٢ عن العياشي، وينظر: معجم الطبراني الكبير ج١٠: ١٣٣.

(٤) كتاب الغيبة: ٤٦، ٤٨.

﴿حَكِيمٌ ۝٥٨ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا
اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٩ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا
فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ
بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٦٠﴾

﴿وَأَقِيمُوا﴾ معطوف على ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ وجاز وإن طال الفاصل بينهما، لأنّ حقّ المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه. وقرئ: لا يحسبن ـ بالياء ـ. والوجه فيه أن يكون فاعله ضمير النبيّ ﷺ لتقدّم ذكره، أو يكون أحد المفعولين محذوفاً، أي: ولا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين.

أمر سبحانه بأن يستأذن العبيد والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ في اليوم والليلة: ﴿قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ لأنّه وقت القيام من المضاجع ولبس الثياب، وبـ﴿الظَّهِيرَةِ﴾ لأنّه وقت وضع الثياب للقائلة، و﴿بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ لأنّه وقت التجرّد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم. وسمّى كل وقت من هذه الأوقات عورة لأنّ الناس يختل تحفظهم وتسترهم فيها، والعورة: الخلل.

ثمّ عذرهم في ترك الاستئذان في غير هذه الأحوال، وبيّن وجه العذر في ذلك بقوله: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم﴾ أي: هم خدمكم يطوفون عليكم للخدمة، فلا يجدون بداً من دخولهم عليكم.

﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يطوف بعضكم وهم المماليك على الموالي.

وقرئ: ثلاث عورات [ـ بالنصب ـ بدلاً عن ثلاث مرات، أي: أوقات ثلاث][1] عورات.

وإذا رفعت ﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ﴾ كان قوله: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ﴾ في محلّ الرفع على الوصف، والمعنى: هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان، وإذا نصبت كان ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ﴾ كلاماً مستأنفاً مقرراً للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة. و﴿بَعۡضُكُمۡ﴾ مبتدأ، والتقدير: بعضكم طائف على بعض، فحذف لأنّ ﴿طَوَّٰفُونَ﴾ يدلّ عليه.

﴿بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ﴾ الأحرار دون المماليك، والمعنى: إنّ الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في الأحوال الثلاث، فإذا خرجوا من حدّ الطفولية ﴿فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ﴾ في جميع الأوقات كالرجال الكبار. وعن ابن مسعود: (عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم)[2].

القاعد: التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها.

﴿لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا﴾ لا يطمعن فيه. والمراد بالثياب: الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار، وفي قراءة أهل البيتعليهم السلام: أن يضعن من ثيابهن.

﴿غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖ﴾ غير مظهرات زينة بوضع ثيابهن. وحقيقة التبرج: تكلّف إظهار ما يجب إخفاؤه، واختص بأن تنكشف المرأة للرجال بإبداء زينتها، وإظهار محاسنها.

والاستعفاف بلبس الجلابيب ﴿خَيۡرٞ لَّهُنَّ﴾ وإن سقط الحرج عنهن فيه.

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) الكشاف ج٣: ٢٥٤.

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ
وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ
صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ
أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾

كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات إلى بيوت أزواجهم وأولادهم، وإلى بيوت أقربائهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها، فخافوا أن يلحقهم فيه حرج فقيل: ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على أنفسكم يعني: ليس عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين ﴿حَرَجٌ﴾ في ذلك، وقيل: كان هؤلاء يتوقّون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى أن يلحقهم من الكراهة من قبلهم[1]. وقيل: كانوا يخرجون إلى الغزو ويخلّفون الضعفاء في بيوتهم، ويدفعون إليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم، فكانوا يتحرّجون، فقيل: ليس على

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٨: ١٢٩.

هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجون عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت[١].

ولم يأت ذكر الأولاد لأنّ ذكرهم قد دخل في قوله: ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾ لأنّ ولد الرجل بعضه، وحكمه حكم نفسه. وفي الحديث: ((إنّ أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وإنّ ولده من كسبه))[٢].

وملك المفاتيح: كونها في يده وحفظه، والصديق يكون واحداً وجمعاً، وكذلك العدو، والمعنى: أو بيوت أصدقائكم. وعن أئمّة الهدى عليهم السلام قالوا: ((لا بأس بالأكل لهؤلاء من بيوت من ذكره الله تعالى بغير إذنهم قدر حاجتهم من غير إسراف))[٣]. وعن الحسن: (إنّه دخل داره فإذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالاً من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم يأكلون، فتهلل وجهه سروراً وقال: هكذا وجدناهم ـ يريد كبراء الصحابة ـ وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب، فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء، فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سروراً بذلك)[٤]. وعن جعفر الصادق عليه السلام: ((من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن))[٥].

﴿جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتًا﴾ أي: مجتمعين أو متفرقين، كانوا لا يأكلون إلا مع ضيفهم، ويتحرّج الرجل أن يأكل وحده.

---

(١) عن الزهري. تفسير الطبري ج١٨: ١٢٩.

(٢) سنن ابن ماجة ج٢: ٧٢٣ ح٢١٣٧.

(٣) التبيان ج٧: ٤٦٣.

(٤) الكشاف ج٣: ٢٥٧.

(٥) الكشاف ج٣: ٢٥٧.

و﴿إِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ من هذه البيوت فابدؤوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ثابتة بأمره، مشروعة من لدنه، ولأنّ التسليم طلب سلامة للمسلّم عليه، والتحية طلب حياة للمحيّى من عند الله، ووصفها بالبركة والطيب لأنّها دعوة مؤمن لمؤمن، يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق. ومنه قوله عليه السلام: ((سلّم على أهل بيتك يكثر خير بيتك))[1]. و﴿تَحِيَّةً﴾ منصوبة بـ﴿فَسَلِّمُوا﴾ لأنّها في معنى تسليماً، كما تقول: حمدت شكراً.

﴿وَإِذَا كَانُوا﴾ مع النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ يقتضي الاجتماع عليه والتعاون فيه، من حضور حرب أو مشورة في أمر أو صلاة جمعة وما أشبهه. ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله مع تصدير الجملة بـ﴿إِنَّمَا﴾، وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبراً عنه بموصول يحيط صلته بذكر الإيمانين.

ثمّ أكّد ذلك بأن أعاد ذكره على أسلوب آخر فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ضمّنه شيئاً آخر، وهو أنّه جعل الاستئذان كالمصداق لصحّة الإيمانين، ثمّ خيّره صلى الله عليه وآله بين أن يأذن وبين أن لا يأذن، وهكذا حكم من قام مقامه من الأئمّة عليهم السلام.

لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

---

(١) الخصال: ١٦٦، مسند الشهاب ج١: ٣٧٦.

أي: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ﴾ تسميته ونداءه ﴿بَيۡنَكُمۡ﴾ كما يسمّي بعضكم بعضاً ويناديه باسمه، فلا تقولوا: يا محمّد، ولكن يا نبيّ الله، ويا رسول الله، مع التوقير والتعظيم والتواضع وخفض الصوت، ولا تقيسوا دعاءه إيّاكم على ﴿دُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضًا﴾ ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي، فإنّ في القعود عن أمره قعوداً عن أمر الله تعالى، ولا تجعلوا ﴿دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ﴾ لكم أو عليكم مثل دعائكم، فإنّ دعوته مستجابة مسموعة.

﴿يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ﴾ قليلاً ﴿لِوَاذًا﴾ أي: ملاوذة، يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا. والمعنى: يتسللون عن الجماعة في الخفية، يستتر بعضهم ببعض. و﴿لِوَاذًا﴾ حال، أي: ملاوذين. وقيل: نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير إذن[1]، وقيل: كانوا يتسللون عن الجهاد يرجعون عنه[2]، وقيل: عن خطبة النبيّ ﷺ يوم الجمعة[3].

يقال: خالفه إلى الأمر: إذا ذهب هو إليه دونه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[4]، وخالفه عن الأمر: إذا صدّ عنه دونه، ومعناه: الذين يصدّون عن أمره دون المؤمنين، والمفعول محذوف، والضمير في ﴿أَمۡرِهِۦٓ﴾ لله أو للرسول، والمعنى: عن طاعة الله ودينه.

﴿أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ﴾ أي: محنة في الدنيا تظهر نفاقهم أو بلية. وعن جعفر بن

---

(١) الكشف والبيان ج٧: ١٢١.

(٢) عن مجاهد. تفسير الماوردي ج٤: ١٢٨.

(٣) عن مقاتل بن حيان. الدر المنثور ج٥: ٦١.

(٤) هود: ٨٨.

محمّد عليه السلام: ((يسلّط عليهم سلطاناً جائراً))[١]. و﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، وهذا يدلّ على أنّ أوامر النبيّ صلى الله عليه وآله على الوجوب.

أدخل ﴿قَدْ﴾ ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة، وتوكيد العلم لتوكيد الوعيد، وذلك أنّ (قد) إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى (ربّما)، فوافقت (ربّما) في خروجها إلى معنى التكثير في نحو قوله:

فَـإِنْ تُمْـسِ مَهْجُـورَ الفِنَـاءِ فَرُبَّـمَا   أَقَـامَ بِـهِ بَعْـدَ الوُفُـودِ وُفُـودُ[٢]

ونحوه قول زهير:

أَخِـي ثِقَـةٍ لَا تُهْلِـكُ الخَمْـرُ مَالَـهُ   وَلَكِنَّـهُ قَـدْ يُهْلِـكُ المَـالَ نَائِلُـهْ[٣]

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قد اختص جميعها به، خلقاً وملكاً وعلماً، فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون وإخفائها، وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوه ويجازيهم عليه.

والخطاب والغيبة في قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾، ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يجوز أن يكونا معاً للمنافقين على طريق الالتفات، ويجوز أن يكون ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ عاماً ﴿يُرْجَعُونَ﴾ خاصاً.

---

(١) الكشف والبيان ج٧: ١٢١.

(٢) البيت لأبي عطاء السندي. الشعر والشعراء ج٢: ٧٦٩.

(٣) شعر زهير بن أبي سلمى: ٥٧، وفيه: لا تتلف الخمر.

سورة الفرقان

مكية إلا آيات، وهي سبع وسبعون آية بلا خلاف.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأها بعث يوم القيامة وهو مؤمن بأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأُدخل الجنّة بغير نصب))[1]، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: ((من قرأها في كل ليلة لم يعذّبه الله أبداً، ولم يحاسبه، وكان منزله في الفردوس الأعلى))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾
ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ
شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ
لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا
﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ
ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ
ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ

(١) الكشف والبيان ج٧: ١٢٢ باختصار.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٩.

﴿ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا
(٦) وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى
ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا (٧) أَوْ
يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (٨) ٱنظُرْ كَيْفَ
ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩)
تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا (١٠)﴾

البركة: الكثرة من الخير، ومنها: تبارك الله أي: عظمت خيراته وكثرت.

وسمّي القرآن فرقاناً، لفصله بين الحقّ والباطل، أو لأنّه لم ينزل جملة واحدة بل متفرّقاً مفصولاً بين بعضه وبعض في الإنزال.

﴿لِيَكُونَ﴾ الضمير لـ﴿عَبْدِهِۦ﴾ أو لـ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾.

﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ للجن والإنس.

﴿نَذِيرًا﴾ أي: منذراً مخوفاً، أو إنذاراً كالنكير بمعنى الإنكار.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ﴾ بدل من ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ﴾، أو مدح.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: وأوجد كل شيء ﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾ هيأه لما يصلح له.

والخلق بمعنى الافتعال في قوله: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ أي: لا يقدرون على شيء من أفعال الله ولا من أفعال العباد، فلا يفتعلون شيئاً وهم يفتعلون، لأنّهم عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ لا يستطيعون ﴿لِأَنفُسِهِمْ﴾ دفع ضرر عنها ولا جلب

نفع إليها، وإذا عجزوا عن ذلك فهم عن الموت والحياة أعجز.

﴿عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾ وهم اليهود، وقيل: عداس مولى حويطب بن عبد العزّى، ويسار مولى العلاء بن الحضرمي.

(جاء) و(أتى) يستعملان في معنى (فَعَلَ)، فيعدّيان تعديته، ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل، وظلمهم أنّهم جعلوا العربي يتلقّن من العجمي كلاماً عربياً أعجز الفصحاء البلغاء بفصاحته، والزور: بهتهم بنسبة ما هو بريء منه إليه.

و﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ ما سطّره المتقدّمون في كتبهم.

﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ كتبها لنفسه وأخذها، كما تقول: إصطب الماء: إذا صبّه لنفسه وأخذه. ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ أي: تلقى عليه من كتابه يتحفظها.

﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ أي: دائماً، أو في الخفية قبل أن ينتشر الناس، وحين يأوون إلى مساكنهم.

أي: يعلم الخفيات وبواطن الأمور، ومن جملتها: ما تسرّونه أنتم من الكيد لرسوله مع علمكم بأنّ ما تقولونه باطل وزور.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ لا يعاجل بعقابكم مع استيجابكم بمكابرتكم هذه أن يصب عليكم العذاب.

﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ حاله مثل حالنا ﴿يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ كما نأكل ﴿وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ لطلب المعاش كما نمشي، وكان يجب أن يكون مستغنياً عن الأكل والتعيش بأن يكون ملكاً، ثمّ نزلوا عن هذا إلى اقتراح أن يكون إنساناً معه ﴿مَلَكٌ﴾ يعينه على الإنذار والتخويف، ثمّ نزلوا أيضاً بأن قالوا: ﴿أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ﴾ يستظهر به ويستغني عن طلب المعاش، ثمّ نزلوا فاتسعوا بأن يكون

رجلاً له بستان يأكل منه ويأكلون منه، فقد قرئ: ﴿يَأۡكُلُ﴾ بالياء والنون.

﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر، وإنّما أرادهم.

وقوله: ﴿فَيَكُونَ﴾ نصب لأنّه جواب، ﴿لَوۡلَآ﴾ بمعنى (هلا)، وحكمه حكم الاستفهام، وعطف ﴿يُلۡقَىٰٓ﴾ و﴿تَكُونُ﴾ على ﴿أُنزِلَ﴾ لأنّ محلّه الرفع، لأنّه في معنى (ينزّل) بالرفع.

﴿ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ﴾ أي: قالوا فيك تلك الأقوال النادرة من نبوّة مشتركة بين إنسان وملك، وإلقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك، فهم متحيّرون ضلّال لا يجدون قولاً يستقرون عليه، أو فضلّوا عن الحقّ لا يهتدون إليه.

تكاثر خير ﴿ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ﴾ وهب لك في الدنيا خيراً مما قالوا. وقرئ: ﴿وَيَجۡعَل لَّكَ﴾ بالرفع والجزم عطفاً على ﴿جَعَلَ﴾ لأنّ الشرط إذا وقع ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع، كقول زهير:

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ ... يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمُ[1]

بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾
إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلۡقُواْ
مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾ لَّا تَدۡعُواْ
ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ﴿١٤﴾ قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ
جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ﴿١٥﴾
لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا
﴿١٦﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ

(١) شعر زهير بن أبي سلمى: ١٠٥، وفيه: يوم مسألة.

ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾
قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ
وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا
﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ
وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً
أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ عطف على ما حكى عنهم، يقول: بل أتوا بما هو أعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة، أو هو متصل بما يليه أي: كيف يصدّقون بذلك وهم لا يؤمنون بالآخرة؟!. والسعير: النار المستعرة.

﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ نسب الرؤية إلى النار، وإنّما يرونها هم، وهو كقولهم: دور بني فلان تتراءى، أي: كان بعضها يرى بعضاً، والمعنى: إذا كانت منهم بمرأى النظر سمعوا صوت التهابها، وشبّه ذلك بصوت المتغيّظ والزافر، وقيل: التغيّظ للنار والزفير لأهلها.

﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ جمع على أهل النار التضيق والإرهاق، نعوذ بالله منها. وعن ابن عباس: (أنّه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح)[١]، وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مصفدون، قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع والأصفاد. وقيل: قرنوا مع الشياطين في السلاسل[٢].

(١) الكشاف ج٣: ٢٦٧. معالم التنزيل ج٣: ٩٠.
(٢) عن يحيى بن سلام. تفسير الماوردي ج٤: ١٣٤.

والثبور: الهلاك، ودعاؤه أن يقولوا: واثبوراه، أي: تعال فهذا زمانك.

﴿لَّا تَدْعُوا﴾ أي: يقال لهم، أو هم حريّ بأن يقال لهم ذلك وإن لم يكن هناك قول، أي: وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه بواحد، إنّما هو ثبور كثير.

أي: وعدها المتقون ﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا ﴾ يشاؤونه.

﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً﴾ أي: كان ذلك مكتوباً في اللوح، أو لأنّ موعود الله في تحقّقه كأنّه قد كان، والضمير في ﴿كَانَ﴾ لـ﴿مَا يَشَآءُونَ﴾ أي: كان ذلك موعوداً واجباً ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ إنجازه، حقيقاً بأن يسأل ويطلب لأنّه ثواب مستحقّ، وقيل: ﴿مَّسْئُولًا﴾ سأله الملائكة والناس في دعواتهم ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾[١]، ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾[٢].

وقرئ: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾، ﴿فَيَقُولُ﴾ كلاهما بالنون والياء.

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ يريد معبوديهم من الملائكة والإنس والأصنام إذا أنطقهم الله. والفائدة في ﴿أَنتُمْ﴾ و﴿هُمْ﴾ وإيلائهما حرف الاستفهام: أنّ السؤال إنّما وقع عن متولي الفعل لا عن الفعل ووجوده، فقدّم ليعلم أنّه المسؤول عنه.

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴾ أي: تنزيهاً لك عن الشريك، وهذا تعجب منهم مما قيل لهم لأنّهم ملائكة وأنبياء معصومون، أو قالوا: سبحانك ليدلوا على أنّهم المسبحون الموسومون بذلك.

﴿مَا كَانَ﴾ يصحّ لنا ولا يستقيم أن نتولى أحداً دونك، فكيف يصحّ لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولانا دونك؟! وقرئ: نتخذ، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام. واتخذ قد يتعدّى إلى مفعول واحد وإلى مفعولين، فالقراءة الأولى من المتعدّي إلى

(١) غافر: ٨.

(٢) آل عمران: ١٩٤.

مفعول واحد وهو ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾، والأصل: أن نتخذ أولياء فزيدت ﴿مِنْ﴾ لتأكيد النفي، والثانية من المتعدّي إلى مفعولين، و﴿مِنْ﴾ للتبعيض أي: نتخذ بعض أولياء.

و﴿ٱلذِّكْرَ﴾ ذكر الله والإيمان به، أو القرآن والشرع.

والبور: الهلاك يوصف به الواحد والجمع، أو هو جمع بائر كعائذ وعوذ.

وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول من يزعم أن الله سبحانه يضلّ عباده على الحقيقة، حيث يقول للمعبودين من دونه: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى .. أَمْ هُمْ ضَلُّواْ﴾ بأنفسهم، فيتبرؤون من إضلالهم ويستعيذون به من أن يكونوا مضلين، ويقولون: بل أنت تفضلت على هؤلاء وآبائهم، فجعلوا النعمة التي هي سبب الشكر سبباً للكفر ونسيان الذكر، فكان ذلك سبب هلاكهم، فبرؤوا أنفسهم من الإضلال ونزّهوه سبحانه أيضاً منه حيث أضافوا إليه التمتيع بالنعمة، وأضافوا نسيان الذكر الذي هو سبب البوار إليهم، فشرحوا الإضلال المجازي الذي نسبه الله إلى ذاته في قوله: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾[1]، ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب أن يقولوا: بل أنت أضللتهم.

﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ قرئ بالتاء والياء، فالتاء على معنى: فقد كذّبوكم بقولكم: إنّهم آلهة، والياء على معنى: فقد كذّبوكم بقولهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ ...الآية﴾.

وقرئ: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتاء والياء أيضاً، فالتاء على فما تستطيعون أنتم صرف العذاب عنكم، وقيل: الصرف: التوبة[2]، وقيل: الحيلة[3] من قولهم:

---

(١) الرعد: ٢٧.

(٢) عن الأصمعي. الكشف والبيان ج٧: ١٢٧.

(٣) عن يونس. الكشف والبيان ج٧: ١٢٧.

إنّه ليتصرّف، أي: ليحتال؛ والياء على فما يستطيع آلهتكم ذلك.

﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ في الآخرة، والكافر ظالم لقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١].

والجملة بعد ﴿إِلَّآ﴾ صفة لمحذوف، والمعنى: وما أرسلنا أحداً من المرسلين إلا آكلين وماشين، وإنّما حذف لدلالة الجار والمجرور عليه، ونحوه: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[٢] أي: وما منّا أحد، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: وَيُمَشَّوْنَ ـ على البناء للمفعول ـ أي: يمشّيهم حوائجهم أو الناس.

﴿فِتْنَةً﴾ أي: محنة وابتلاء، وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتصبير له على ما قالوه واستبدعوه من أكله الطعام ومشيه في الأسواق. يعني: إنّا نبتلي المرسلين بالمرسل إليهم بأنواع أذاهم. وموقع قوله: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ بعد ذكر الفتنة موقع (أيكم) بعد الابتلاء في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٣].

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ أي: عالماً بالصواب فيما يبتلى به وغيره، فلا يضيقن صدرك بأقوالهم واصبر، وقيل: هو تسلية له عما عيّروه به من الفقر حين قالوا: ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾[٤] أي: جعلنا الأغنياء فتنة للفقراء لننظر هل يصبرون، وقيل: جعلناك فتنة لهم لأنّك لو كنت غنياً صاحب كنوز وجنات، لكان ميلهم إليك وطاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بها، فبعثناك فقيراً لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا من غير طمع وغرض دنيوي، وقيل: كان أبو جهل وأضرابه

---

(١) لقمان: ١٣.

(٢) الصافات: ١٦٤.

(٣) الملك: ٢.

(٤) الفرقان: ٨.

يقولون: إن أسلمنا وقد أسلم قبلنا صهيب وبلال وفلان وفلان، ترفّعوا علينا إدلالاً بالسابقة فذلك الفتنة(١).

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ
رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ
يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا
﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾
أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ
تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ
لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ
عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ
لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ
جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ
يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾

أي: لا يأملون لقاءنا بالخير لأنّهم كفرة، أو لا يخافون لقاءنا بالشرّ، والرجاء: الخوف في لغة تهامة. جعلت الصيرورة إلى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقياً، هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فتخبرنا بأنّ محمّداً صادق ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ جهرة فيأمرنا بتصديقه واتباعه.

﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بأن أضمروا الاستكبار عن الحقّ والعناد في قلوبهم، ونحوه: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾(٢).

---

(١) عن مقاتل. معالم التنزيل ج٣: ٩١.

(٢) غافر: ٥٦.

و﴿عُتُوًّا﴾ أي: تجاوزوا الحدّ في الطغيان، ووصف العتو بالكبير فبالغ في إفراطه، أي: أنّهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا لأنّهم بلغوا أقصى العتو وغاية الاستكبار. واللام جواب قسم محذوف.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ منصوب بما دلّ عليه ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ أي: يمنعون البشرى، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تكرير، أو منصوب بـ(اذكر)، أي: اذكر يوم ﴿يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾، ثمّ ابتدأ ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ﴾، وقوله: ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ إما ظاهر في موضع مضمر، وإما لأنّه عام فقد تناولهم لعمومه.

﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ منصوب بفعل ترك إظهاره، قال سيبويه: (يقول الرجل للرجل: أتفعل كذا وكذا؟ فيقول: حجراً)[١]. وهو من حجره: إذا منعه. والمعنى: أسأل الله أن يحجر ذلك حجراً، ومجيئه على فعل أو فعل تصرّف فيه لاختصاصه بموضع واحد، كما قيل: فديت وعمرك، قال:

عَوْذٌ بِرَبِّي مِنْكُمُ وَحِجْرُ[٢]

[وهذه كلمة كانوا يقولونها عند لقاء عدو أو هجوم نازلة يضعونها موضع الاستعاذة.

﴿مَّحْجُورًا﴾ صفة لـ﴿حِجْرًا﴾ جاءت لتأكيد معناه، كما قالوا: موت مائت][٣]. والمعنى: أنّهم يطلبون الملائكة، وإذا رأوهم يوم القيامة كرهوا لقاءهم وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور، وقيل: هو من قول الملائكة[٤]،

---

(١) الكتاب ج١: ٣٢٦.

(٢) الأغاني ج٢: ١٩٧ دون نسبة، وصدره: قالت وفيها حيدة وذعر.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) عن الضحاك وغيره. تفسير الطبري ج١٩: ٣.

ومعناه: حراماً محرّماً عليكم الغفران والجنّة أو البشرى، أي: جعل الله ذلك حراماً عليكم.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟﴾ ليس هنا قدوم، ولكن شبّه حالهم وأعمالهم التي عملوها في كفرهم ـ من صلة رحم، وقري ضيف، وإغاثة ملهوف، وغيرها من المكارم ـ بحال قوم عصوا ملكهم فقدم إلى أسبابهم وأملاكهم فأبطلها ولم يترك لها أثراً. والهباء: ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس، شبيه بالغبار، ﴿مَّنثُورًا﴾ صفة لـ﴿هَبَآءً﴾ أي: منتشراً متناثراً.

المستقر: المكان الذي يستقرّون فيه متحادثين.

والمقيل: المكان الذي يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم، وسمّي مقيلاً على طريق التشبيه، وفي لفظ ﴿أَحْسَنُ﴾ رمز إلى ما يتزيّن به مقيلهم من حسن الوجوه والصور وغير ذلك من التحاسين.

وقرئ: ﴿تَشَقَّقُ﴾ والأصل تتشقق فحذف التاء في إحدى القراءتين وأدغم في القراءة الأخرى. ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ الباء للحال، أي: تتشقق السماء وعليها الغمام، كما تقول: ركب الأمير بسلاحه، أي: وعليه سلاحه.

﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد. وقرئ: وننزل الملائكة.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾، لأنّ كل ملك يزول ملكه يومئذ ويبطل ولا يبقى إلا ملكه، فـ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ مبتدأ، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف له، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ صفة له، و﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ خبره. ويجوز أن يكون ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفاً للخبر، ويجوز أن يكون ﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبراً، والجار والمجرور في موضع الحال.

العض على اليدين، والسقوط في اليد، وأكل البنان، وحرق الإرم، وقرع

الأسنان، كنايات عن الغيظ والحسرة لأنّها من روادفهما.

واللام في ﴿ٱلظَّالِمُ﴾ يجوز أن يكون للعهد فيكون مخصوصاً على ما ذكر في الرواية(١)، ويجوز أن يكون للجنس فيتناول كل ظالم تبع خليله وتابعه على إضلاله. تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه سبيل الحقّ. الأصل يا ويلتي، فقلبت الياء ألفاً كما في صحارى ومدارى.

﴿فُلَانًا﴾ كناية عن الأعلام، كما أنّ الهن كناية عن الأجناس.

﴿عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾ عن ذكر الله أو القرآن أو متابعة الرسول، و﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ إشارة إلى خليله، سمّاه شيطاناً لأنّه أضلّه كما يضل الشيطان ثمّ خذله ولم ينفعه في العاقبة، أو أراد إبليس فإنّه الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثمّ خذله. ويحتمل أن يكون ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ حكاية كلام الظالم، وأن يكون كلام الله.

﴿ٱلرَّسُولُ﴾ محمّد ﷺ، وقومه قريش، حكى الله عنه شكواه قومه إليه.

﴿مَهۡجُورٗا﴾ أي: تركوه ولم يؤمنوا به، وقيل: هو من هجر إذا هذى(٢)، أي: جعلوه مهجوراً فيه، أي: زعموا أنّه هذيان وباطل، أو هجروا فيه حين سمعوه كقوله: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾(٣).

وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج١٩: ٦، الدر المنثور ج٥: ٦٨.

(٢) عن إبراهيم النخعي وغيره. تفسير الطبري ج١٩: ٧.

(٣) فصلت: ٢٦.

عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا
﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ
وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ
تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ
لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟
وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ
ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ
أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا
يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

هذا تسلية للنبيّ ﷺ، أي: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كان كل نبيّ قبلك مبتلى بعداوة قومه، وكفاك بي ﴿هَادِيًا﴾ إلى الانتصار منهم، وناصراً لك عليهم. والعدو يكون واحداً وجمعاً.

و﴿نُزِّلَ﴾ هنا بمعنى أنزل، كخبّر وأخبر، أي: هلا أنزل ﴿عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ دفعة في وقت واحد كما أنزلت التوراة والإنجيل والزبور ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ جواب لهم، أي: كذلك أنزل مفرقاً، والحكمة فيه أن نثبّت به قلبك ونقوّيه بتفريقه حتى تعيه وتحفظه، لأنّ المتلقّن إنّما يقوى قلبه بأن يحفظ العلم شيئاً بعد شيء، وأيضاً فإنّ فيه ناسخاً ومنسوخاً، وما هو جواب للسائل على حسب سؤاله، ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملة واحدة، ولأنّه كان عليه السلام أمياً لا يقرأ ولا يكتب فلابد له من التلقّن، فأنزل عليه مفرّقاً، وكان موسى وعيسى قارئين وكاتبين.

﴿وَرَتَّلْنَٰهُ﴾ معطوف على الفعل الذي تعلّق به ﴿كَذَٰلِكَ﴾، كأنّه قال: فرّقناه

﴿وَرَتَّلْنَٰهُ﴾ أي: قدّرناه آية بعد آية، وسورة عقيب سورة، أو أمرنا بترتيل قراءته وهو أن يقرأ بترتل وتثبّت. وأصل الترتيل: في الأسنان، يقال: ثغره رتل ومرتل أي: مفلّج، وقيل: هو تنزيله على تمكّث وتمهّل في مدة بعيدة(١).

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ بسؤال عجيب كأنّه مثل في البطلان ﴿إِلَّا﴾ أتيناك بالجواب الحقّ الذي لا محيد لهم عنه، وبما هو ﴿أَحْسَنُ﴾ معنى من سؤالهم، وضع التفسير موضع المعنى لأنّ التفسير هو الكشف عما يدلّ عليه الكلام، يعني: إنّ تنزيله مفرّقاً وتحدّيهم بسورة سورة منها أدخل في باب الإعجاز من أن ينزل جملة واحدة فيقال لهم: ائتوا بمثلها في الفصاحة، كأنّه قال: إنّما يحملكم على هذه السؤالات أنّكم تضللون سبيله وتحقّرون مكانه ومنزلته.

وإذا سحبتم ﴿عَلَىٰ﴾ وجوهكم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ علمتم أنّ مكانكم شرّ من مكانه، وسبيلكم أضل من سبيله، ويجوز أن يراد بالمكان: الشرف والمنزلة، وأن يراد الدار والمسكن، كقوله: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾(٢).

﴿وَزِيرًا﴾ أي: مؤازراً له على تأدية الرسالة. والمعنى: فذهبا إليهم فكذّبوهما ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ﴾ فاختصر لأنّ المقصود من القصّة إلزام الحجّة بإرسال الرسل واستحقاق التدبير بتكذيبهم. ورووا عن عليّ عليه السلام: فَدَمَّرَاهُمْ، وفدمرانّهم على التأكيد ـ بالنون المشددة ـ.

﴿كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ لأنّ تكذيبهم له تكذيب لجميعهم، أو كذّبوه ومن قبله من الرسل، أولم يروا بعثة الرسل كالبراهمة(٣).

---

(١) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج١٩: ٨.

(٢) مريم: ٧٣.

(٣) البراهمة: هم القوم المخصوصون بنفي النبوّات أصلاً ورأساً، وقد انتسبوا إلى رجل منهم يقال له: ←

﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ أي: إغراقهم أو قصّتهم.

﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لهم، إلا أنّه قصد تظليمهم فأظهر، أو تناول الظالمين بعمومه.

﴿وَعَادٗا﴾ عطف على (هم) في ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾.

﴿وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ كان لهم نبيّ اسمه حنظلة، فقتلوه فأهلكوا. والرس: البئر غير المطوية، وقيل: الرس: قرية باليمامة يقال لها فلج[1]، وروي عن الصادقعليه السلام: ((أنّ نساءهم كنّ سحاقات))[2].

﴿وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور، كما يحسب الحاسب أعداداً كثيرة ثمّ يقول: فذلك كذا، بمعنى: فذلك المحسوب أو المعدود.

﴿وَكُلّٗا﴾ منصوب بمضمر [وهو أنذرنا وحذرنا، ودلّ عليه قوله: ﴿ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ﴾ أي: بيّنا له القصص العجيبة ﴿وَكُلّٗا﴾ الثاني بمضمر][3] وهو ﴿تَبَّرۡنَا﴾. والتتبير: التكسير.

وأراد بـ﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ سدوم من قرى قوم لوط، وكانت خمساً، أهلك الله أربعاً منها وبقيت واحدة.

و﴿مَطَرَ ٱلسَّوۡءِ﴾: الحجارة، وكانت قريش يمرّون في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة ويرونها.

﴿لَا يَرۡجُونَ﴾ أي: لا يتوقعون، وضع الرجاء موضع التوقع، لأنّه إنّما

برهام، قد مهّد لهم نفي النبوّات أصلاً وقرر استحالة ذلك في العقول. ينظر: الملل والنحل ج٣: ٣٤٢.

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج١٩: ١٠.

(٢) ثواب الأعمال: ٢٦٨، الكشف والبيان ج٧: ١٣٨.

(٣) ساقطة من ج.

يتوقع العاقبة من يكون مؤمناً، أو لا يأملون ﴿نُشُورًا﴾، أو لا يخافون فلذلك لم ينظروا ولم يتذكروا.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ
رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا
عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا
﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا
﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ
إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾
ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا
﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ
كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ
إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾

﴿إِن﴾ الأولى نافية، والثانية مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينهما، أي: ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا﴾ موضع هزء أو مهزوءاً به، ومعناه: يستهزئون بك ويقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى﴾ بعثه ﴿ٱللَّهُ﴾؟! وهذا استصغار.

وفي قولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ دليل على بذل رسول الله ﷺ غاية المجهود في دعوتهم، وعرض الآيات والمعجزات عليهم حتى قاربوا أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام، و﴿لَوْلَآ﴾ هنا جار مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى،

﴿وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ وعيد، وقوله: ﴿مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ كالجواب عن قولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾.

[﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾][1] أي: من جعل هواه معبوده، أفتتوكل عليه بأن تدعوه إلى الهدى وتجبره عليه وتقول: لابد أن تسلم شئت أو أبيت؟ كما قال: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾[2]، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍ﴾[3].

﴿أَمۡ﴾ منقطعة، أي: بل أتحسب.

﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ لأنّ الأنعام تنقاد لمن يتعهدها، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرّها، وهؤلاء لا ينقادون لربّهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يجتنبون العقاب الذي هو أشدّ المضار.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ألم تنظر إلى صنع ربّك وقدرته.

﴿كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ أي: جعله ممتداً منبسطاً لينتفع به الناس.

﴿وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا﴾ أي: لاصقاً بأصل كل ذي ظل من بناء أو شجر فلم ينتفع به أحد، سمّى سبحانه انبساط الظل وامتداده تحركاً منه، وعدم ذلك سكوناً.

ومعنى كون الشمس ﴿دَلِيلٗا﴾: إنّ الناس يستدلّون بالشمس وأحوالها في مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتاً في مكان وزائلاً ومتسعاً ومتقلصاً، ولولا الشمس لما عرف الظل، ولولا النور لما عرفت الظلمة.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الغاشية: ٢٢.

(٣) ق: ٤٥.

ومعنى قبضه إليه: ينسخه بضحّ الشمس ﴿قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾ على مهل شيئاً بعد شيء، وفي ذلك منافع غير محصورة، ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعاً. وأما فائدة ﴿ثُمَّ﴾ في الموضعين فهو أنّه بيان لتفاضل الأمور الثلاثة تشبيهاً لتباعد ما بينها في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت.

وفي الآية وجه آخر وهو: أنّه سبحانه مدّ الظل حين بنى السماء كالقبة، فألقت القبة ظلها على وجه الأرض، ولو شاء لجعله ساكناً مستقراً على تلك الحالة، ثمّ خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل دليلاً متبوعاً له كما يتبع الدليل في الطريق، فهو يزيد بها وينقص، ثمّ نسخه بها فقبضه قبضاً سهلاً يسيراً غير عسير.

ويمكن أن يكون المراد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه [وهي الأجرام ذوات الظل، أي: نعدمه بإعدام أسبابه][1] كما أنشأه بإنشاء أسبابه، وفي قوله: ﴿قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا﴾ دلالة عليه، وكذلك في قوله: ﴿يَسِيرٗا﴾ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾[2].

جعل ظلام الليل مثل اللباس الساتر، والنائم شبه الميت. والسبات: الموت لأنّ في مقابلته النشور، فالنوم واليقظة مشبّهان بالموت والحياة، وقيل: ﴿سُبَاتٗا﴾ راحة لأبدان الناس وقطعاً لأعمالهم[3].

﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾ ينتشر الناس فيه لطلب معاشهم، ويتفرّقون لحوائجهم. نشراً أي: إحياء، ونشر جمع نشور وهي المحيية، ونشراً تخفيف نشر.

و﴿بُشۡرَۢا﴾ تخفيف بشر جمع بشير وبشرى ﴿بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾ أي: قدام

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) ق: ٤٤.

(٣) تفسير الطبري ج١٩: ١٤.

المطر.

﴿طَهُورًا﴾ أي: بليغاً في طهارته، وقيل: طاهراً في نفسه مطهّراً لغيره[١]، وهو صفة في قولك: ماء طهور، واسم لما يتطهّر به كالوضوء والوقود.

قال: ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ لأنّ البلدة في معنى البلد في قوله: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾[٢]. وقرئ: نسقيه ـ بالفتح ـ، وسقى وأسقى لغتان، وقيل: أسقاه: جعل له سقياً. والأناسي: جمع إنسي أو إنسان، كالظرابي في جمع ظربان، على قلب النون من أناسين وظرابين ياء.

﴿وَلَقَدْ﴾ صرّفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة ليستدلّوا بذلك على سعة مقدورنا، فأبوا ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ وأن يقولوا: مطرنا بنوء كذا[٣].

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا
عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا
﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ
عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا

(١) الكشف والبيان ج٧: ١٤٠.

(٢) فاطر: ٩.

(٣) النوء: سقوط نجم، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها. (الصحاح: مادة نوأ)

﴿٥٧ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ
بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ
خَبِيرًا ٥٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ
لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ٦٠﴾

﴿لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ ينذرها، وإنّما قصرنا الأمر عليك تفضيلاً لك على سائر الرسل، فقابل هذا التعظيم والتبجيل بالتصبّر، و﴿لَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فيما يريدونك عليه.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للقرآن، أو لترك الطاعة الذي دلّ عليه ﴿فَلَا تُطِعِ﴾، والمراد: إنّ الكفار يجتهدون في توهين أمرك، فقابلهم من جدّك واجتهادك بما تغلبهم به، وجعله ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ للمشاق العظيمة التي يحتملها فيه. ويجوز أن يكون المراد: وجاهدهم بسبب كونك نذيراً للجميع جهاداً كبيراً جامعاً لكل مجاهدة.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ خلاهما متجاورين كما يخلى الخيل في المرج. والفرات: البالغ في العذوبة، والأجاج ضده.

﴿بَرْزَخًا﴾ أي: حائلاً من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج.

﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ مر تفسيره[1]، وهو هاهنا مجاز، كأنّ كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له: حجراً محجوراً، كما قال: ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾[2] أي: لا يبغي أحدهما على صاحبه، فانتفاء البغي هناك كالتعوذ هنا، جعل كل واحد

---

(١) الآية: ٢٢.

(٢) الرحمن: ٢٠.

منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه.

﴿خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ أي: من النطفة ﴿بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا﴾ أي: فقسم البشر قسمين: ذوي نسب ذكوراً ينسب إليهم، ﴿وَصِهْرًا﴾ أي: إناثاً يصاهر بهن ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ يخلق من النطفة الواحدة نوعين: ذكراً وأنثى.

والظهير بمعنى المظاهر، أي: يظاهر الشيطان على ربّه بعبادة الأوثان.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾ معناه: إلا فعل من شاء أن ينفق المال في طلب رضا ربّه، ويتقرّب بالصدقة في سبيله، وهو معنى الاتخاذ إلى الله سبيلاً.

أي: تمسّك بالتوكل ﴿عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ وثق به في استكفاء شرورهم، وعن بعض السلف أنّه قرأها فقال: (لا يصحّ لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق)[1].

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ﴾ الباء زائدة، أي كفاك الله، ﴿خَبِيرًا﴾ تمييز أو حال، أراد بهذا أنّه ليس إليه من أمر عباده شيء، آمنوا أم كفروا، وأنّه خبير بأحوالهم، كاف في جزاء أعمالهم.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ مبتدأ و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبره، أو هو صفة لـ﴿ٱلْحَيِّ﴾ و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو بدل عن الضمير المستكن في ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾. وقرئ: الرحمن ـ بالجر ـ صفة لـ﴿ٱلْحَيِّ﴾، وقرئ: فاسأل، والباء في ﴿بِهِۦ﴾ صلة (سل) كقوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[2] كما أنّ (عن) صلته في قوله: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[3]، فقولك: سأل به مثل اهتم به واعتنى به، وسأل عنه كـ(فتش عنه) و(بحث عنه).

---

(١) الكشاف ج٣: ٢٨٨.

(٢) المعارج: ١.

(٣) التكاثر: ٨.

ويجوز أن يكون صلة ﴿خَبِيرًا﴾ ويجعل ﴿خَبِيرًا﴾ مفعول (سل)، والمعنى: فسل عنه رجلاً عارفاً يخبرك برحمته، أو فسل رجلاً خبيراً به وبرحمته، أو فسل بسؤاله خبيراً، كما تقول: رأيت به أسداً، أي: برؤيته، والمعنى: إن سألته وجدته خبيراً، أو تجعله حالاً عن الهاء تريد: فسل عنه عالماً بكل شيء. وقيل: الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدّمة، ولم يكونوا يعرفونه، فقيل له: سل بهذا الاسم من يخبرك به من أهل الكتاب(١).

﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أنكروا إطلاق هذا الاسم على الله لأنّه لم يكن مستعملاً في كلامهم.

﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أي: للذي ﴿تَأْمُرُنَا﴾ بالسجود له؟ فحذف على ترتيب، وقرئ بالياء، أي: لما يأمرنا محمّد، ويأمرنا المسمّى بالرحمن. ويجوز أن تكون (ما) مصدرية أي: لأمرك لنا.

وفي ﴿زَادَهُمْ﴾ ضمير ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ لأنّه هو المقول.

تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا
مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن
يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا
سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٧٣.

يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ
ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا
يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾

يريد بالبروج: منازل الكواكب السيارة، وهي اثنا عشر برجاً، سمّيت بالبروج التي هي القصور العالية لأنّها لهذه الكواكب كالبروج لسكانها، والسراج: الشمس. وقرئ: سرجاً، وهي الشمس [والكواكب الكبار معها. وعنهم عليهم السلام: لا تقرأ سرجاً إنّما هي سراجاً، وهي الشمس][1].

والخلفة: الحالة التي يختلف عليها الليل والنهار، ويخلف كل واحد منهما الآخر، والمعنى: جعلهما ذوي خلفة، أي: ذوي عقبة، يعقب هذا ذاك وذاك هذا. وقرئ: يَذْكُرَ و﴿يَذَّكَّرَ﴾، أي: لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم أن لابد لهما من مغيّر وناقل من حال إلى حال، ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرّف بالنهار، أو ليكونا وقتاً للمتذكرين والشاكرين، من فاته ورده في أحدهما قضاه في الآخر.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ مبتدأ خبره في آخر السورة قوله: ﴿**أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ**﴾، ويجوز أن يكون خبره ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾. ﴿هَوۡنٗا﴾ حال أو صفة للمشي، أي: هينين، أو مشياً هيناً، إلا أن في وضع المصدر موضع الصفة

---

(١) ساقطة من ج.

مبالغة، والهون: الرفق واللين، وفي المثل: (إذا عزّ أخوك فهن)[١]، أي: يمشون بسكينة وتواضع.

﴿سَلَٰمًا﴾ تسليماً منكم لا نجاهلكم، ومتاركة لا خير بيننا ولا شرّ، أي: نتسلم منكم تسليماً، فأقيم السلام مقام التسليم، وقيل: قالوا سداداً من القول يسلمون فيه من الإثم[٢]. والمراد بالجهل: السفه وقلة الأدب.

بات خلاف ظلّ، وصفوا بإحياء الليل أو أكثره ساجدين وقائمين.

﴿غَرَامًا﴾ أي: هلاكاً وخسراناً ملحاً لازماً، قال:

إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَاماً وَإِنْ يُعْطِ جَزِيلاً فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي[٣]

ومنه: الغريم لأنّه يلح ويلزم، يعني: إنّهم مع عبادتهم واجتهادهم خائفون متضرّعون إلى الله في استدفاع العذاب عنهم.

﴿سَآءَتْ﴾ في حكم (بئست)، فيها ضمير مبهم يفسّره ﴿مُسْتَقَرًّا﴾، والمخصوص بالذم محذوف، ومعناه: ساءت مستقراً ومقاماً هي، وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم (إنّ) وجعلها خبراً لها. ويجوز أن يكون ﴿سَآءَتْ﴾ بمعنى أحزنت، وفيها ضمير اسم (إنّ)، و﴿مُسْتَقَرًّا﴾ حال أو تمييز. والتعليلان يصحّ أن يكونا متداخلين ومترادفين، وأن يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم.

﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ قرئ بكسر التاء وضمها ويقتروا ـ بضم الياء ـ. والقتر والإقتار نقيض الإسراف الذي هو مجاوزة الحد في النفقة، وصفهم بالقصد الذي

---

(١) مجمع الأمثال ج١: ٣٥.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٩: ٢٢.

(٣) ديوان الأعشى: ١٠.

هو بين الغلو والتقصير.

والقوام: العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما، ونظيره: السواء من الاستواء. ويجوز أن يكون ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ و﴿قَوَامًا﴾ خبرين معاً، وأن يكون ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ لغواً، و﴿قَوَامًا﴾ مستقراً، وأن يكون الظرف خبراً و﴿قَوَامًا﴾ حال مؤكدة.

﴿ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي: حرّمها، والمعنى: حرّم قتلها، وتعلّق ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ بهذا القتل المحذوف أو بـ﴿لَا يَقْتُلُونَ﴾.

نفى عنهم هذه الأفعال القبيحة، وبرّأهم منها تعريضاً بما كان عليه أعداؤهم من الكفار، كأنّه قال: والذين برّأهم الله مما أنتم عليه. والقتل بغير حقّ يدخل فيه الوأد وغيره.

والأثام: جزاء الإثم كالوبال والنكال، وقيل: هو الإثم[1]. والمعنى جزاء أثام.

﴿يُضَٰعَفْ﴾ بدل من ﴿يَلْقَ﴾ لأنّهما في معنى واحد، وقرئ: يضاعف ـ بالرفع ـ، ويخلد ـ بالرفع ـ، ويضعف ـ بالرفع والجزم ـ، والرفع على الاستئناف أو على الحال.

وتبديل السيئات حسنات أن تمحى السيئة وتثبّت بدلها الحسنة، وقرئ: يُبْدِلُ، من الإبدال. وقيل: يبدلون بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام[2].

---

(١) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج٧: ١٤٨.

(٢) عن قتادة وغيره. الدر المنثور ج٥: ٧٩.

وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ
لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ
إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾
وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ
أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ
ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ
رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾

﴿وَمَن﴾ ترك المعاصي وندم عليها، ودخل في العمل الصالح فإنّه يرجع ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ وإلى ثوابه مرجعاً حسناً أيّ مرجع، أو فإنّه تاب بذلك إلى الله ﴿مَتَابًا﴾ مرضياً عنده.

﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي: مجالس الفساق، ولا يحضرون الباطل، وقيل: هو الغناء[1]، وروي ذلك عن السيّدين الباقر والصادق عليهما السلام[2]، وفي مواعظ عيسى بن مريم: (إياكم ومجالسة الخطائين)[3]. وقيل: لا يشهدون شهادة الزور[4] فحذف المضاف.

﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ﴾ أي: بأهل اللغو والمشتغلين به ﴿مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ مكرمين أنفسهم عن التوقّف عليهم والخوض معهم، معرضين عنهم. واللغو: كل ما

---

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٩: ٣١.

(٢) الكافي ج٦: ٤٣١-٤٣٣.

(٣) الكشاف ج٣: ٢٩٥.

(٤) عن علي بن أبي طلحة. معالم التنزيل ج٣: ٩٨.

ينبغي أن يلقى ويطرح.

﴿إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: وعظوا بالقرآن والأدلة ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا﴾ ليس بنفي للخرور، بل هو إثبات له ونفي للصمم والعمى، أي: إذا ذكّروا بها أكبّوا عليها حرصاً على استماعها وهم سامعون بآذان واعية، مبصرون بعيون راعية.

وقرئ: وذريتنا. سألوا ربّهم أن يرزقهم أزواجاً وأولاداً وأعقاباً تقرّ بهم عيونهم، وتسرّ بهم نفوسهم، وعن ابن عباس: (هو الولد إذا رآه يكتب الفقه)[١].

﴿إِمَامًا﴾ أراد أئمّة، واكتفى بالواحد لدلالته على الجنس، أو أراد جمع آم كصائم وصيام.

و﴿مِنْ﴾ للبيان، أي: هب لنا قرة أعين، ثمّ بيّن القرّة بقوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾، وهو من قولهم: رأيت منك أسداً أي: أنت أسد. ويجوز أن يكون للابتداء بمعنى: هب لنا من جهتهم ما تقرّ به أعيننا من صلاح وعلم، ونكّر القرة بتنكير المضاف إليه، فكأنّه قال: هب لنا منهم سروراً وفرحاً. وعن الصادق عليه السلام في قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قال عليه السلام: ((إيّانا عنى))[٢]، وروي عنه عليه السلام أنّه قال: ((هذه فينا))[٣]، وعن أبي بصير[٤] قال: ((قلت: واجعلنا للمتقين إماماً؟ فقال عليه السلام: سألت ربّك عظيماً، إنّما هي: واجعل لنا من المتقين إماماً))[٥].

(١) الكشاف ج٣: ٢٩٦.

(٢) تفسير القمي ج٢: ١١٧ بالمعنى.

(٣) المحاسن ج١: ١٧٠.

(٤) أبو بصير يحيى بن القاسم الأسدي، وقيل: أبو محمّد، ثقة جليل، روى عن الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام وله كتاب، مات سنة ١٥٠هـ. ينظر: معجم رجال الحديث ج٢٠: ٨٨.

(٥) تفسير القمي ج٢: ١١٧.

﴿يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ يريد الغرفات، وهي العلالي في الجنّة، فوحّد اقتصاراً على الواحد الدال على الجنس، يدلّ عليه قوله: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾(١).

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم على الطاعات، وعن الشهوات، وعلى مجاهدة الكفار، ومقاساة الفقر ومشاق الدنيا، لشياع اللفظ في كل مصبور عليه. وقرئ: ﴿وَيُلَقَّوۡنَ﴾، وهو كقوله: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾(٢)، ويلقون كقوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾(٣).

﴿تَحِيَّةً﴾: قولاً يسرّون به، ودعاء بالتعمير تحييهم الملائكة ويسلّمون عليهم، أو يحيي بعضهم بعضاً ويسلّم عليه، وقيل: يعطون ملكاً عظيماً وتخليداً مع السلامة من كل آفة.

﴿مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾: موضع استقرار وموضع إقامة.

﴿مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ﴾ أي: ما يبالي بكم ربّي، ولم يعتدّ بكم ﴿لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ﴾ أي: عبادتكم، وقيل: ﴿مَا﴾ استفهامية في محلّ النصب، وهي عبارة عن المصدر(٤)، كأنّه قال: أي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم، أي: لا تستأهلون شيئاً من العبء بكم لولا عبادتكم. وحقيقة قولهم: ما عبأت به: ما اعتددت به من مهماتي وما يكون عبأ عليّ، وقيل: لولا دعاؤكم إيّاه إذا مسّكم ضرّ رغبة إليه وخضوعاً له. وفي هذا دلالة على أنّ الدعاء من الله بمكان، وقيل: معناه: ما يصنع بكم ربّي لولا دعاؤه إيّاكم إلى الإسلام(٥).

---

(١) سبأ: ٣٧.

(٢) الإنسان: ١١.

(٣) الفرقان: ٦٨.

(٤) معاني القرآن للفراء ج٢: ٢٧٥.

(٥) معاني القرآن للفراء ج٢: ٢٧٥.

﴿فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ﴾ بالتوحيد وبمن دعاكم إليه ﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزَامَۢا﴾ أي: لازماً لكم واقعاً بكم لا محالة، وهو القتل يوم بدر أو عذاب الآخرة.

سورة الشعراء

مكية كلها إلا قوله: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ إلى آخرها، مائتان وسبع وعشرون آية كوفي، ست في غيرهم، ﴿طسم﴾ كوفي، ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ غيرهم، ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ غير البصري.

في حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (سورة الشعراء) كان له من الأجر بعدد من صدّق بنوح وكذّب به، وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، وبعدد من كذّب بعيسى، وصدّق بمحمّد))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ الطواسين الثلاث في ليلة الجمعة كان من أولياء الله وفي جواره وكنفه، ولم يصبه في الدنيا بؤس أبداً، وأُعطي في الآخرة من الجنّة حتى يرضى وفوق رضاه، وزوّجه الله مائة حوراء من الحور العين))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا

(١) الكشف والبيان ج٧: ١٥٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٩.

﴿كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ
۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾

طاء وياء وحاء من ﴿طسم﴾ و﴿يس﴾ و﴿حم﴾ قرئ بالإمالة والتفخيم، وقرئ نون (سين) بالإظهار والإدغام.

﴿ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ هو اللوح المحفوظ يبيّن للناظرين في كل ما هو كائن، أو القرآن يبيّن ما أودع من الحكم والشرائع وأنواع العلوم، أو هو الظاهر إعجازه وصحّة أنّه من عند الله.

والبخع: الإهلاك، و﴿لَعَلَّكَ﴾ للإشفاق، أي: أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك.

﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: خيفة أن لا يؤمنوا، أو لأن لا يؤمنوا.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ﴾ آية ملجئة إلى الإيمان، كما نتق الجبل على بني إسرائيل.

﴿فَظَلَّتْ﴾ معطوف على ﴿نُنَزِّلْ﴾، والأصل: فظلّوا ﴿لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾ فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع، وترك الكلام على أصله. ويجوز أن يكون الأعناق لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل: ﴿خَـٰضِعِينَ﴾ كقوله: ﴿لِي سَاجِدِينَ﴾[1]، وقيل: المراد بالأعناق الرؤساء والمقدّمون[2]، شبّهوا بالأعناق كما قيل لهم: الرؤوس والصدور والنواصي، قال:

---

(١) يوسف: ٤.

(٢) عن مجاهد. معالم التنزيل ج٣: ٩٩.

فِي مَحْفِلٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودِ[١]

وقيل: ﴿أَعۡنَٰقُهُمۡ﴾ جماعاتهم[٢]. يقال: جاء عنق من الناس أي: جماعة.

وما يجدد الله بوحيه موعظة وتذكيراً إلا جددوا إعراضاً عنه وكفراً به.

وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم، والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه، يقال: وجه كريم مرضي في حسنه وبهائه، وكتاب كريم مرضي في معانيه، فالنبات الكريم هو المرضي في المنافع المتعلّقة به.

﴿إِنَّ فِي﴾ إنبات تلك الأصناف ﴿لَأٓيَةً﴾ على أنّ منبتها قادر على إحياء الأموات، وقد علم الله أنّ ﴿أَكۡثَرُهُم﴾ لا يؤمنون.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في انتقامه منهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بمن يؤمن.

وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾

---

(١) البيت لأم قيس الضبية. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج٣: ١٠٦٠، وصدره: ومشهد قد كفيت الغائبين به   في مجمع..

(٢) عن ابن عباس. الدر المنثور ج٥: ٨٣.

﴿قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ﴾ عطف بيان. و﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ كلام مستأنف، أي: أما آن لهم أن يتقوا الله ويحذروا من أيامه.

﴿وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ بالرفع لأنّهما معطوفان على خبر (أن)، وقرئا بالنصب عطفاً على صلة (أن)، والرفع يفيد أنّ فيه ثلاث علل: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان. والنصب يفيد أن خوفه يتعلّق بهذه الثلاثة.

﴿فَأَرۡسِلۡ﴾ جبرائيل ﴿إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ واجعله نبيّاً، وآزرني به واشدد به ظهري.

﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٌ﴾ هو قتله القبطي، أي: ولهم عليّ تبعة ذنب، وهي قود ذلك القتل ﴿فَأَخَافُ أَن﴾ يقتلوني به، فحذف المضاف، أو سمّى تبعة الذنب ذنباً، كما سمّى جزاء السيئة سيئة.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ يعني: ارتدع يا موسى عما تظن، لأنّهم لن يقتلوك به، فإنّي لا أسلّطهم عليك، فاذهب أنت وهارون.

وقوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ من مجاز الكلام لأنّه تعالى لا يوصف بالاستماع على الحقيقة، فإنّ الاستماع جار مجرى الإصغاء، وإنّما يوصف بأنّه سميع وسامع، والمراد: أنا لكما كالظهير المعين إذا حضر وأستمع ما يجري بينكما وبينه، فأظهركما عليه وأكسر شوكته عنكما. ويجوز أن يكونا خبرين لـ(إنّ)، وأن يكون ﴿مُّسۡتَمِعُونَ﴾ مستقراً، و﴿مَعَكُم﴾ لغواً.

﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ جعل رسول هنا بمعنى الرسالة، فلم يثنّ كما ثنّى

في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾[1]، كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو: صوم وزور. ويجوز أن يوحّد لأنّ حكمهما واحد بالاتفاق والأخوة، فكأنّهما رسول واحد.

﴿أَنْ أَرْسِلْ﴾ بمعنى: أي أرسل لتضمّن الرسول معنى الإرسال، وفي الإرسال معنى القول، كما في المناداة ونحوها. ومعنى هذه الإرسال التخلية والإطلاق، كما يقال: أرسل البازي. والمراد: خلّ بني إسرائيل يذهبوا معنا إلى فلسطين، وكانت مسكنهما. وفي الكلام حذف تقديره: فذهبا إلى فرعون وبلّغا الرسالة على ما أمرا به، فعند ذلك ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾ وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل.

الوليد: الصبي لقرب عهده بالولادة.

﴿سِنِينَ﴾ قيل: لبث عندهم ثماني عشرة سنة، وقيل: ثلاثين سنة[2]، [وقال الكلبي: أربعين سنة][3].

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾ يعني: قتلت القبطي، أي: ﴿وَأَنتَ﴾ لذلك ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ لنعمتي وحق تربيتي. فأجابه موسى بأنّ تلك الفعلة إنّما فرطت منه وهو ﴿مِنَ الضَّالِّينَ﴾ أي: الذاهبين عن الصواب أو الناسين من قوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾[4]. كذّب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه بأن وضع ﴿الضَّالِّينَ﴾ موضع ﴿الْكَافِرِينَ﴾ ربئاً بمحلّ من رشح للنبوّة عن تلك الصفة، ثمّ أبطل امتنانه عليه بالتربية، وأبى أن يسمّي نعمته نعمة بأن بيّن

(١) طه: ٤٧.

(٢) تفسير مقاتل ج٢: ٤٤٧.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) البقرة: ٢٨٢.

أنّ حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل، لأنّ تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته، فكأنّه منّ عليه بتعبيد قومه. وتعبيدهم: اتخاذهم عبيداً وتذليلهم.

﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى خصلة منكرة لا تدرى إلا بتفسيرها.

ومحلّ ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ الرفع بأنّه عطف بيان لـ﴿تِلْكَ﴾، ونظيره: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾[1]، والمعنى: تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنّها عليّ!. ويجوز أن يكون في محلّ نصب، والمعنى: إنّما صارت نعمة عليّ لأن عبّدت بني إسرائيل، أي: لو لم تفعل ذلك لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم.

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾
قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ
إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ
﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ
فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ
﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ
﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ
﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن

---

(١) الحجر: ٦٦.

﴿كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝٤٠ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝٤١ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٤٢﴾

﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يريد: وأي شيء هو من الأشياء المشاهدة؟ فأجابه موسى بما يستدلّ عليه من أفعاله ليعرّفه أنّه ليس بشيء يمكن أن يشاهد من الأجسام والأعراض، وإنّما هو شيء مخالف لجميع الأشياء، ليس كمثله شيء، منشئ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومبدعهما ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ بأنّ هذه الأشياء محدثة منشأة وليست من فعلكم، والمحدَث لابد له من محدِث.

فلما أجاب موسى بما أجاب عجّب فرعون قومه من جوابه حيث نسب الربوبية إلى غيره. فلما ثنّى موسى عليه السلام بتقرير قوله، نسبه فرعون إلى الجنون وأضافه إلى قومه حيث سمّاه رسولهم طنزاً به[1]. فلما ثلّث عليه السلام بتقرير آخر، غضب وقال: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى﴾.

وعارض موسى عليه السلام قوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ... لَمَجْنُونٌ﴾ بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ﴾ الواو للحال، دخلت عليها همزة الاستفهام، والمعنى: أتفعل ذلك بي ولو جئتك ﴿بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ أي: جائياً بالمعجز الظاهر.

وفي قوله: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أنّ المعجز لا يأتي به إلا الصادق في دعواه، لأنّه يجري مجرى التصديق من الله تعالى، فلابد من أن يدلّ على الصدق، وتقديره: إن كنت من الصادقين في دعواك ائت به، فحذف الجزاء لأنّ الأمر بالإتيان به يدلّ عليه.

﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر الثعبانية، لا شيء يشبه الثعبان.

---

(١) الطنز: السخرية. (الصحاح: مادة طنز)

﴿بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ فيه دلالة على أنّ بياضها كان شيئاً تجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة، وكان بياضاً نورانياً له شعاع يغشى الأبصار ويسدّ الأفق.

وقوله: ﴿حَوۡلَهُۥٓ﴾ منصوب اللفظ على الظرف، أو منصوب المحلّ على الحال.

﴿فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾ من المؤامرة وهي المشاورة، أو من الأمر الذي هو ضد النهي، جعل العبيد آمرين وربّهم مأموراً، لما دهاه من الدهش والحيرة حين أبصر الآيتين، واعترف لهم بما توقعه وأحس به من جهة موسى عليه السلام وغلبته على ملكه وأرضه. و﴿مَاذَا﴾ منصوب: إما لكونه في معنى المصدر، وإما لأنّه مفعول به من قولهم:

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ(١)

وقرئ: أرجئه، وقد مرّ بيانه(٢).

﴿يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ﴾ هو يوم الزينة، وميقاته وقت الضحى، لأنّه الوقت الذي وقّته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة.

﴿هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ﴾ استبطاء لهم في الاجتماع، والمراد منه: استعجالهم، ومنه قول تأبط شرّا:

هَلْ أَنْتَ بَاعِثُ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا(٣)

---

(١) ديوان العباس بن مرداس السلمي: ٣١، وبقيته: فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب.

(٢) ينظر: الأعراف: ١١١.

(٣) ديوان تأبط شرا: ٢٤٥، وبقيته: أو عبد رب أخا عون بن مخراق.

يريد: ابعثه إلينا سريعاً ولا تبطئ.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ في دينهم إن غلبوا موسى، ولا نتبع موسى في دينه.

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ
وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ
﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ
ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ
ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ
وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾
وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ
فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾
وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن
جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ
أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ
﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ
فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾
وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

أقسموا ﴿بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ﴾ وهي من أقسام الجاهلية، وفي الإسلام لا يصحّ الحلف إلا بالله تعالى أو ببعض أسمائه وصفاته، وفي الحديث: ((لا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون))[1].

وعبّر عن الخرور بالإلقاء على طريق المشاكلة إذ جرى ذكر الإلقاء، يعني: إنّهم إذا رأوا ما رأوا رموا بنفوسهم إلى الأرض ﴿سَٰجِدِينَ﴾ كأنّهم أخذوا فطرحوا وألقوا.

الضير: الضرّ، أرادوا لا ضرر علينا في ذلك، بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه من الثواب العظيم، أو ﴿لَا ضَيۡرَ﴾ لنا في القتل إذ لابد لنا من الانقلاب إلى ربّنا بسبب من أسباب الموت، والقتل أهون أسبابه وأرضاها، لأنّنا نقلب إلى ربّنا انقلاب من يطمع في مغفرته ورحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان. ﴿أَن كُنَّآ﴾ معناه: لأن كنا.

وعلل الأمر بالإسراء بقوله: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ على معنى: إنّ التدبير في أمرهم أن يتقدّموا ويتبعهم فرعون وجنوده، ويسلكوا مسالكهم في البحر فيهلكهم الله بإطباق البحر عليهم.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ محكي بعد قول مضمر. والشرذمة: الطائفة القليلة، ذكرهم بهذا الاسم الدال على القلة ثمّ وصفهم بالقلة. ويجوز أن يريد بالقلة المذلة والقماءة، ولا يريد قلة العدد، يعني: إنّهم لقلتهم لا يبالي بهم.

﴿وَإِنَّهُمۡ﴾ يفعلون أفعالاً تغيظنا، ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور، فإذا خرج علينا خارج بادرنا إلى حسم مادة فساده، وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من سلطانه. وقرئ:

(١) سنن النسائي ج٧: ٥، الكافي ج٧: ٤٣٨.

حذرون و ﴿حَٰذِرُونَ﴾، فالحذر: المتيقظ، والحاذر: المستعد.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ منازل حسنة، وقيل: مجالس الأمراء التي يحتف بها الأتباع.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف رفع لأنّه خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر كذلك، أو نصب أي: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه.

﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ فلحقوهم ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت الشروق.

[﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾][1] سيهديني طريق النجاة من إدراكهم.

[﴿أَنِ ٱضْرِب﴾][2] أي: فضرب ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ البحر وظهر فيه اثنا عشر طريقاً. والفرق: الجزء المتفرّق فيه. والطود: الجبل العظيم.

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ﴾ أي: حيث انفلق البحر ﴿ٱلْآخَرِينَ﴾ يعني: قوم فرعون قرّبناهم من بني إسرائيل، وأدنينا بعضهم من بعض، وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ لا توصف، قد عاينها الناس وما تنبّه عليها ﴿أَكْثَرُهُم﴾.

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾
قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ
يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ
ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى
فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ
يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي
بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي
مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا
تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ
بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ
﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ
يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ
﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ
﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾
فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

سألهم إبراهيم عليه السلام - وإن كان يعلم عبادتهم الأصنام - ليريهم أنّ ما يعبدونه بعيد عن استحقاق العبادة.

ولابد في ﴿يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ﴾ من تقدير حذف المضاف، معناه: هل يسمعون دعاءكم، وهل يقدرون على ذلك؟ وجاء مضارعاً مع إيقاعه على ﴿إِذۡ﴾ لأنّه حكاية حال ماضية.

وإنّما قال: ﴿عَدُوّٞ لِّيٓ﴾ على معنى: أنّي فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو الذي هو الشيطان فاجتنبتها، وآثرت عبادة مَنِ الخير كله منه، وأراهم بهذا القول أنّه نصيحة نصح بها نفسه، لينظروا فيقولوا: ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه، ويكونوا إلى القبول أقرب، ولو قال: فإنّهم عدو لكم لم يكن بهذه

المثابة. والعدو والصديق يكونان بمعنى الواحد والجمع، قال الشاعر:

وَقَــوْمٍ عَــلَيَّ ذَوِي مِئــرَةٍ أَرَاهُــمْ عَــدُوّاً وَكَانُــوا صَدِيقَــا[١]

﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استثناء منقطع، كأنه قال: لكن ربّ العالمين.

وقال: ﴿إِذَا مَرِضْتُ﴾ ولم يقل: أمرضني، لأن كثيراً من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في طعامه وشرابه وغير ذلك.

وإنّما قال: ﴿أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى﴾ على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى، أو أراد أطمع أن يغفر لأجلي خطيئة من يشفعني فيه، فإنّ الأنبياءعليهم السلام منزّهون عن الخطايا والآثام، فاستغفارهم محمول على تواضعهم لربّهم وهضمهم لأنفسهم، ويدلّ على ذلك قوله: ﴿أَطْمَعُ﴾ ولم يجزم القول بالمغفرة. وفيه تعليم لأممهم.

﴿هَبْ لِى حُكْمًا﴾ أي: حكمة أو حكماً بين الناس بالحقّ، وقيل: الحكم: النبوّة[٢]، لأنّ النبيّ ذو حكم بين الناس وذو الحكمة والعلم ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ اجمع بيني وبينهم في الجنّة.

﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ من الخزي الذي هو الهوان، أو من الخزاية التي هي الحياء، وهذا أيضاً من نحو استغفارهم مع عصمتهم وبعدهم عما يوجب الاستغفار، وفي ﴿يُبْعَثُونَ﴾ ضمير للعباد لأنّه معلوم.

﴿إِلَّا﴾ حال ﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ وهو من قولهم:

تَحِيَّــةُ بَيْنِهِــمْ ضَرْبٌ وَجِيــعُ[٣]

---

(١) لم أعثر على قائله في المصادر المتوفرة.

(٢) عن الكلبي. معالم التنزيل ج٣: ١٠٣.

(٣) شعر عمرو بن معد يكرب: ١٣٧، وصدره: وخيل قد دلفت لها بخيلٍ.

وبيانه أن يقال لك: هل لزيد مال وبنون؟ فتقول: ماله وبنوه سلامة قلبه، تريد نفي المال والبنين عنه، وإثبات سلامة القلب له بدلاً من ذلك. ويجوز حمل الكلام على المعنى بأن يجعل المال والبنين في معنى الغنى، [كأنّه قيل: لا ينفع غنى][1] إلا غنى من أتى الله بقلب سليم، لأنّ غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه، كما أنّ غناه في دنياه بماله وبنيه. ويجوز أن يكون مفعولاً لـ﴿يَنفَعُ﴾ أي: لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلاً سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله، ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلّمهم الشرائع. وقيل: القلب السليم الذي أسلم وسالم واستسلم. وعن الصادق‌عليه‌السلام: ((هو القلب الذي سلم من حبّ الدنيا))[2].

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: قرّبت من موقفهم ينظرون إليها ويغتبطون بمكانهم منها.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ كشفت للأشقياء يتحسّرون على أنّهم المسوقون إليها، قال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[3] يجمع عليهم الغموم، فتجعل النار بمرأى منهم ويقال لهم: أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم؟ أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنّهم وما كانوا يعبدونهم وقود النار، وهو قوله: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ أي: الآلهة، والغاوون أي: عبدتهم. والكبكبة: تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنّه إذا ألقي في النار يكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعر جهنم، اللهم أعذنا منها. وكبكب معهم ﴿جُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ أي: أتباعه وشياطينه.

---

(١) ساقطة من ج، ط.

(٢) مجمع البيان ج٧-٨: ١٩٤.

(٣) الملك: ٢٧.

﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾ أي: يخاصم بعضهم بعضاً.

و﴿إِن﴾ هي المخففة من الثقيلة، أي: إنّا كنا في ﴿ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ إذ سوّيناكم بالله في توجيه العبادة إليكم.

والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم: رؤساؤهم وكبراؤهم والذين اقتدوا بهم ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[1].

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ يشفعون لنا، ويسألون في أمرنا، كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من النبيّين والأوصياء، ﴿وَلَا صَدِيقٍ﴾ كما نرى لهم أصدقاء. الصادق عليه السلام: ((والله لنشفعنّ لشيعتنا ـ قالها ثلاثاً ـ حتى يقول عدونا: فما لنا من شافعين... إلى قوله: من المؤمنين))[2]. وعن جابر بن عبد الله عن النبيّ صلى الله عليه وآله: ((إنّ الرجل يقول في الجنّة: ما فعل صديقي فلان؟ ـ وصديقه في الجحيم ـ فيقول الله سبحانه: أخرجوا له صديقه إلى الجنّة، فيقول من بقي في النار: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم))[3].

والحميم من الاحتمام، وهو الاهتمام، وهو الذي يهمّه ما يهمّك، أو من الحامة بمعنى الخاصة، وهو الصديق الخاص. وإنّما جمع الشفعاء ووحّد الصديق لكثرة الشفعاء وقلة الصديق الصادق في الوداد، ويجوز أن يكون المراد بالصديق الجمع.

والكرّة: الرجعة إلى الدنيا، و﴿لَوۡ﴾ هنا في معنى التمنّي، المعنى: فليت لنا كرّة، ويمكن أن يكون ﴿لَوۡ﴾ على أصل معناه، ويكون محذوف الجواب والتقدير: لفعلنا كذا.

---

(١) الأحزاب: ٦٧.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ج٨: ٢٧٨٦. تفسير القمي ج٢: ١٢٣.

(٣) الكشف والبيان ج٧: ١٧٢.

كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا
كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠
بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي
وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي
ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ
وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

القوم مؤنث، وتصغيره قويمة.

﴿أَخُوهُمۡ﴾ مثل قول العرب: يا أخا بني أسد، يريدون: يا واحداً منهم، ومنه بيت الحماسة:

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ   فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا[1]

﴿رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ على الرسالة، أو كان مشهوراً فيهم بالأمانة كمحمّد ﷺ في قريش.

﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه من الإيمان والتوحيد.

﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾ على هذا الأمر ﴿مِنۡ أَجۡرٍ﴾ يعني على دعائه ونصحه.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في طاعتي، وكرر ذلك ليقرره في نفوسهم مع أنّ كل واحد

(١) البيت لقريط بن أنيف العنبري. ديوان الحماسة: ٢٩.

منهما قد تعلّق بعلة، جعل علة الأوّل كونه أميناً فيما بينهم، وعلة الثاني حسم طمعه عنهم.

قرئ: وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد، أو جمع تبع كبطل وأبطال. والواو للحال، والتقدير: وقد اتبعك، فأضمر (قد). والرذالة والنذالة: الخسّة والدناءة، وإنّما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا، وقيل: كانوا من أهل الصناعات الدنيئة كالحياكة ونحوها[1].

﴿وَمَا عِلۡمِي﴾ وأي شيء علمي؟ والمراد: انتفاء علمه بسرّ أمرهم وباطنه، وإنّما قال هذا لأنّهم قد طعنوا مع استرذالهم في إيمانهم، وادعوا أنّهم لم يؤمنوا عن بصيرة وإنّما آمنوا هوى وبديهة، كما حكى الله عنهم قولهم: ﴿الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾[2]. ويجوز أن يكون قد فسّر نوح قولهم: ﴿ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال وفساد العقيدة، ثمّ بنى جوابه على ذلك فقال: ما عليّ إلا اعتبار الظواهر دون الفحص عن الضمائر، فإن كانوا على ما وصفتم فالله محاسبهم ومجازيهم وما أنا إلا نذير لا محاسب ولا مجاز، وليس من شأني أن أطرد ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ طمعاً في إيمانكم.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾ أي: إن لم ترجع عما تقول ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ بالحجارة أو بالشتم.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ إنّهم كذّبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم. والفتاح: الحاكم، والفتاحة: الحكومة.

و﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾ السفينة، وهو واحد هنا، وجمع في قوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ

---

(١) عن قتادة وغيره. الدر المنثور ج٥: ٩١.

(٢) هود: ٢٧.

مَوَاخِرَ﴾[١] فالواحد كقفل، والجمع كأسد، جمعوا فعلاء على فعل كما جمعوا فعلى على فعل لأنّهما أخوان في قولك: العُرب والعَرب، والعُجم والعَجم، والرُشد والرَشد.

و﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ المملوء.

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا
بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ
أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ
﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ
أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

الريع: المكان المرتفع، والآية: العلم، قيل: كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم، فاتخذوا في طرقهم أعلاماً طوالاً فعبثوا بذلك، لأنّهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم[٢]، وقيل: كانوا يبنون أبنية لا يحتاجون إليها لسكناهم، فجعل بناء ما يستغنون عنه عبثاً منهم. وعن النبيّ ﷺ: ((كل بناء يبنى وبال على صاحبه يوم

(١) فاطر: ١٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج٢: ٤٥٩.

القيامة إلا ما لابد منه))[١]. وقيل: كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة فيعبثوا بهم[٢].

والمصانع: مآخذ الماء، وقيل: القصور المشيدة والحصون[٣].

﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي: ترجون الخلود في الدنيا، أو تشبه حالكم حال من يخلد.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ بسوط أو بسيف ﴿بَطَشْتُمْ﴾ ظالمين عالين، وقيل: الجبار: الذي يقتل ويضرب على الغضب[٤]، وعن الحسن: (مبادرين تعجيل العذاب لا يتفكرون في العواقب)[٥].

ثمّ نبههم على نعم الله تعالى عليهم، فأجملها بقوله: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾، ثمّ فصّلها وعدّدها عليهم، وعرّفهم المنعم النعم بتعديدها.

أي: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن﴾ من أهل الوعظ. وقرئ: خَلْقُ الأوّلين ـ بالفتح ـ ومعناه: إنّ ما جئت به ليس إلا اختلاق الأوّلين وكذبهم، أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الماضية، نحيا كما حيوا، ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا حساب. وقرئ: خلق الأوّلين ـ بالضم ـ أي: ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر، أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأوّلين كانوا يلفّقون مثله.

---

(١) مسند أبي يعلى ج٧: ٣٠٩، وينظر: المحاسن ٢: ٦٠٨.

(٢) معالم التنزيل ج٣: ١٠٤.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٩: ٥٩.

(٤) عن مجاهد. الكشف والبيان ج٧: ١٧٥.

(٥) التبيان ج٨: ٤١ بالمعنى.

كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾
إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ
عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ
ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخۡلٍ طَلۡعُهَا هَضِيمٌ
﴿١٤٨﴾ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا
يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ
مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ
لَّهَا شِرۡبٌ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ
عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ
ٱلۡعَذَابُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

﴿فِي مَا هَٰهُنَآ﴾ أي: في الذي استقر في هذا المكان من النعيم، ثمّ فسّر ذلك بقوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ والمعنى: ﴿أَتُتۡرَكُونَ﴾ فيما أنتم فيه من نعيم الدنيا لا تزالون عنه.

وخصّ النخل بإفرادها من جملة الجنات لفضله، أو لأنّه أراد بالجنات غير النخل من الشجر ثمّ عطفها عليها. والطلع: الكفرى[1] لأنّه يطلع من النخل. والهضيم: اللطيف الضامر من قولهم: كشح هضيم، وفي طلع إناث النخل لطف ليس ذلك في طلع فحالها، وقيل: الهضيم: اللين النضيج[2].

---

(١) كتاب العين ج٥: ٣٥٨.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٩: ٦١.

وقرئ: فرهين و﴿فَرِهِينَ﴾، والفاره: الكيّس الحاذق، أي: حاذقين بنحتها، والفره: الأشر البطر.

[﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾](١) أي: أطيعوني فيما آمركم به ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ﴾ رؤساءكم المفسدين، ولا تمتثلوا أوامرهم.

والمسحّر: الذي سحر كثيراً حتى غلب على عقله، أي: سحرت مرة بعد أخرى فصرت لا تدري ما تقول، وقيل: معناه: أنت من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب مثلنا، فلم صرت أولى بالنبوّة منا؟!(٢).

والشرب: النصيب من الماء إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله، ولهم ﴿شِرۡبُ يَوۡمٖ﴾ لا تشرب فيه الماء، وإنّما عظم اليوم لحلول العذاب العظيم فيه.

كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ
أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم
مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا
عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ
فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ
﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٩: ٦٣.

أي: أتأتون من بين أولاد آدم ذكرانهم كأنّ الإناث قد أعوزتكم؟ والمراد بـ ﴿ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ الناس، أو أتأتون أنتم من بين ما عداكم من العالمين الذكران؟ بمعنى: إنّكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة. والمراد بالعالمين: كل ما ينكح من الحيوان.

و﴿مِنۡ﴾ في ﴿مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم﴾ تبيين لما خلق.

﴿عَادُونَ﴾ معتدون في الظلم، متجاوزون فيه الحد.

﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾ عن نهينا، ولم تمتنع عن تقبيح أفعالنا ﴿لَتَكُونَنَّ﴾ من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا، وطردناه من بلدنا.

﴿مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ أبلغ من أن يقول: إنّي لعملكم قال، كما يقال: فلان من العلماء، أي: معدود في جملتهم معروف بالعلم فيهم، ويجوز أن يكون المراد: إنّي من الكاملين في قلاكم، والقلى: البغض الشديد، كأنّه بغض يقلي الفؤاد والكبد.

﴿مِمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ من عقوبة عملهم.

﴿إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ أي: مقدّراً غبورها في العذاب والهلاك، قيل: إنّها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة. قال قتادة: (أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم)[١]، وعن ابن زيد[٢]: (لم يرض بالانقلاب حتى أتبعه مطراً من حجارة)[٣]، والتقدير: ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ مطرهم فحذف، ولم يرد بالمنذرين قوماً بأعيانهم إنّما هو للجنس.

---

(١) الكشاف ج٣: ٣٣١.

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني، مات سنة ١٨٢هـ. ينظر: طبقات المفسّرين ج١: ٢٦٥.

(٣) الكشاف ج٣: ٣٣١.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا
مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا ٱلَّذِي
خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾
وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ
عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ
أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ
﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾

قرئ: ﴿أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ بالهمزة وبتخفيفه وبالجر على الإضافة، وقرئ بالفتح على أنّ أيكة اسم بلد. وروي: أنّ أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف، وكان شجرهم الدوم[١].

ولم يقل: أخوهم شعيب كما في المواضع المتقدّمة، لأنّ شعيباً لم يكن من أصحاب الأيكة، وفي الحديث: ((إنّ شعيباً أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة))[٢].

بخسه حقّه بمعنى: نقصه إيّاه ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾ أي: لا تنقصوا الناس حقوقهم، وهو عام في أن لا يهضم حقّ لأحد، ولا يغصب ملك ولا يتصرّف فيه

(١) تاريخ الطبري ج١: ١٦٧.
(٢) الكشاف ج٣: ٣٣٢.

إلا بإذن مالكه.

وعثا في الأرض يعثو، وعثا يعثي، وعاث يعيث بمعنى، وذلك نحو: قطع الطريق وإهلاك الزرع.

﴿وَٱلۡجِبِلَّةَ﴾ الخليقة، أي: ذوي الجبلّة، وهو كقولك: والخلق الأوّلين.

﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ دخلت الواو هنا لمعنى، وهو أنّهم قصدوا أنّ البشرية والتسحير كليهما مناف للرسالة عندهم. (إن) المخففة من الثقيلة، وهي ولامها تفرقتا على فعل (الظن) وثاني مفعوليه، لأنّهما في الأصل يتفرقان على المبتدأ والخبر، فلما كان باب (كان) وباب (ظننت) من جنس باب المبتدأ والخبر، قالوا أيضاً في البابين: إن كان زيد لقائماً، وإن نظنك لمن الكاذبين.

وقرئ: ﴿كِسۡفًا﴾ بسكون السين وفتحها، وكلاهما جمع كسفة، أي: إن كنت صادقاً فادع الله أن يسقط علينا كسفاً من السماء.

﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ أي: بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب، فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل، وإن أراد عقاباً آخر فعل ﴿فَأَخَذَهُمۡ﴾ الله بمثل ما اقترحوه من عذاب ﴿ٱلظُّلَّةِ﴾. يروى: أنّه حبس عنهم الريح سبعاً، وسلّط عليهم الومد[١] فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا إلى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً، فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا[٢].

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾

(١) الومد: شدة حر الليل. (الصحاح: مادة ومد)

(٢) الكشف والبيان ج٧: ١٧٩.

وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟
بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾
لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا
يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا
كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ
أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ
﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ
﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ الضمير للقرآن، والمراد بالتنزيل: المنزل.

وقرئ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾، ونزّل به الروح، والباء في كلتا القراءتين للتعدية، أي: جعل الله الروح الأمين نازلاً به.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أي: حفظك وفهمك إيّاه وأثبته في قلبك إثبات مالا ينسى، كقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[1].

﴿بِلِسَانٍ﴾ الباء يتعلّق بـ﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة: هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمّد صلوات الله عليهم أجمعين، أو يتعلّق بـ﴿نَزَلَ﴾ فيكون المعنى: نزّله باللسان العربي لتنذر به، لأنّه لو نزّله باللسان الأعجمي لقالوا: ما نصنع بما لا نفهمه؟ فيتعذر الإنذار.

وفي هذا الوجه أنّ تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له

---

(١) الأعلى: ٦.

على قلبك لأنّك تفهمه وتفهّمه قومك، ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك، فكنت تسمع أجراس حروف ولا تفهم معانيها ولا تعيها.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني: ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية على وجه البشارة به وبمحمّدﷺ، وقيل: إنّ معانيه من الدعاء إلى التوحيد وغيره فيها.

وقرئ: ﴿أَوَلَمْ يَكُن﴾ بالتذكير و﴿ءَايَةً﴾ بالنصب على أنّها خبره و﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ هو الاسم، وقرئ: تكن بالتأنيث، وآية بالرفع على أنّ في (تكن) ضمير القصّة، وآية خبر المبتدأ الذي هو ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾، والجملة خبر كان، والمعنى: ألم يكن علم علماء بني إسرائيل بمجيئه دلالة لهم على صحّة نبوّته، وهم عبد الله بن سلام وغيره، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾[١].

والأعجم الذي لا يفصح، يقال: في لسانه عجمة واستعجام.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ أي: كما أنزلنا القرآن عربياً مبيناً أدخلناه وأوقعناه ﴿فِى قُلُوبِ﴾ الكافرين بأن قرأه رسولنا عليهم.

ثمّ أسند ترك الإيمان به إليهم بقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ ولا يزالون على التكذيب والجحود به حتى يعاينوا الوعيد ويروا العذاب، فيلحق بهم ﴿بَغْتَةً﴾ أي: مفاجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمجيئه.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ تبكيت لهم وتوبيخ. ثمّ قال: هب أنّ الأمر كما يظنون من التمتيع والتعمير، فإذا أتاهم العذاب ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب عيشهم.

---

(١) القصص: ٥٣.

﴿لَهَا مُنذِرُونَ﴾ أي: رسل ينذرونهم.

﴿ذِكْرَىٰ﴾ منصوبة بمعنى تذكرة، إما لأنّ (أنذر) و(ذكّر) متقاربان، فكأنّه قال: مذكرون تذكرة، [وإما لأنّها حال من الضمير في ﴿مُنذِرُونَ﴾ أي: ينذرونهم ذوي تذكرة](١)، وإما لأنّها مفعول له بمعنى: أنّهم ينذرونهم لأجل التذكرة. ويجوز أن يكون ﴿ذِكْرَىٰ﴾ متعلّقة بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾ مفعولاً له، والمعنى: وما أهلكنا من أهل قرية ظالمة إلا بعدما ألزمناهم الحجّة بإرسال المنذرين إليهم، ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فنهلك قوماً غير ظالمين.

كانوا يقولون: إنّما يتنزل على محمّد من جنس ما ينزل به الشياطين على الكهنة، فكذّبهم الله بأنّ ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه، لأنّهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء.

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ
عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾
وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾
وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ
عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ
ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ
﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ
مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

---

(١) ساقطة من ج.

﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾

علم عزّ اسمه أنّ ذلك لا يكون، لكنّه أراد أن يحرّك منه لازدياد الإخلاص والتقوى، وفيه لطف للمكلفين كما قال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾[1].

﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ أمر صلوات الله وسلامه عليه بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه، وأن يقدّم إنذارهم على إنذار غيرهم. وروي: إنّه جمع بني عبد المطلب، وهم يومئذ أربعون رجلاً ـ الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس ـ على رجل شاة وقعب من لبن، فأكلوا وشربوا حتى صدروا، ثمّ أنذرهم فقال: يا بني عبد المطلب، إنّي أنا النذير إليكم من الله عزّوجل، فأسلموا وأطيعوني تهتدوا، ثمّ قال: من يؤاخيني ويؤازرني فيكون وليي ووصيي بعدي، وخليفتي في أهل بيتي؟ فسكت القوم، وأعادها ثلاثاً، كل ذلك يسكت القوم ويقول عليّ: أنا، فقال في المرة الثالثة: أنت. فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أمّر عليك[2].

وخفض الجناح مثل في التواضع ولين الجانب.

﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ﴾ فتبرأ منهم ومن أعمالهم.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى﴾ الله يكفك شرّ من يعصيك، وفوّض أمرك إلى من يقدر على نفعك وضرّك، وقرئ: فتوكل ـ بالفاء ـ ويكون عطفاً على: ﴿فَقُلۡ﴾ أو ﴿فَلَا تَدۡعُ﴾.

﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ﴾ ويطّلع عليك ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ للتهجد.

والمراد بـ﴿ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ المصلّون، وتقلّبه فيهم: تصرّفه فيما بينهم بقيامه

---

(١) الحاقة: ٤٤.

(٢) شواهد التنزيل ج١: ٤٢٠، تاريخ الطبري ج٢: ٢١٧ باختصار.

وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمّهم، وقيل: معناه: وتقلّبك في أصلاب الموحّدين حتى أخرجك نبيّاً[١]، وهو المروي عن أئمّة الهدى عليهم السلام[٢].

ثمّ ذكر سبحانه من ﴿تَنَزَّلُ﴾ عليه الشياطين: ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ هم الكهنة: كشق[٣] وسطيح[٤]، والمتنبئة: كمسيلمة الكذاب وطليحة[٥].

﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يستمعون إلى الملأ الأعلى، فيختطفون بعض ما يتكلّمون به مما اطّلعوا عليه من الغيوب، ثمّ ﴿يُلْقُونَ﴾ ما يسمعونه أي: يوحون به إليهم.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦]، ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾[٧]، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ أخوات، فرّق سبحانه بينهن بآيات ليست في معناهن لتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة، فيدلّ بذلك على أنّ المعنى الذي نزل فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ مبتدأ و﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ خبره، أي: لا يتبعهم على كذبهم

---

(١) الكشف والبيان ج٧: ١٨٤.

(٢) تفسير القمي ج٢: ١٢٥ باختلاف.

(٣) شق بن صعب بن يشكر القسري الأزدي، كاهن جاهلي، عاش الى ما بعد ولادة النبيّ صلى الله عليه وآله بقليل وقد عمّر طويلاً. الأعلام ج٣: ٢٤٨.

(٤) ربيع بن ربيعة بن مسعود من بني مازن من الأزد، كاهن جاهلي غساني من المعمّرين، كان العرب يحتكمون إليه ويرضون بقضائه، مات بالشام بعد مولد النبيّ صلى الله عليه وآله بقليل. الأعلام ج٣: ٣٨.

(٥) طليحة بن خويلد الاسدي كان يقال له طليحة الكذاب، وفد على النبيّ صلى الله عليه وآله في وفد بني أسد سنة ٩هـ وأسلموا، ولما رجعوا ارتد طليحة وادعى النبوّة، في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله، ثم أسلم زمن عمر وقتل بنهاوند. الاعلام ج٣: ٣٣٢.

(٦) الشعراء: ١٩٢.

(٧) الشعراء: ٢١٠.

وباطلهم وفضول قولهم، وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض، ومدح من لا يستحقّ المدح، ولا يستحسن ذلك منهم إلا الغاوون والسفهاء، وقيل: الغاوون: الراوون(١)، وقيل: الشياطين(٢)، وقيل: هم شعراء المشركين: عبد الله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو غرة، وأمية بن أبي الصلت وغيرهم(٣)، قالوا: نحن نقول مثل ما قال محمّد وكانوا يهجونه، ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم.

وقوله: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ مثل لذهابهم في كل شعب من القول، وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه، وقذف التقي، وبهت البريء.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ استثنى الشعراء المؤمنين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر، وإذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والحكمة والموعظة والآداب الحسنة ومدح رسول الله ﷺ وصلحاء المؤمنين، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار والرد على من هجا المسلمين، وهم: عبد الله بن رواحة، والكعبان ـ كعب بن مالك وكعب بن زهير(٤) ـ وحسان بن ثابت. قال عليه السلام لكعب بن مالك: ((اهجهم، فوالذي نفسي بيده لهو أشدّ عليهم من النبل))(٥). وقال لحسان: ((قل وروح القدس معك))(٦).

---

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٩: ٧٨.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٩: ٧٨.

(٣) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٩: ٧٩.

(٤) كعب بن زهير بن أبي سلمى الشاعر المشهور، قدم على النبيّ ﷺ بعد انصرافه من الطائف مسلماً وأنشده قصيدته المشهورة التي أولها: بانت سعاد... ينظر: الاستيعاب ج٣: ٢٩٧.

(٥) سنن البيهقي الكبرى ج١٠: ٢٣٩.

(٦) المستدرك على الصحيحين ج٣: ٤٨٧، الكافي ج٨: ١٠٢ باختلاف يسير.

﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ وعيد بليغ وتهديد شديد.

﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ أيّ منصرف ينصرفون، أي: سيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانقلاب وهو النجاة. وقرأ الصادق عليه السلام: وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد صلى الله عليه وآله حقّهم، ويشبه أن تكون قراءة على سبيل التأويل.

سورة النمل

مكية أربع وتسعون آية بصري، ثلاث كوفي، عدّ البصري ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾ آية.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأ (طس سليمان)، كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بسليمان وكذّب به، وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله))[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ
ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ
قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ
قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ

---

(١) الكشف والبيان ج٧: ١٨٨.

﴿وَمَن حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ١٠﴾

﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ و﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾ خبره، و﴿هُدًى﴾ خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ مضمر، أو نصب على الحال، أي: هادية ومبشرة.

﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي: هؤلاء هم الموقنون بالآخرة، ومعناه: وما يوقن بالآخرة حقّ الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته، وقد أسند ذلك إلى الشيطان في قوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾[1]، وبين الإسنادين فرق، وذلك أنّ إسناده إلى الشيطان حقيقة، وإسناده إلى الله عزّ اسمه استعارة أو مجاز حكمي. فالاستعارة هي أنّه لما متّعهم بطول العمر والتوسعة في الرزق، فجعلوا إنعامه بذلك ذريعة إلى اتباع شهواتهم وإيثارهم الترفه ونفارهم عن لوازم التكليف، فكأنّه زيّن لهم بذلك أعمالهم، وإلى هذا أشارت الملائكة في قولهم: ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾[2].

وأما المجاز الحكمي: فهو أنّ إمهاله الشيطان وتخليته حتى زيّن لهم أعمالهم القبيحة، وخلقه فيهم شهوة القبيح الداعية لهم إليها، وحرمانه إيّاهم التوفيق عقوبة لهم على كفرهم، كالأسباب للتزيين، فلذلك أضاف التزيين إلى ذاته. والعمه: التحيّر والتردد.

---

(١) النمل: ٢٤.

(٢) الفرقان: ١٨.

و﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ هو القتل والأسر يوم بدر.

و﴿ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ أشدّ الناس خسراناً، لأنّهم يخسرون الثواب الدائم ويحصلون في العقاب الدائم.

﴿تُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي: تؤتاه وتلقنه من عند أيّ ﴿حَكِيمٍ﴾ وأيّ ﴿عَلِيمٍ﴾، وهذا معنى مجيئهما نكرتين. وهذه الآية تمهيد لما يريد أن يقصّه بعدها من الأقاصيص، لما فيها من لطائف حكمته ودقائق علمه.

﴿إِذۡ﴾ منصوب بمضمر وهو (اذكر)، كأنّه قال على أثر ذلك: خذ من آثار حكمته وعلمه قصّة موسى، ويجوز أن ينتصب بـ﴿عَلِيمٍ﴾. لم يكن مع موسى غير امرأته وقد كنى الله عنها بالأهل، فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله: ﴿امْكُثُوا... آتِيكُمْ﴾[1].

﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ أي: أبصرتها، والشهاب: الشعلة، والقبس: النار المقبوسة، وأضاف الشهاب إلى القبس لأنّه يكون قبساً وغير قبس. وقرئ: ﴿بِشِهَابٍ﴾ منوناً، فيكون ﴿قَبَسٍ﴾ بدلاً أو صفة لما فيه من معنى القبس.

وقال: ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ فجاء بسين التسويف عدة لأهله أنّه يأتيهم به وإن أبطأ وجاء بلفظه، أو لأنّه بنى الأمر على أنّه إن لم يظفر بأحد الأمرين لم يعدم الآخر: إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار، لأنّه كان قد ضل عن الطريق، وأراد بالخبر: معرفة حال الطريق.

﴿لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ تستدفئون بها، وما أدراه حين قال ذلك أنّه يظفر على النار بعزّ الدنيا وعزّ الآخرة.

---

(١) طه: ١٠.

﴿أَنۢ بُورِكَ﴾ مفسّرة، لأنّ النداء فيه معنى القول، أي: قيل له: ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ والمعنى: بورك من في مكان النار ومن حول مكانها. ومكانها: البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة، ويدلّ عليه قراءة أُبيّ: تباركت الأرض ومن حولها.

والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني فيها، وهو تكليم الله جل جلاله موسى عليه السلام واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه، وقيل: المراد بمن بورك فيهم: موسى والملائكة[1]. والظاهر أنّه عام في كل من كان في تلك الأرض وذلك الوادي وحواليها من أرض الشام، كما وسم سبحانه أرض الشام بالبركات في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[2]. والفائدة في ابتداء الخطاب من الله تعالى بذلك أنّه بشارة من الله تعالى لموسى عليه السلام بأنّه قد قضي أمر عظيم ينتشر منه في أرض الشام كلها البركات والخيرات.

﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إعلام بأنّ ذلك الأمر من جلائل الأمور، وأنّ مكوّنه ربّ العالمين.

﴿إِنَّهُۥٓ﴾ الضمير للشأن ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾ مبتدأ وخبر، و﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ صفتان له، أي: أنا القوي القادر الذي لا يمتنع عليه شئ، المحكم لتدبيره.

﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَ﴾ عطف على ﴿بُورِكَ﴾ وكلاهما تفسير لـ﴿نُودِيَ﴾، والمعنى: قيل له: بورك من في النار، وقيل له: ألق عصاك، بدلالة قوله: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ في سورة القصص[3] على تكرير حرف التفسير.

---

(١) عن محمّد بن كعب. تفسير الطبري ج١٩: ٨٣.

(٢) الأنبياء: ٧١.

(٣) الآية: ٣١.

﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾ أي: لم يرجع، يقال: عقّب المقاتل: إذا كرّ بعد الفرار، قال:

فَـمَا عَقَّبُوا إِذْ قِيلَ هَلْ مِنْ مُعَقِّبٍ وَلَا نَزَلُوا يَوْمَ الكَرِيهَةِ مَنْزِلَا(١)

وإنّما خاف لظنه أنّ ذلك لأمر أريد به، ويدلّ عليه قوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ١٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾

﴿إِلَّا﴾ بمعنى (لكن)، لأنّه لما أطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطروء الشبهة، فاستدرك ذلك بـ(لكن)، والمعنى: لكن ﴿مَن ظَلَمَ﴾ من غير المرسلين ﴿ثُمَّ بَدَّلَ﴾ توبة وندماً على ما فعله من السوء، وعزماً على أن لا يعود فيها بعد ﴿فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ لظلمه.

﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾ كلام مستأنف، وحرف الجر فيه يتعلّق بمحذوف، والمعنى: واذهب في تسع آيات إلى فرعون، ونحوه:

فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ فَرِيقٌ نَحْسُدُ الإِنْسَ الطَّعَامَا(٢)

ويجوز أن يكون المعنى: ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَ﴾، ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ﴾ في جملة ﴿تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾ وعدادهن.

---

(١) لم أعثر على قائله في المصادر المتوفرة.

(٢) البيت لشمير بن الحارث الضبي. النوادر في اللغة: ١٢٤، وفيه: زعيم نحسد....

المبصرة: الواضحة البيّنة، جعل الإبصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لأنّهم ملابسوها، وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها، أو جعلت كأنّها تبصر فتهدي، لأنّ الأعمى لا يهتدي فضلاً عن أن يهدي غيره، ومنه قولهم: كلمة عوراء لأنّها تغوي. وقرأ عليّ بن الحسين عليهما السلام وقتادة مبصرة، وهي نحو: مجبنة ومنحلة أي: مكاناً يكثر فيه التبصرة.

الواو في ﴿وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ﴾ واو الحال، و(قد) مضمرة، والعلو: الكبر والترفع عن الإيمان بما جاء به موسى، كقوله: ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾[1]. والمعنى: جحدوها بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم، والاستيقان أبلغ من الإيقان.

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ
كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ
﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ
﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ
مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾
فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ
ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي
بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

أي: ﴿عِلۡمٗا﴾ جليلاً سنياً، أو كثيراً من العلم، أي: آتيناهما علماً فعملا به وعلماه ﴿وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وفي هذا دلالة على

---

(١) المؤمنون: ٤٦، ٤٧.

شرف العلم وفضله وتقدّم أهله، وأنّ نعمة العلم من أجلّ النعم، وأنّ من أوتيه فقد أوتي فضلاً على كثير من الأمم.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ فيه دلالة على أنّ الأنبياء يورثون كتوريث غيرهم، لأنّ إطلاق اللفظ يقتضي ذلك.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا﴾ فيه تشهير لنعمة الله واعتراف بها، ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجز الذي هو علم ﴿مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ وغير ذلك مما أوتيه من جلائل الأمور. والمنطق: كل ما يصوّت به من المفرد والمؤلف، والذي علم سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه، كما يحكى أنّه مر على بلبل في شجرة فقال: إنّه يقول: أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء.

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد كثرة ما أوتيه ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ وعن الصادق عليه السلام: ((يعني الملك والنبوّة))(١).

سخّر الله له الريح والجن والإنس والطير، فكان إذا خرج إلى مجلسه عكف عليه الطير، وقام الجن والإنس حتى يجلس على سريره، وكان لا يسمع بملك في ناحية من الأرض إلا أذلّه وأدخله في الإسلام. ويروى: أنّه خرج من بيت المقدس مع ستمائة ألف كرسي عن يمينه ويساره، وأمر الطير فأظلّتهم، وأمر الريح فحملتهم حتى وردت بهم المدائن، ثمّ رجع فبات في اصطخر(٢)، فقال بعضهم لبعض: هل رأيتم ملكاً قط [أعظم من هذا أو

---

(١) لم أجده في المصادر المتوفرة.

(٢) أصطخر: من أقدم مدن فارس وأشهرها، بينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخاً. معجم البلدان ج١: ٢١١.

سمعتم؟ قالوا: لا، فنادى ملك من السماء: لثواب تسبيحة واحدة في الله][1] أعظم مما رأيتم[2].

﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ أي: يحبس أوّلهم على آخرهم بأن توقف هواديهم حتى يلحقهم تواليهم، فيكونوا مجتمعين لا يتخلّف منهم أحد، وذلك للكثرة العظيمة. فسار سليمان بجنوده ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ وهو واد بالطائف أو بالشام كثير النمل، وإنّما عدّي ﴿أَتَوۡاْ﴾ بـ﴿عَلَىٰ﴾ لأنّ إتيانهم كان من فوق، أو هو من قولهم: أتى على الشيء: إذا أنفذه وبلغ آخره، كأنّهم أرادوا أن ينزلوا عند مقطع الوادي، لأنّهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف عليهم حطمهم. ويمكن أن يكون جنود سليمان كانوا ركباناً ومشاة في ذلك الوقت ولم تحملهم الريح، أو كانت القصّة قبل أن يسخّر الله الريح له.

ولما كان صوت النمل مفهوماً لسليمان عبّر عنه بالقول، ولما جعلت النملة قائلة والنمل مقولاً لهم كما في أولي العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم.

و﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ جواب الأمر أو نهي بدل من الأمر، لأن ادخلوا في مساكنكم في معنى: لا تكونوا حيث أنتم، والمراد: لا يحطمنكم جنود سليمان، فجاء بما هو أبلغ، ونحوه:

عَجِبْـتُ مِـنْ نَفْـسِي وَمِـنْ إِشْـفَاقِهَا[3]

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾ أي: أخذ في الضحك، يعني: إنّه قد تجاوز حدّ التبسّم إلى الضحك، وكذلك ضحك الأنبياء، وإنّما ضحك لإعجابه بما دلّ

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) ينظر: العرائس: ١٧٢ وما بعدها.

(٣) الرجز لخليفة بن بلاد. أنساب الاشراف ج١٢: ٣٨٤، وبقيته: ومن طرادي الطير عن أرزاقها.

من قولها على ظهور شفقة جنوده وشهرة حالهم في التقوى حيث قالت: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾، أو لسروره بما آتاه الله من إدراكه بسمعه ما همس به أصغر خلق الله وإحاطته بمعناه، ولذلك قال: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ أي: اجعلني أزع شكر نعمتك عندي، وأرتبطه لا ينفلت عني، حتى لا أزال شاكراً لك وذاكراً إنعامك ﴿عَلَيَّ وَعَلَىٰ﴾ والدي بأن أكرمته بالنبوّة وغيرها، وعلى والدتي بأن زوجتها نبيّك، جعل النعمة عليهما نعمة عليه يلزمه شكرها.

﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ استوفقه سبحانه لزيادة العمل الصالح في المستقبل.

﴿فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ومن بعدهم من النبيّين، أي: أدخلني في جملتهم.

وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ
ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ
أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾
إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا
عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٦﴾

﴿أَمۡ﴾ منقطعة. نظر سليمانعليه السلام إلى مكان الهدهد فلم يره، فقال: ﴿مَا لِيَ﴾

لا أراه؟ على معنى: أنّه لا يراه وهو حاضر، لساتر أو غيره، ثمّ لاح له أنّه غائب، فأضرب عن ذلك وأخذ يقول: أهو غائب؟ كأنّه يسأل عن صحّة ما لاح له من غيبته، فهو نحو قولهم: إنّها لإبل أم شاء. ويروى أنّ أبا حنيفة سأل أبا عبد الله الصادقعليه السلام: ((كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير؟ فقال: لأنّ الهدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى أحدكم الدهن في القارورة، فضحك أبو حنيفة وقال: كيف لا يرى الفخ في التراب ويرى الماء في بطن الأرض؟! قال: يا نعمان، أوَ ما علمت أنّه إذا نزل القدر غشي البصر))[1].

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾ بنتف ريشه وتشميسه، وقيل: بالتفريق بينه وبين إلفه. وقرئ: ليأتينني ـ بنونين أوّلها مشددة ـ، وبنون واحدة مشددة. والسلطان: الحجّة والعذر.

قرئ: ﴿فَمَكَثَ﴾ بفتح الكاف وضمها، ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ كقولك: عن قريب. وصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه خوفاً من سليمان وتسخيره له.

وقرئ: ﴿أَحَطتُ﴾ بإدغام الطاء بالتاء بإطباق وبغير إطباق. وعن ابن عباس: (فأتاه الهدهد بحجّة وعذر فقال: اطلعت على ما لم تطلع عليه وجئتك بخبر صادق لم تعلمه)[2]. ألهم الله الهدهد فكافحه بهذا الكلام مع ما أوتي من العلوم الكثيرة، ابتلاء له في علمه وتنبيهاً له على أنّ في أدنى خلقه من أحاط ﴿بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ ليكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء.

وقرئ: ﴿سَبَإٍ﴾ بالهمزة منوناً وغير منون على منع الصرف، وسبا ـ بالألف ـ،

(١) مجمع البيان ج٧-٨: ٢١٧ عن العياشي.

(٢) الدر المنثور ج٥: ١٠٥.

ومثله في سورة سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾[(١)]، وهو: سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فمن جعله اسماً للقبيلة لم يصرفه، ومن جعله اسماً للحي أو الأب الأكبر صرفه، ثمّ سمّيت مدينة مأرب بـ(سبأ)، وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيّام، كما سمّيت مغافر بـ(مغافر بن أد). والنبأ: الخبر الذي له شأن.

﴿وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً﴾ وهي بلقيس بنت شراحيل أو شرحيل، وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها.

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما يحتاج إليه الملوك من زينة الدنيا ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ سرير أعظم من سريرك، مقدّمه من ذهب مرصع بالياقوت الأحمر والزمرد الأخضر، ومؤخره من فضة، وكان عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق. وقال أبو مسلم[(٢)]: أراد بالعرش الملك[(٣)].

وقرئ: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾ بالتشديد على أنّ المراد: فصدّهم الشيطان عن السبيل لأن لا يسجدوا، فحذف الجار، وقرئ بالتخفيف وهو ألا يا اسجدوا: (ألا) للتنبيه، و(يا) حرف النداء، والمنادى محذوف، كما حذفه من قال:

أَلَا يَـا اسْـلَمِي...[(٤)]

﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ أي: المخبوء، سمّاه بالمصدر، وهو النبات والمطر

---

(١) سبأ: ١٥.

(٢) أبو مسلم محمّد بن بحر الاصبهاني، الكاتب المترسل الجدلي المعتزلي، له جامع التأويل لمحكم التنزيل على مذهب الاعتزال وغيره، ولد سنة ٢٥٤هـ، وتوفي سنة ٣٢٢هـ. الوافي بالوفيات ج٢: ١٧٥.

(٣) تفسير الماوردي ج٤: ٢٠٤.

(٤) ديوان شعر ذي الرمة: ٢٠٦ وتمامه: ألا يا اسلمي يا دار ميّ على البلى ولا زال منهلّاً بجرعائك القطر.

وغيرهما مما خبأه عزّ وجل من غيوبه، وقرئ: ﴿ٱلۡخَبۡءَ﴾ بتخفيف الهمزة بالحذف.
وقيل: إنّ الجميع من قوله: ﴿أَحَطتُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ من كلام الهدهد[١]،
وقيل: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ﴾ إلى آخره كلام ربّ العزّة، أمر جميع خلقه بالسجود[٢].

وفي إحدى القراءتين أمر بالسجود وفي الأخرى ذم لتاركه، فسجدة التلاوة مسنونة في كلتيهما، وإذا خفّف فالوقف على ﴿لَا يَهۡتَدُونَ﴾، ومن شدّد لم يقف إلا على ﴿ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

وقرئ: ﴿تُخۡفُونَ﴾ و﴿تُعۡلِنُونَ﴾ بالتاء.

قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي
هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ
ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ
نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾
قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ
أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ
يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ
ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ
فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿سَنَنظُرُ﴾ هو من النظر بمعنى الفكر والتأمل، والمراد ﴿أَصَدَقۡتَ أَمۡ﴾

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج١٩: ٩٤.

(٢) عن أبي عبيد. معالم التنزيل ج٣: ١١٥.

كذبت، إلا أنّ قوله: ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أبلغ.

﴿تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه يسمع منك.

﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: ماذا يردّون من الجواب، ومنه قوله تعالى: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾[1] قيل: دخل عليها من الكوة[2] فألقى الكتاب إليها وتوارى في الكوة[3].

وفي الكلام اختصار كثير، أي: فمضى الهدهد وألقى إليهم الكتاب، فلما قرأته بلقيس ﴿قَالَتْ﴾ لقومها بعد أن جمعتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾ يعني: الأشراف ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ وصفته بالكرم لأنّه من عند ملك كريم، أو كتاب حسن مضمونه وما فيه، أو مختوم لقوله‌عليه‌السلام: ((كرم الكتاب ختمه))[4]، أو لأنّه صدّره بـ(بسم الله الرحمن الرحيم).

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ استئناف وتبيين لما ألقي إليها، كأنّه قيل لها: ممن هو، وما هو؟ فقالت: إنّه من سليمان.

و(أن) في ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟﴾ مفسّرة، والمعنى: لا تتكبروا كما يفعل الملوك ﴿وَأْتُونِى﴾ منقادين مستسلمين، أو مؤمنين.

الفتوى: الجواب في الحادثة، وأرادت أن يشيروا عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير، وقصدت بالرجوع إلى استشارتهم استعطافهم ليوافقوها

---

(١) سبأ: ٣١.

(٢) الكوة: نقب البيت. (الصحاح: مادة كوى)

(٣) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج١٩: ٩٥.

(٤) الكشف والبيان ج٧: ٢٠٦ بالمعنى.

ويقوموا معها.

﴿قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ أي: فاصلة، لا أقطع أمراً إلا بحضوركم.

[﴿نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ﴾ في الأجساد والآلات والعدد ﴿وَأُولُوا بَأْسٍ﴾: أي نجدة وبلاء في الحرب.

﴿وَالْأَمْرُ﴾ موكول ﴿إِلَيْكِ﴾][1] ونحن مطيعون لك، فمرينا بأمرك نطع أمرك ونتبع رأيك. فمالت إلى الصلح ورأت الابتداء بالأحسن، وذكرت في الجواب لهم عاقبة الحرب وسوء مغبّتها[2]، و﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ قسراً وعنوة خرّبوها، وأذلّوا أعزّتها، وقتلوا وأسروا، ثمّ قالت: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾أي: وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير، وقيل: هو تصديق من الله سبحانه لقولها[3].

ثمّ ذكرت حديث الهدية، وما رأت من الرأي في ذلك، أي: ﴿مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم﴾ رسلاً ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾ أمانعه بذلك عن ملكي.

﴿فَنَاظِرَةٌ﴾ أي: فمنتظرة ما يكون منه حتى أعمل على حسب ذلك.

وقرئ: ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ بحذف الياء والاجتزاء بالكسرة، والهدية اسم المهدى، كما أنّ العطية اسم المعطى، فيضاف إلى المهدي والمهدى له، والمضاف إليه في قوله: ﴿بِهَدِيَّتِكُمْ﴾ هو المهدى إليه، والمعنى: إنّ ما عندي خير مما عندكم، وذلك أنّ الله عزّ اسمه آتاني مالا مزيد عليه، فلا يمدّ مثلي بمال ﴿بَلْ أَنتُم﴾ قوم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، فلذلك ﴿تَفْرَحُونَ﴾ بما تزادون ويهدى إليكم، لأنّ ذلك مبلغ همتكم، وليس حالي كحالكم، فما أرضى منكم بشيء إلا بالإيمان.

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) المغبّة: العاقبة. (لسان العرب: مادة غبب)

(٣) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٩: ٩٧.

ولما أنكر عليهم إمداده بالمال أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه. ويجوز أن تكون الهدية مضافة إلى المهدي، أي: بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون.

﴿ٱرْجِعْ﴾ خطاب للرسول.

﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي: لا طاقة، وحقيقته: المقابلة والمقاومة، والمعنى: لا يقدرون أن يقابلوهم.

﴿مِّنْهَآ﴾ من أرضها ومملكتها وهم ذليلون بذهاب ما كانوا فيه من العزّ والملك.

﴿صَٰغِرُونَ﴾ بوقوعهم في الاستعباد والأسر.

قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ
عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ
أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ
إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ
ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى
غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ
لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا
ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا
كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ
إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

يروى أنّها أمرت عند خروجها إلى سليمان فجعل عرشها في آخر سبعة

أبيات، ووكّلت به حرساً يحفظونه، فأراد سليمان أن يريها بعض ما يخصّه به الله تعالى من المعجزات الشاهدة لنبوّته[١]. وعن الباقر عليه السلام: قال عفريت من عفاريت الجن. والعفريت: المارد القوي الداهي.

﴿مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: مجلسك الذي تقضي فيه ﴿وَإِنِّي﴾ على الإتيان به ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ آتي به كما هو لا أبدّله.

و﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ وزير سليمان وابن أخته، وهو آصف بن برخيا، وكان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وهو قوله: يا إلهنا وإله كل شئ، إلهاً واحداً لا إله إلا أنت، وقيل هو: يا حي يا قيوم، وبالعبرانية: آهيا شراهيا[٢]، وقيل هو: يا ذا الجلال والإكرام[٣]. وقيل: الذي عنده علم من الكتاب ملك أيد الله به سليمان[٤]، وقيل: هو جبرئيل، والكتاب هو اللوح[٥]، وقيل: هو من جنس كتب الله المنزلة على أنبيائه، وقيل: هو علم الوحي والشرائع.

وقوله: ﴿ءَاتِيكَ﴾ في الموضعين يجوز أن يكون فعلاً واسم فاعل.

الطرف: تحريكك أجفانك إذا نظرت، فوضع موضع النظر، ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال الطرف في نحو قوله:

وَكُنْتَ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً ... لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ[٦]

---

(١) تفسير الطبري ج١٩: ١٠٠.

(٢) عن الكلبي. معالم التنزيل ج٣: ١١٨.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٩: ١٠٢.

(٤) عن ابن بحر. تفسير الماوردي ج٤: ٢١٣.

(٥) تفسير السمرقندي ج٢: ٥٨٣.

(٦) ديوان الحماسة: ٣٧٢ دون نسبة، وفيه: وكنت متى ....

وصف بردّ الطرف، ووصف الطرف بالارتداد، فعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ إنّك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن تردّه أبصرت العرش بين يديك. وروي: أنّ آصف قال لسليمان: مدّ عينيك حتى ينتهي طرفك، فمدّ عينيه فنظر نحو اليمن، ودعا آصف فغار العرش في مكانه بمأرب ثمّ نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل أن يرتدّ طرفه[١].

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦ﴾ لأنّه يرتبط به النعمة، ويحط به عن نفسه عبء الواجب، ويستوجب المزيد.

﴿رَبِّي﴾ غني عن الشكر ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإنعام على الشاكر والكافر.

﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا﴾ اجعلوه متنكراً متغيراً عن شكله، أراد بذلك اعتبار عقلها.

﴿نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ﴾ لمعرفته، أو للجواب على الصواب إذا سئلت عنه، أو للدين والإيمان بنبوّة سليمان إذا رأت تلك المعجزة.

﴿أَهَٰكَذَا﴾ أربع كلمات: حرف الاستفهام، وحرف التنبيه، وكاف التشبيه، واسم الإشارة. أي: أمثل هذا عرشك؟ ولم يقل: أهذا عرشك؟ لئلا يكون تلقيناً.

﴿قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ ولم تقل هو هو ولا ليس هو، وذلك من رجاحة عقلها، إذ لم تقطع في موضع الاحتمال.

﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا﴾ قيل: هو من كلام بلقيس[٢] أي: وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحّة نبوّة [سليمان من قبل هذه المعجزة، أو من قبل هذه الحالة، وقيل:

---

(١) تفسير الطبري ج١٩: ١٠٣.

(٢) معالم التنزيل ج٣: ١١٩.

هو من كلام][1] سليمان وقومه[2] أي: وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة قبل مجيئها، أو أوتينا العلم بالله وبقدرته قبل علمها ولم نزل على دين الإسلام.

﴿وَصَدَّهَا﴾ عن التقدّم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشوؤها بين الكفار، وقيل: صدّها الله أو سليمان عما ﴿كَانَت تَّعۡبُدُ﴾ بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل[3].

والصرح: القصر، والممرد: المملس، وقيل: الصرح: الموضع البسيط المنكشف من غير سقف[4]، أمر سليمان الشياطين ببنائه وأجرى تحته الماء، ثمّ وضع له فيه سرير فجلس عليه ﴿فَلَمَّا رَأَتۡهُ﴾ بلقيس ﴿حَسِبَتۡهُ لُجَّةً﴾ وهي معظم الماء ﴿وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ﴾ لدخول الماء، فقال لها سليمان: ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ﴾ مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ وليس بماء.

﴿ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ يريد بكفرها فيما تقدّم.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٩: ١٠٥.

(٣) إعراب القرآن ج٣: ٢١٣.

(٤) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج٤: ٢١٦.

﴿لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥١ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥٢ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٣﴾

﴿هُمۡ فَرِيقَانِ﴾ مبتدأ وخبر، و﴿إِذَا﴾ خبر ثان، و﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾ حال أو صفة لـ﴿فَرِيقَانِ﴾ أي: فريق مؤمن وفريق كافر، يقول كل فريق: الحقّ معي.

والسيئة: العقوبة، والحسنة: التوبة من الشرك، ومعنى استعجالهم ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ أنّهم قالوا: إن كان ما أتيتنا به حقّاً فأتنا بالعذاب.

هلا ﴿تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ من الشرك بأن تؤمنوا ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ فلا تعذّبون في الدنيا.

﴿ٱطَّيَّرۡنَا﴾ أي: تطيّرنا بك، ومعناه: تشاءمنا بك وبمن على دينك، وكانوا قد قحطوا.

﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: سببكم الذي يجيء منه خيركم وشرّكم عند الله، وهو قدره وقسمه، إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم. ويجوز أن يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وابتلاء، ومنه قوله: ﴿طَائِرُكُم مَعَكُمْ﴾(١)، ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾(٢).

﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾ تختبرون وتبتلون أو تعذّبون.

﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ التي بها صالح، وهي الحجر ﴿تِسۡعَةُ﴾ أنفس سعوا في

---

(١) يس: ١٩.

(٢) الإسراء: ١٣.

عقر الناقة، وكانوا عتاة قوم صالح ومن أبناء أشرافهم، أي: شأنهم الإفساد البحت الذي لا يختلط بشيء من الصلاح.

﴿تَقَاسَمُواْ﴾ يجوز أن يكون أمراً، ويجوز أن يكون خبراً في محلّ الحال بإضمار (قد) أي: قالوا متقاسمين: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ أي: لنقتلن صالحاً وأهله، وقرئ: لَتُبَيِّتُنَّهُ - بالتاء وضم التاء الثانية - ثمّ لتقولن، وعلى هذا يكون ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ أمراً لا غير، والتقاسم: التحالف، والبيات: مباغتة العدو ليلاً. وقرئ: مهلك من الهلاك، ومهلك من الإهلاك.

﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا﴾ بأن أخفوا تدبير الفتك بصالح وأهله ﴿وَمَكَرۡنَا﴾ بإهلاكهم من حيث ﴿لَا يَشۡعُرُونَ﴾، شبّهه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة.

﴿أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾ استئناف، ومن قرأ بالفتح رفعه بدلاً من ﴿عَٰقِبَةُ﴾، أو على أنّه خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي تدميرهم، أو نصبه على خبر ﴿كَانَ﴾ أي: كان عاقبة مكرهم الدمار، أو على معنى (لأنّا).

و﴿خَاوِيَةَۢ﴾ نصب على الحال من معنى الإشارة، أي: فارغة خالية بظلمهم وكفرهم. وعن ابن عباس: (أجد في كتاب الله عزّ اسمه أنّ الظلم يخرب البيوت، وتلا هذه الآية)[1].

وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ

---

(١) مجمع البيان ج٧-٨: ٢٢٧.

﴿٥٦﴾ ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ
﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾

وأرسلنا لوطاً.

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ من: بصر القلب، أي: تعلمون أنّها فاحشة لم تسبقوا إليها، أو تبصرونها لأنّهم كانوا يرتكبون ذلك معالنين به، لا يستتر بعضهم من بعض خلاعة و مجانة، أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم.

﴿تَجْهَلُونَ﴾ تفعلون فعل الجاهلين بأنّها فاحشة مع علمكم بذلك، أو تجهلون العاقبة.

﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتنزهون عن هذا الفعل وينكرونه، وعن ابن عباس: (هو استهزاء)[1].

أي: قدّرنا كونها ﴿مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ أي: الباقين في العذاب، فالتقدير واقع على الغبور في المعنى.

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن
تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ
ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ
بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ

---

(١) الكشاف ج٣: ٣٧٤.

﴿خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمَّن
يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا
بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ
٦٣ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ
أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤ قُل
لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ
يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾

فيه بعث على الاستفتاح بالتحميد والسلام على المصطفين من عباده، والتيمّن بالذكرين، والاستظهار بهما على قبول ما يلقى إلى السامعين، وقيل: اتصل بما قبله إذا جعل تحميداً على الهالكين من كفار الأمم، والصلاة على الأنبياء وأشياعهم الناجين[1]. وعنهم عليهم السلام: ((إنّ ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾: محمّد وآله عليهم السلام))[2].

﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ﴾ لمن عبده أم الأصنام لعابديها؟ وهذا إلزام للحجّة على المشركين بعد ذكر هلاك الكفار. وعن الصادق عليه السلام: يقول إذا قرأها: ((الله خير ـ ثلاث مرات ـ))[3].

و(أم) في ﴿أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ متصلة، والمعنى: أيّهما خير؟ وهي في: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ﴾ منقطعة، والمعنى: بل أم من خلق السماوات والأرض خير. وفيه تقرير لهم بأنّ من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء.

وفي قوله: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ﴾ وانتقاله إلى التكلّم عن ذاته بعد الإخبار عن الغيبة

---

(١) معالم التنزيل ج٣: ١٢١.

(٢) تفسير القمي ج٢: ١٢٩.

(٣) تهذيب الأحكام ج٢: ٢٩٧.

على طريقة الالتفات، تأكيد لمعنى اختصاص الفعل بذاته، وأنّه لا يقدر على إنبات الحدائق مع بهجتها وبهائها إلا هو وحده. ألا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ ومعنى الكينونة: الابتغاء، يعني: أن تأتي ذلك من غيره محال، وكذلك قوله: ﴿بَلْ هُمْ﴾ بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم.

والحديقة: البستان عليه حائط، من قولهم: أحدقوا به أي: أحاطوا به.

و﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ بمعنى: جماعة حدائق ذات بهجة، كما يقال: النساء ذهبت، والبهجة: الحسن لأنّ الناظر يبتهج به.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أغيره يقرن به ويجعل شريكاً له؟ ولك أن تحقّق الهمزتين وتوسط بينهما مدة، وأن تخرج الثانية بين بين.

﴿يَعْدِلُونَ﴾ [به غيره، أو يعدلون][١] عن الحقّ والتوحيد.

﴿أَمَّن جَعَلَ﴾ وما بعده بدل من ﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾ وحكمها حكمه.

﴿قَرَارًا﴾ سوّاها للاستقرار عليها.

﴿حَاجِزًا﴾ أي: برزخاً.

الاضطرار: افتعال من الضرورة، والمضطر: الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الأيّام إلى التضرّع إلى الله تعالى، يقال: اضطره إلى كذا، والفاعل والمفعول: مضطر.

﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ أي: الشدّة وكل ما يسوء.

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ خلفاء فيها، تتوارثون التصرّف فيها خلفاً

---

(١) ساقطة من ج.

بعد سلف وقرناً بعد قرن، أو أراد بالخلافة الملك والتسلط.

و﴿مَّا﴾ مزيدة أي: يذكّرون تذكيراً قليلاً، والمعنى: نفي التذكّر. وقرئ بالياء مع الإدغام، وبالتاء مع الإدغام والحذف.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ بالنجوم في السماء، وبالعلامات في الأرض إذا جنّ عليكم الليل وأنتم مسافرون في البحر والبر؟.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أقرّوا بالابتداء والإنشاء فيلزمهم الإقرار بالإعادة بعد الفناء.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بإنزال الأمطار ومن ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات والثمار. وجاء قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ على لغة بني تميم في قولهم: ما أتاني زيد إلا عمرو، وقول الشاعر:

وَبَلْـدَةٌ لَيْـسَ بِهَـا أَنِيـسُ إِلّا اليَعَافِـيرُ وَإِلّا العِيـسُ[1]

وإنّما اختير هذا ليؤول المعنى إلى قولك: إن كان الله ممن في السماوات والأرض ففيهم من يعلم الغيب، كما كان المعنى في البيت: إن كانت اليعافير أنيساً، ففيها أنيس.

﴿أَيَّانَ﴾ بمعنى متى.

بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ

(١) ديوان جران العود: ٩٧، وفيه: بسابساً ليس به....

وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا
ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ
ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ
مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾

قرئ: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ وادّرك، وأصل ادّارك: تدارك فأدغمت التاء في الدال، وادّرك افتعل. ومعنى: ادّرك ﴿عِلْمُهُمْ﴾: انتهى وتكامل، و﴿ٱدَّٰرَكَ﴾: تتابع واستحكم، يعني: إنّ أسباب استحكام علمهم وتكاملهم بأنّ القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم، ومكّنوا منها ومن معرفتها، وهم شاكون جاهلون، وذلك قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ يريد المشركين ممن في السماوات والأرض، لأنّهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم إلى الجميع، كما يقال: بنو فلان فعلوا كذا، وإنّما فعله ناس منهم.

ووجه آخر وهو: أن يكون ادّرك بمعنى انتهى وفني، من قولك: أدركت الثمرة، لأنّ تلك غايتها التي عندها تعدم، وقد فسّره الحسن بـ(اضمحل علمهم)(١). وتدارك: من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك. ومعنى الإضراب ثلاث مرات أنّه وصفهم أوّلاً بأنّهم لا يشعرون وقت البعث، ثمّ بأنّهم لا يعلمون بأنّ القيامة كائنة، ثمّ بأنّهم ﴿فِي شَكٍّ﴾ يستطيعون إزالته ولا يزيلونه، ثمّ بما هو أسوأ حالاً وهو العمى، وجعل الآخرة مبدأ عماهم فلذلك عدّاه بـ(من) دون (عن)، لأنّ الكفر بالعاقبة هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون.

(١) تفسير الماوردي ج٤: ٢٢٤.

والعامل في (إذا) ما دلّ عليه ﴿أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ وهو يخرج، لأنّ بين يدي (عمل) اسم فاعل فيه موانع من العمل، وهي: همزة الاستفهام، وإن، ولام الابتداء، وواحدة منها كافية فكيف إذا اجتمع الجميع. والمراد الإخراج من الأرض أو من حال الفناء إلى الحياة، وتكرير حرف الاستفهام بإدخاله على (إذا) و(إن) جميعاً إنكار على إنكار، وجحود بعد جحود، والضمير في (إنا) لهم ولآبائهم، لأنّ كونهم ﴿تُرَابًا﴾ قد تناولهم وآباءهم. فانظر ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لأنّهم لم يتبعوك، والمراد لم يسلموا ﴿وَلَا تَكُنْ فِي﴾ حرج صدر من مكرهم وكيدهم، ولا تبال بذلك، فإنّ الله يعصمك منهم، يقال: ضاق الشيء ضيقاً بالفتح والكسر، وقد قرئ بهما جميعاً.

استعجلوا العذاب الموعود، فقيل لهم: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ﴾ ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر، فزيدت اللام للتأكيد كما زيدت الباء في ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾[1]، أو ضمّن ﴿رَدِفَ﴾ معنى فعل يتعدّى باللام نحو: دنا لكم، وأزف لكم، والمعنى: تبعكم ولحقكم. و(عسى) و(لعل) و(سوف) في وعد الملوك ووعيدهم يدلّ على صدق الأمر وجدّه، يعنون بذلك أنّهم لا يعجلون بالانتقام لوثوقهم بغلبتهم، وبأنّ الأمر لا يفوتهم.

والفضل: الإفضال أي: هو مفضل عليهم بتأخير العقوبة، وأكثرهم لا يعرفون حقّ النعمة فيه ولا يشكرونه.

كننت الشيء وأكننته: سترته، أي: يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله وكيده، وهو معاقبهم على ذلك على حسب استحقاقهم.

التاء في الغائبة والخافية بمنزلتها في العاقبة والعافية، والمعنى: الشيء

(١) البقرة: ١٩٥.

الذي يغيب ويخفى، وهما اسمان، ويجوز أن يكونا صفتين، والتاء تكون للمبالغة كـ(الراوية) في قولهم: حماد الراوية، كأنّه قال: وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأثبته في اللوح.

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم
بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ
ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ
﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ
ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن
كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو
قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ
ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾

أي: ﴿يَقُصُّ﴾ عليهم ما اختلفوا فيه من أمر المسيح ومريم وأشياء كثيرة وقع بينهم الاختلاف فيه من الأحكام وغيرها، وكان ذلك من معجزات نبيّنا ﷺ، إذ كان لا يدرس كتبهم وأخبرهم بما فيها.

﴿يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ أي: بين من آمن بالقرآن ومن كفر به، أو بين المختلفين في الدين يوم القيامة.

﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ أي: بما يحكم به وهو عدله، فسمّى المحكوم به حكماً، أو بحكمته.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فلا يرد قضاؤه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بمن يقضي له وعليه.

أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين، وعلل التوكل بأنّه ﴿عَلَى ٱلْحَقِّ﴾ وصاحب الحقّ حقيق بالوثوق بنصرة الله.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ومن سمع آيات الله وهو حي صحيح الحواس فلا تعيها أذنه، فحاله كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع، وحاله كحال الصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون.

و﴿ٱلْعُمْيِ﴾ الذين يضلون الطريق فلا يقدر أحد على أن يجعلهم هداة بصراء إلا الله وحده.

وقوله: ﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ تأكيد لحال الأصم، لأنّه إذا ولى عن الداعي مدبراً كان أبعد عن إدراك صوته، وقرئ: ولا يسمع الصم، وما أنت تهدي العمي.

وهداه عن الضلال [كقوله: سقاه عن العيمة[1] أي: أبعده عنها بالسقي، وأبعده عن الضلال][2] بالهدى ﴿إِن تُسْمِعُ﴾ أي: ما تسمع ﴿إِلَّا﴾ من يطلب الحقّ، ويعلم الله أنّه يؤمن بآياته ويصدق بها ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: حصل ما وعده الله من علامات قيام الساعة وظهور أشراطها.

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ تخرج بين الصفا والمروة، فتخبر المؤمن بأنّه مؤمن والكافر بأنّه كافر. وعن حذيفة: أنّ النبيّ ﷺ قال: ((دابة الأرض طولها ستون ذراعاً، لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب، فتسم المؤمن بين عينيه، وتسم الكافر بين عينيه، ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن بالعصا،

---

(١) العيمة: شهوة اللبن. (الصحاح: مادة عيم)

(٢) ساقطة من ج.

وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى يقال: يا مؤمن، ويا كافر))[١]. وروي: فتضرب المؤمن بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يبيض لها وجهه، ويكتب بين عينيه: مؤمن، وتنكت الكافر بالخاتم فتفشو النكتة حتى يسودّ لها وجهه، ويكتب بين عينيه: كافر[٢]. وعن السدي: تكلّمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام[٣]. وعن محمّد بن كعب[٤] قال: سئل عليّ عليه السلام عن الدابة فقال: ((أما والله مالها ذنب، وإنّ لها للحية))[٥]، وفي هذا إشارة إلى أنّها من الإنس. وقد روي عنه عليه السلام أنّه قال: ((أنا صاحب العصا والميسم))[٦]. وعن ابن عباس وغيره: تَكْلِمَهُمْ من الكلم وهو الجرح، والمراد به الوسم بالعصا والخاتم، ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضاً على معنى التكثير، يقال: فلان مكلم أي: مجرح، ويجوز أن يستدلّ بالتخفيف على أنّ المراد بالتكليم التجريح، كما فسّر ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾[٧] بقراءة عليّ عليه السلام: لَنُحْرِقَنَّهُ، ويستدلّ بقراءة أُبيّ: تنبئهم، وبقراءة ابن مسعود: تكلّمهم ـ بالتشديد ـ بأنّ الناس، على أنّه من الكلام. وعن الباقر عليه السلام: ((كلم الله من قرأ تكلمهم، ولكن تكلّمهم)) بالتشديد.

وقرئ: (إنّ) بالكسر على حكاية قول الدابة أو قوله تعالى عند ذلك، وإذا

---

(١) الكشف والبيان ج٧: ٢٢٣.

(٢) الكشف والبيان ج٧: ٢٢٤.

(٣) معالم التنزيل ج٣: ١٢٢.

(٤) أبو حمزة محمّد بن كعب بن سليم القرظي يعد من عباد أهل المدينة وعلمائهم، مات سنة ١٠٨هـ. ينظر: مشاهير علماء الامصار: ١٠٨، معجم رجال الحديث ج١٧: ١٩٨.

(٥) تفسير الماوردي ج٤: ٢٢٦، التبيان ج٨: ١٠٦.

(٦) بصائر الدرجات: ٢٠١.

(٧) طه: ٩٧.

كانت حكاية لقول الدابة فمعنى ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: بآيات ربّنا، أو لأنّها من خواص خلق الله أضافت آيات الله إلى نفسها، كما يقول بعض خاصة الملك: بلادنا وجندنا، وإنّما هي بلاد مولاه وجنده. والقراءة بفتح ﴿أَنَّ﴾ على حذف الجار.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يحبس أوّلهم على آخرهم حتى يجتمعوا.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ﴾ منصوب بما دلّ عليه ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، لأنّ ﴿يَوْمَ﴾ هاهنا بمنزلة (إذا).

وقد استدلّ بعض الإمامية بهذه الآية على صحّة الرجعة، وقال: إنّ المذكور فيها: يوم نحشر فيه من كل جماعة فوجاً، وصفة يوم القيامة أنّه يحشر فيه الخلائق بأسرهم[1] كما قال سبحانه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[2]. وورد عن آل محمّد عليهم السلام: ((أنّ الله تعالى يحيي عند قيام المهدي عليه السلام قوماً من أعدائهم قد بلغوا الغاية في ظلمهم واعتدائهم، وقوماً من مخلصي أوليائهم قد ابتلوا بمعاناة كل عناء ومحنة في ولائهم، لينتقم هؤلاء من أولئك، ويتشفوا مما تجرعوه من الغموم بذلك، وينال كل من الفريقين بعض ما استحقّه من الثواب والعقاب))[3].

وهذا غير مستحيل في العقول فإنّ أحداً من المسلمين لا يشك في أنّه مقدور لله تعالى، وقد نطق القرآن بوقوع أمثاله في الأمم الخالية كـ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾[4]، والذي ﴿أَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾[5].

---

(١) الاعتقادات في دين الامامية: ٦٣.

(٢) الكهف: ٤٧.

(٣) ينظر: كتاب الإيقاظ من الهجعة: ٢٢٣- ٢٨٠.

(٤) البقرة: ٢٤٣.

(٥) البقرة: ٢٥٩.

وروي عنهﷺ: ((سيكون في أمّتي كل ما كان في بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة))[١].

وعلى هذا فيكون المراد بالآيات: أئمّة الهدىﷺ.

وقوله: ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ الواو للحال، فكأنّه قال: أكذبتم بها بادئ الرأي من غير فكر ونظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها، أو للعطف أي: أجحدتموها ومع جحودكم لم تقصدوا معرفتها وتحقّقها.

﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من غير الكفر والتكذيب بآيات الله، يعني: لم يكن لكم عمل في الدنيا غير ذلك.

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ أي: غشيهم العذاب بسبب ظلمهم فشغلهم عن الاعتذار والنطق به.

أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾
وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ
أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ
خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ
وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ
أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج١: ١٣٠، مصنف ابن أبي شيبة ج٨: ٦٣٦.

﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿مُبْصِرًا﴾ معناه: ليبصروا فيه طرق المكاسب.

﴿فَفَزِعَ﴾ ولم يقل: فيفزع ليعلم أنّه كائن لا محالة، والمراد: أنّ أهل السماوات والأرض يفزعون عند النفخة الأولى.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من الملائكة الذين ثبّتهم الله تعالى وهم: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وقيل: الشهداء[1]. وقرئ: وكل آتوه، أي: فاعلوه، وكلاهما محمول على معنى ﴿كُلٌّ﴾. والداخر: الصاغر، ومعنى الإتيان: حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية، ويجوز أن يكون المراد رجوعهم إلى أمره وانقيادهم له.

﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ من جمد في المكان إذا لم يبرح منه، تجمع الجبال وتسيّر كما تسيّر الريح السحاب، فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ﴿وَهِىَ تَمُرُّ﴾ مراً حثيثاً. وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا يتبين حركتها، كما قال النابغة الجعدي يصف جيشاً:

بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ ... وُقُوفٌ لِحَاجٍ وَالرِّكَابُ تُهَمْلِجُ[2]

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد، وانتصابه بما دلّ عليه ما تقدّم من قوله: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾، وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتى بها على وجه الحكمة والإتقان وهو حسن الاتساق.

---

(١) عن أبي هريرة مرفوعاً. تفسير الطبري ج ٢٠: ١٣.

(٢) ديوان النابغة الجعدي: ٤٩.

﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ﴾ بما يفعله العباد، وما يستحقّونه عليه فيجازيهم بحسب ذلك.

وقرئ: ﴿تَفۡعَلُونَ﴾ بالتاء على الخطاب.

وقرئ: مِنْ فَزَعِ يَوْمَئِذٍ مجروراً بالإضافة، ويومئذ مفتوحاً مع الإضافة لأنّه أضيف إلى غير متمكّن، ومنصوباً مع تنوين ﴿فَزَعٖ﴾. ومن نوّن ففي انتصاب ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ ثلاثة أوجه: أن يكون ظرفاً للمصدر، وأن يكون صفة له كأنّه قال: من فزع يحدث يومئذ، وأن يتعلّق بـ﴿ءَامِنُونَ﴾ كأنّه قال: وهم آمنون يومئذ من فزع شديد لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار. وعن عليّ عليه السلام: ((الحسنة حبّنا أهل البيت، والسيئة بغضنا))[1]، ويؤيده ما رووه عن جابر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: ((يا عليّ، لو أنّ أمّتي صاموا حتى صاروا كالأوتار، وصلّوا حتى صاروا كالحنايا، ثمّ أبغضوك، لأكبّهم الله على مناخرهم في النار))[2].

﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ﴾ على إضمار القول.

﴿هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ﴾ يعني: مكة، خصّها الله سبحانه بإضافة اسمه إليها، وأشار إليها إشارة تعظيم لها، ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها: لا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ومن التجأ إليها فهو آمن، ومن انتهك حرمتها فهو ظالم، وهو مالك كل شيء فيحرّم ما يشاء ويحلّ ما يشاء.

﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ باتباعه إيّاي فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إليّ ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ ولم يتبعني فلا عليّ، وما أنا إلا رسول منذر، وليس عليّ إلا البلاغ المبين.

ثمّ أمره سبحانه أن يحمد الله على ما آتاه من نعمة النبوّة، وأن يهدد أعداءه بما سيريهم سبحانه من الآيات التي تلجئهم إلى المعرفة والإقرار بأنّها آيات الله، وذلك

---

(١) شواهد التنزيل ج١: ٤٢٥. المحاسن ج١: ١٥٠.

(٢) شواهد التنزيل ج١: ٤٢٦.

حين لا تنفعهم المعرفة، يعني في الآخرة، وقيل: هي العذاب في الدنيا والقتل يوم بدر فيشاهدونها[1]. وقرئ: ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ بالتاء والياء.

(١) الكشف والبيان ج٧: ٢٣١.

سورة القصص

مكية، وهي ثمان وثمانون آية، ﴿طسم﴾ كوفي، ﴿يَسْقُونَ﴾ غيرهم.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأها أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق موسى عليه السلام ومن كذّب به))(1).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن
نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ
عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ
يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾
وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ
أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ
فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ﴾ بعض ﴿نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: محقّين كقوله: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾(2).

---

(1) الكشف والبيان ج٧: ٢٣٢ باختصار.

(2) المؤمنون: ٢٠.

﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ سبق في علمنا أنّهم يؤمنون، لأنّ التلاوة إنّما تنفع هؤلاء.

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ﴾ جملة مستأنفة كالتفسير لما تقدّم.

﴿عَلَا﴾ أي: بغى وتجبر ﴿فِي﴾ أرض مصر، وتجاوز الحد في الظلم.

﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾ أي: فرقاً يشيعونه على ما يريد، أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته، أو فرقاً مختلفة قد أوقع بينهم العداوة، وهم: بنو إسرائيل والقبط ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ وهم بنو إسرائيل.

وسبب ذبح الأبناء أنّ كاهناً قال له: يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده، ﴿يُذَبِّحُ﴾ بدل من ﴿يَسۡتَضۡعِفُ﴾، و﴿يَسۡتَضۡعِفُ﴾ إما حال من الضمير في ﴿جَعَلَ﴾، أو صفة لـ﴿شِيَعٗا﴾، أو كلام مستأنف.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ جملة معطوفة على الكلام المتقدّم، لأنّ الجميع تفسير لـ﴿نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ﴾، و﴿نُرِيدُ﴾ حكاية حال ماضية، ويجوز أن يكون حالاً من ﴿يَسۡتَضۡعِفُ﴾ أي: يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمنّ عليهم ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ مقدّمين في الدين والدنيا، وقادة في الخير يقتدى بهم. وعن سيّد العابدين عليه السلام: ((والذي بعث محمّداً بالحقّ بشيراً ونذيراً، إنّ الأبرار منا أهل البيت، وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، وإنّ عدونا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه))[1].

﴿وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ يرثون فرعون وقومه ملكهم.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي﴾ أرض مصر والشام، أي: نجعلها لهم ممهّدة لا تنبو بهم كما كانت في أيّام الجبابرة، وننفذ أمرهم، ونطلق أيديهم فيها ونسلّطهم عليها. وقرئ: ويرى ـ بالياء ـ، فرعون وجنوده ـ بالرفع ـ، أي: يرون منه ما كانوا يحذرون من

---

(١) مجمع البيان ج٧-٨: ٢٣٩ عن العياشي.

ذهاب ملكهم وهلاكهم.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ
فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا
وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ
﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ
أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ
قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿ٱلْيَمِّ﴾ البحر، وهو نيل مصر.

يعني: ألهمناها، أو أتاها جبرائيل بذلك ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما لم تخافي عليه ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ القتل فاقذفيه في النيل ﴿وَلَا تَخَافِى﴾ عليه الغرق والضياع، والفرق بين الخوف والحزن: أنّ الخوف غمّ يلحق الإنسان لمتوقع، والحزن غم يلحقه لواقع؛ وهو فراقه والإخطار به. وقد نهيت عن الأمرين جميعاً، ووعدت بما يسلّيها ويطمئن قلبها ويبهجها، وهو ردّه إليها وجعله ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

واللام في ﴿لِيَكُونَ﴾ لام (كي) التي معناها التعليل، ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز، لأنّه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم ﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، غير أنّ ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته، شبّه بالداعي الذي يفعل الفعل لأجله. وقرئ: حُزناً، وهما لغتان كالرُشد والرَشد.

﴿كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ في كل شيء، وليس خطأهم في تربية عدوهم ببدع منهم، أو كانوا مجرمين مذنبين، فعاقبهم الله بأن ربّى عدوهم الذي هو سبب

هلاكهم على أيديهم. وقرئ: خاطين بتخفيف الهمزة، أو هو من خطوت أي: خاطين الصواب إلى الخطأ.

وروي أنّهم التقطوا التابوت فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً ففتحته فإذا بصبيّ يمصّ إبهامه فأحبّوه، فقالت آسية لفرعون: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ أي: هو قرة عين. وعن ابن عباس: (إنّ أصحاب فرعون جاءوا ليقتلوه فمنعتهم وقالت: لا تقتلوه، فقال فرعون: قرّة عين لك، فأما لي فلا، ولو أنّه أقرّ بأن يكون له قرّة عين كما أقرّت امرأته، لهداه الله به كما هداها)[1].

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فإنّ فيه مخائل اليُمن، توسمت في سيمائه النجابة المؤذنة بكونه نفاعاً ﴿أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ فأنّه أهل لأن يكون ولداً للملوك ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أنّهم وجدوا المطلوب الذي يطلبونه.

﴿فَٰرِغًا﴾ من الهم حين سمعت بعطف فرعون عليه وتبنّيه له. وقيل: فارغاً: صفراً من العقل حين سمعت بوقوعه في يد فرعون[2]، ونحوه: ﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾[3] أي: لا عقول فيها. قال حسان:

أَلَا أَبْلِـغْ أَبَـا سُـفْيَانَ عَنِّـي   فَأَنْـتَ مُجَـوَّفٌ نِخْـبٌ هَـوَاءُ[4]

﴿إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ﴾ معناه: إنّها كادت تذكر موسى فتقول: يا ابناه، من شدّة الوجد ﴿لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾ بإلهام الصبر ﴿لِتَكُونَ مِنَ﴾ المصدّقين بوعد الله في ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾، وقيل: كادت تخبر أنّها أمه لما رأته عند

---

(١) تفسير الطبري ج٢٠: ٢٢.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الماوردي ج٤: ٢٣٨ بالمعنى.

(٣) إبراهيم: ٤٣.

(٤) ديوان حسان بن ثابت ج١: ١٨.

فرعون لشدّة سرورها به[١]. والهاء في ﴿بِهِۦ﴾ لموسى، والمراد بأمره وقصّته.

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ
بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ
كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ
حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ
حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ
وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ
فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾

﴿وَقَالَتْ﴾ أم موسى لأخت موسى: ﴿قُصِّيهِ﴾ أي: اتبعي أثره وتتبعي خبره.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ عن بعد. والمراد: فذهبت فوجدت آل فرعون أخرجوا التابوت وأخرجوا موسى، فرأت أخاها موسى وهم لا يحسون بأنّها أخته.

والتحريم: استعارة للمنع، لأنّ من حرّم عليه الشيء فقد منع ذلك، وذلك أنّ الله منع موسى أن يرضع ثدياً، فكان لا يقبل ثدي مرضع حتى أهمّهم ذلك، و﴿ٱلْمَرَاضِعَ﴾ جمع مرضع وهي التي ترضع، أو جمع مرضع وهو الرضاع أو موضع الرضاع يعني الثدي من قبل قصّها أثره. وروي أنّها لما قالت: ﴿وَهُمْ

(١) عن الكلبي. الكشف والبيان ج٧: ٢٣٨.

لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ قال هامان: إنّها لتعرفه وتعرف أهله، فقالت: إنّما أردت: وهم للملك ناصحون[١].

والنصح: إخلاص العمل من شائب الفساد. فانطلقت إلى أمها فجاءت بها، والصبيّ على يد فرعون يقبّله شفقة عليه، إذ ألقى الله محبّته في قلبه، وهو يبكي بطلب الرضاع، فحين وجد ريحها استأنس إليها والتقم ثديها، فقال لها فرعون: ومن أنت منه، [فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟][٢] قالت: إنّي امرأة طيبة اللبن، لا أوتى بصبيّ إلا قبلني، فدفعه إليها وأجرى عليها، وذهبت به إلى بيتها، وأنجز الله وعده في الردّ، فعند ذلك استقر عندها أنّه يكون نبيّاً، وذلك قوله: ﴿وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ والمراد: ليثبت علمها ويتمكّن ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنّه حقّ كما علمت.

﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ أي: اعتدل واستحكم وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه وهو أربعون سنة.

﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا﴾ وهو النبوّة ﴿وَعِلۡمٗا﴾ وهو التوراة.

﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ﴾ يعني: مصر، وقيل: مدينة منف من أرض مصر[٣].

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ﴾ يعني: ما بين العشاءين، وقيل: وقت القائلة[٤].

﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ ممن شايعه على دينه من بني إسرائيل.

﴿مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ من مخالفيه من القبط.

---

(١) تاريخ الطبري ج١: ٢٠١.

(٢) ساقطة من ب، ط.

(٣) عن السدي وغيره. معالم التنزيل ج٣: ١٢٨.

(٤) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج٢٠: ٢٩.

والوكز: الدفع بأطراف الأصابع، وقيل: بجمع الكف[١].

﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعني: إنّ العمل الذي وقع القتل بسببه من عمل الشيطان إذ حصل بوسوسته ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾ لبني آدم ﴿مُّضِلٌّ﴾ ظاهر الإضلال.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بهذا القتل لأنّ القوم لو علموا بذلك لقتلوني، وقيل: إنّما قاله على سبيل الانقطاع إلى الله، والاعتراف بالتقصير عن أداء حقوق نعمه[٢].

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ
فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ
لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ
عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ
إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ
﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ
يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ
مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ يجوز أن يكون قسماً جوابه محذوف، والتقدير: أقسم بإنعامك عليّ لأتحفظنّ ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾، وأن يكون معناه: بما أنعمت عليّ من القوة فلن أستعملها إلا في مظاهرة أوليائك المؤمنين، ولا أدع قبطياً يغلب أحداً من بني إسرائيل.

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ المكروه وهو أن يستقاد منه، أو ينتظر الأخبار في قتل القبطي

(١) تفسير الطبري ج٢٠: ٢٩.

(٢) تنزيه الأنبياء: ٨٧.

ويتجسس، لأنّه خاف من فرعون وقومه أن يكونوا عرفوا أنّه قتله، وقال للإسرائيلي: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ لأنّه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر.

﴿فَلَمَّآ﴾ أخذته الرقّة على الإسرائيلي و﴿أَرَادَ﴾ أن يدفع القبطي الذي هو عدوّ لموسى والإسرائيلي عنه و﴿يَبْطِشَ﴾ به، وقرئ: يَبْطُشَ ـ بالضم ـ.

والجبار: الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم، لا ينظر في العواقب، وقيل: هو المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله[1]. ولما قال للإسرائيلي هذا اشتهر أمر القتل في المدينة، وأُنهي إلى فرعون وهمّوا بقتله.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ قيل: هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون[2].

و﴿يَسْعَىٰ﴾ يجوز أن يكون في محلّ الرفع وصفاً لـ﴿رَجُلٌ﴾، ويجوز أن يكون منصوباً حالاً عنه، لأنّه قد تخصّص بوصفه الذي هو ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾، ويجوز أن يكون صلة لـ﴿جَآءَ﴾ فيكون ﴿يَسْعَىٰ﴾ صفة لـ﴿رَجُلٌ﴾ لا غير.

﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ يتشاورون بسببك، يقال: تآمر القوم وائتمروا، و﴿لَكَ﴾ ليس بصلة لـ﴿ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ بل هو بيان.

﴿فَخَرَجَ﴾ موسى من مصر.

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ التعرض له في الطريق، أو أن يلحق.

﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى﴾ من فرعون وقومه.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ
﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ١٣٧.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج٢٠: ٣٣.

وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا
نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا
ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ
﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ
لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ
قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾
قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى
ثَمَٰنِىَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ
أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ
ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّۖ وَٱللَّهُ
عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

﴿تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ صرف وجهه نحوها، وهي قرية شعيب، وعن ابن عباس: (خرج وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربّه)[١].

و﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ وسطه، وقيل: خرج خائفاً لا يعيش إلا بورق الشجر[٢].

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ الذي يسقون منه وكان بئراً، ووروده: مجيئه والوصول إليه ﴿وَجَدَ﴾ فوق شفيره ومستقاه.

﴿أُمَّةً﴾ جماعة كثيرة العدد من أناس مختلفين.

---

(١) تفسير الطبري ج٢٠: ٣٤.

(٢) عن سعيد بن جبير. تفسير الطبري ج٢٠: ٣٤.

﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي: مكان أسفل من مكانهم ﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِ﴾ عنهما، والذود: الطرد والدفع، كانتا تكرهان المزاحمة على الماء، وقيل: كانتا لا تتمكّنان من السقي، لأنّ على الماء من هو أقوى منهما[1].

﴿مَا خَطۡبُكُمَا﴾ ما شأنكما، وأصله: ما مخطوبكما أي: مطلوبكما من الذياد. وقرئ: يصدر الرعاء، أي: يصدروا مواشيهم من ورودهم، والرعاء: جمع الراعي كالصيام والقيام.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ فسقى غنمهما لأجلهما، وروي: أنّ الرعاء كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يقلّه إلا سبعة رجال، وقيل: عشرة، وقيل: أربعون، فأقلّه وحده، وسألهم دلواً فأعطوه دلوهم، وكان لا ينزعها إلا عشرة، فاستقى بها وحده مرة فروى غنمهما وأصدرهما[2]. وإنّما فعل ذلك رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف.

ولم يذكر مفعول ﴿يَسۡقُونَ﴾، و﴿تَذُودَانِ﴾، و﴿لَا نَسۡقِي﴾ لأنّ الغرض هو الفعل لا المفعول. والوجه في مطابقة جوابهما لسؤاله أنّه سألهما عن سبب ذودهما الغنم، فقالتا: سبب ذلك أنّهما ضعيفتان لم تقدرا على مزاحمة الرجال، ولابد لهما من تأخير السقي إلى أن يصدروا.

﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ ضعيف كبير السن لا يقدر على تولي السقي بنفسه، وكأنّما قالتا ذلك تعريضاً للطلب منه الإعانة على سقي غنمهما، وإبلاء للعذر في توليهما السقي بأنفسهما.

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى﴾ ظل سمرة من شدّة الحر وهو جائع فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ١٣٩.

(٢) الدر المنثور ج٥: ١٢٤.

﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾ أي: لأيّ شيء قليل أو كثير ﴿فَقِيرٌ﴾، وإنّما تعدّى ﴿فَقِيرٌ﴾ باللام لأنّه ضمّن معنى سائل وطالب. وروي أنّه قال ذلك وخضرة البقل ترى في بطنه من الهزال، وما سأل إلا خبزاً يأكله[1].

﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ في موضع الحال، أي: مستحيية خفرة، وذلك أنّهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان وقالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا وسقى لنا، قال لإحداهما: عليّ به، فرجعت فتبعها موسى، فألصقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته، فقال لها: إمش خلفي وأريني السمت بقولك، فلما قصّ عليه قصّته ﴿قَالَ لَا تَخَفْ﴾ فلا سلطان لفرعون بأرضنا. و﴿ٱلْقَصَصَ﴾ مصدر سمّي به المقصوص.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وهي كبراهما، وهي التي ذهبت به، وهي التي تزوجها. وروي أنّ شعيباً قال لها: وكيف علمت قوته وأمانته؟ فذكرت إقلال الحجر، ونزع الدلو، وأنّه صوّب رأسه حتى أبلغته رسالته، وأمرها بالمشي خلفه[2]. وفي قولها حكمة جامعة لأنّه إذا حصلت الأمانة والكفاية في القيام بالأمر فقد تم المراد.

﴿تَأْجُرَنِي﴾ من أجرته إذا كنت له أجيراً، و﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾ ظرف له.

﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ أي: فإتمامه من عندك، يعني: لا أوجبه عليك ولا ألزمكه، ولكنك إن فعلت فهو تبرع منك.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بإتمام الأجلين وإيجابه.

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ في حسن المعاملة ولين الجانب.

---

(١) تفسير الطبري ج٢٠: ٣٨.

(٢) تفسير الطبري ج٢٠: ٤٠.

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ و﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ﴾ خبره، أي: ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه، أيّ أجل ﴿قَضَيۡتُ﴾ من الأجلين: الثماني أو العشر، فلا يعتدى ﴿عَلَيَّ﴾ في طلب الزيادة عليه، و(ما) مؤكدة لإبهام (أي) زائدة في شياعها.

والوكيل: الذي وكل الأمر إليه، ولما استعمل بمعنى الشاهد والمهيمن عدّي بـ﴿عَلَىٰ﴾.

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ
نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا
بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩ فَلَمَّآ
أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ
ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠ وَأَنۡ
أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ
يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي
جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ
ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ
إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ
نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ٣٣ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي
لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ
إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ٣٥

قرئ: ﴿جَذۡوَةٖ﴾ بالحركات الثلاث، وفيها اللغات الثلاث، وهي العود الغليظ في رأسه نار.

و﴿مِن﴾ الأولى والثانية لابتداء الغاية، أي: أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة. و﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ بدل من ﴿شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ﴾ وهو بدل الاشتمال، لأنّ الشجرة قد نبتت على الشاطئ.

والرهب: الخوف، والجناح المراد به اليد، لأنّ يد الإنسان بمنزلة جناحي الطائر، وإذا أدخل الإنسان يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضمّ جناحه إليه، من الرهب أي: من أجل الرهب، يعني: إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك.

﴿فَذَٰنِكَ﴾ قرئ مخففاً ومشدداً، فالمخفف تثنية ذاك، والمشدد تثنية ذلك.

﴿بُرْهَٰنَانِ﴾ حجّتان بينتان، وسمّيت الحجّة برهاناً لبياضها ووضوحها، وقالوا: امرأة برهرهة أي: بيضاء، وأبره الرجل: جاء بالبرهان، وكذلك السلطان مشتق من السليط وهو الزيت لإنارته.

والردء: اسم ما يعان به، فعل بمعنى مفعول به، كالدفء لما يدفأ به، قال:

وَرِدْئِـي كُلُّ أَبْيَـضَ مَشْـرَفِيٍّ   شَـحِيذِ الحَـدِّ عَـذْبٍ ذِي فُلُـولِ[1]

وقرئ: رداً ـ على التخفيف ـ، وقرئ: ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ بالرفع والجزم صفة وجواباً كقوله: ﴿وَلِيًّا يَرِثُنِي﴾[2] سواء.

والمراد بالتصديق أن يخلص بلسانه الحقّ ويجادل به الكفار كما يفعله المصقع البليغ، فإنّه يجري مجرى التصديق، كما أنّ البرهان يصدّق القول، أو يبين كلامه حتى يصدّقه الذي يخاف تكذيبه، وأسند التصديق إليه لأنّه السبب فيه على سبيل

(١) البيت لسلامة بن جندل. شرح شواهد الكشاف: ٤٩٩ وفيه: عضب، ولا يوجد في ديوانه.

(٢) مريم: ٥، ٦.

الاستعارة، ويدلّ عليه قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

ومعنى ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ سنقويك به ونؤيدك بأن نقرنه إليك في النبوّة، لأنّ العضد قوام اليد، قال طرفة:

أَبَنِـي لُبَيْنَـى لَسْـتُمُ بِيَـدٍ ... إِلّا يَـداً لَيْسَـتْ لَهَـا عَضُـدُ[1]

﴿وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا﴾ أي: غلبة وتسلطاً، أو حجّة وبرهاناً.

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يتعلّق بـ﴿وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا﴾ أي: نسلطكما، أو تعلّق بـ﴿لَا يَصِلُونَ﴾ أي: تمتنعان منهم بآياتنا، أو هو بيان لـ﴿ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ لا صلة، لأنّ الصلة لا تتقدّم على الموصول، أو على تقدير: إذهبا بآياتنا.

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا
سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن
جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ
إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ
أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ
وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ
﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ
إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ
ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

---

(١) ديوان طرفة بن العبد: ٤١.

أي: ﴿سِحْرٌ﴾ ظاهر افتراؤه، وليس بمعجز من الله.

﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا﴾ حال عن هذا، أي: كائناً في زمان آبائنا، أي: لم نسمع بكون ما تدعيه فيهم.

﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ﴾ منكم بحال من يؤهله النبوّة ويبعثه بالهدى، يعني نفسه، ولو كان ـ كما تزعمون ـ كاذباً مفترياً لما أهّله لذلك، لأنّه غني حكيم لا يرسل الكاذبين والساحرين، و﴿لَا يُفۡلِحُ﴾ عنده ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

و﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ هي العاقبة المحمودة، يدلّ عليه قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾[١]. والدار هي الدنيا، وعقباها وعاقبتها أن يختم للعبد بالرضوان والرحمة. وقرئ: قال موسى ـ بغير واو ـ و﴿تَكُونُ﴾ بالتاء والياء.

﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ أي: فأجّج النار على الطين واتخذ الآجر فاجعل لي قصراً وبناء مرتفعاً عالياً ﴿لَّعَلِّيٓ﴾ أقف على حال ﴿إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ وأشرف عليه. وهذا تلبيس من فرعون وإيهام على العوام، إنّ الذي يدعو إليه موسى يجري مجراه في الحاجة إلى المكان، وقصد بنفي علمه بإله غيره نفي وجوده، يعني: مالكم من إله غيري، أو يريد أنّ إلهاً غيره غير معلوم عنده لكنّه مظنون. والطلوع والإطلاع: الصعود.

وكل مستكبر متكبّر سوى الله عزّوجل فاستكباره ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾، وهو جل جلاله المتكبّر على الحقيقة، أي: المبالغ في كبرياء الشأن. قال ـ فيما حكاه عن ربّه عزّ اسمه ـ: ((الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار))[٢]. وقرئ ﴿يُرۡجَعُونَ﴾ بالضم والفتح.

---

(١) الرعد: ٢٢، ٢٣.

(٢) مسند الشهاب ج٢: ٣٣٠، الكافي ج٢: ٣٠٩.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ من الكلام الدال على عظم شأنه وجلال كبريائه. شبّههم استحقاراً لهم - وإن كانوا الجم الغفير - بكف من تراب أخذها الإنسان بكفّه فطرحه في البحر.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: دعوناهم دعاة إلى النار، [وقلنا: إنّهم أئمّة دعاة إلى النار][1]، من قولك: جعله بخيلاً، أي: دعاه وقال: إنّه بخيل. ومعناه: إنّهم دعاة إلى موجبات النار من الكفر والمعاصي، ويجوز أن يكون المعنى: خذلناهم حتى كانوا أئمّة الكفر ومنعناهم ألطافنا، وإنّما يمنع الألطاف من علم أنّها لا تنفع فيه، وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر، فكأنّه قال: صمموا على الكفر حتى كانوا أئمّة فيه دعاة إليه، ولولا ذلك لما خذلناهم، و﴿هُم﴾ يوم القيامة مخذولون لا ينصرون.

﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: من المطرودين المبعدين.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ
ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾
وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا
كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا
كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن
رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ

---

(١) ساقطة من ج.

أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ
وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟
لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ
مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ
فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ
صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ
أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

انتصب ﴿بَصَآئِرَ﴾ على الحال، والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به، كما أنّ البصر نور العين الذي تبصر به، يعني: آتيناه الكتاب أنواراً للقلوب ﴿وَهُدًى﴾ وإرشاداً ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به.

و﴿ٱلْغَرْبِىِّ﴾: المكان الواقع في شق الغرب، وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور، والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله، أي: ﴿وَمَا كُنتَ﴾ حاضراً المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى ولا ﴿كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ للوحي إليه أو على الوحي إليه، حتى تقف بالمشاهدة على ما جرى من أمره.

﴿وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا﴾ بعد عهد الوحي إليه إلى عهدك ﴿قُرُونًا﴾ كثيرة ﴿فَتَطَاوَلَ﴾ على آخرهم، وهو القرن الذي أنت فيهم ﴿ٱلْعُمُرُ﴾ أي: أمد انقطاع الوحي واندرست العلوم فأرسلناك وأوحينا إليك قصص الأنبياء وقصّة موسى.

﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ أي: مقيماً ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وهم شعيب والمؤمنون به ﴿تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾ تعلّماً منهم، يريد الآيات التي فيها قصّة شعيب وقومه ﴿وَلَـٰكِنَّا﴾ أرسلناك وعلمناكها وأخبرناك بها.

﴿إِذۡ نَادَيۡنَا﴾ موسى، يريد ليلة المناجاة ﴿وَلَٰكِن﴾ علّمناك ﴿رَّحۡمَةً﴾.

﴿لِتُنذِرَ قَوۡمًا﴾ هم العرب ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ في زمان الفترة بينك وبين عيسى، وهو خمسمائة وخمسون سنة، ونحوه: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾[1].

﴿لَوۡلَآ﴾ الأولى امتناعية وجوابها محذوف، والثانية تحضيضية، وإحدى الفاءين للعطف، والأخرى جواب ﴿لَوۡلَآ﴾ لكونها في حكم الأمر من حيث أنّ الأمر يبعث على الفعل، والباعث والمحرّض من باب واحد. والمعنى: لولا أنّهم قائلون إذا عوقبوا بكفرهم: هلا ﴿أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا﴾ يحتجون علينا بذلك لما أرسلنا إليهم، يريد أنّ إرسال الرسول إنّما هو لإلزام الحجّة إيّاهم، ولئلا تكون لهم الحجّة كقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[2]، ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾[3]، ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[4].

ولما كانت أكثر الأعمال بالأيدي اتسع فيه حتى عبّر عن كل عمل بتقديم الأيدي، وإن كان من أعمال القلوب.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ وهو الرسول المصدّق بالمعجزات ﴿قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾ من فلق البحر وقلب العصا حيّة، أو الكتاب المنزل جملة واحدة، إلى غير ذلك من اقتراحاتهم المبنية على التعنت والعناد.

﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ﴾ يعني: أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم

---

(١) يس: ٦.

(٢) النساء: ١٦٥.

(٣) المائدة: ١٩.

(٤) طه: ١٣٤.

عنادهم، وهم الكفار في زمن موسى ﴿بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ قالوا في موسى وهارون ساحران تظاهرا أي: تعاونا، وقرئ: ﴿سِحْرَانِ﴾ أي: ذوا سحر، جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر، أو أرادوا نوعان من السحر و﴿إِنَّا بِكُلٍّ﴾ واحد منهما ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

و﴿مِن قَبْلُ﴾ يتعلّق بـ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟﴾، وإن تعلّق بـ﴿أُوتِيَ﴾ انقلب المعنى إلى: أنّ أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمّدﷺ وبالقرآن، فقد كفروا بموسى والتوراة فقالوا في موسى ومحمّد: ساحران تظاهرا، أو في الكتابين: سحران، وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمّد فأخبروهم أنّ نعته وصفته في كتابهم، فقالوا ذلك.

﴿هُوَ أَهْدَىٰ﴾ مما أنزل على موسى ومما أنزل عليّ.

أي: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟﴾ دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى ﴿فَٱعْلَمْ﴾ أنّهم قد ألزموا، ولم يبق لهم حجّة إلا اتباع الهوى.

ثمّ قال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ﴾ لا يتبع في دينه إلا ﴿هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ أي: لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم. وقوله: ﴿بِغَيْرِ هُدًى﴾ في موضع الحال، أي: مخذولاً.

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ

يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا
وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى
مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ
﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن
لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ
مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا
نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾

أي: آتيناهم القرآن متتابعاً متواصلاً، وعداً ووعيداً، وعبراً ومواعظ، إرادة أن يتذكروا فيفلحوا، فنزلناه عليهم نزولاً متصلاً بعضه في إثر بعض.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: من قبل محمّد ﷺ أو القرآن، وهم مؤمنو أهل الكتاب، وقيل: هم أربعون من أهل الإنجيل، جاؤوا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، وثمانية من الشام، منهم بحيرا[١].

﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ تعليل للإيمان به، لأنّ كونه حقّاً من الله يوجب أن يؤمن به.

و﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ بيان لقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ أخبروا أنّ إيمانهم به متقادم، والإسلام صفة كل موحّد مصدّق بالوحي.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرهم على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرآن، أو بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله، أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب، ونحوه: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ

---

(١) تفسير الماوردي ج٤: ٢٥٧.

رَحْمَتِهِ﴾[١].

﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ بالإيمان والطاعة المعاصي المتقدّمة أو بالحلم الأذى.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ متاركة وتوديع. وعن الحسن: (كلمة حلم من المؤمنين)[٢].

﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ لا نريد مخالطتهم، ولا نطلب مجالستهم ومصاحبتهم.

﴿لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا تقدر أن تدخل في الإيمان كل من أحببت أن تدخل فيه من قومك وغيرهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾ يدخل فيه ﴿مَن يَشَآءُ﴾ وهو من علم أنّ الألطاف تنفع فيه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ بالذين يهتدون باللطف. وكان النبيّ ﷺ حريصاً على إيمان قومه وإقرارهم بنبوّته، فأخبره سبحانه بأنّ ذلك ليس في مقدوره. وقالوا: إنّ الآية نزلت في أبي طالب، وقد ورد عن أئمّة الهدى عليهم السلام: أنّ أبا طالب مات مسلماً، وأجمعت الإمامية على ذلك، وأشعاره مشحونة بالإسلام وتصديق النبيّ ﷺ[٣].

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ﴾ أي: نستلب ﴿مِنْ أَرْضِنَآ﴾ قيل: إنّ القائل الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف[٤]، قال: إنّما نحن أكلة رأس، أي: قليلون، ونخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا، فردّ الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ والعرب حوله يتغاورون، وهم آمنون في حرمهم لا يخافون تجبى إليهم الثمرات من كل أرض، فإذا خوّلهم الله ما خوّلهم من الأمن والرزق وهم كفرة عبدة أصنام، فكيف يعرّضهم للتخطف ويسلبهم الأمن إذا آمنوا به ووحّدوه وصدّقوا رسوله؟!. وإسناد الأمن إلى أهل

---

(١) الحديد: ٢٨.

(٢) الكشاف ج٣: ٤٢٢.

(٣) ينظر: كتاب إيمان أبي طالب، شرح نهج البلاغة ج١٤: ٧١ ـ ٨١.

(٤) أسباب النزول: ٢٣٩.

الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز.

و﴿يُجۡبَىٰٓ﴾ من جبيت الماء في الحوض أي: جمعته، ومعنى الكلية الكثرة كما في قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾(١).

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ تعلّق بقوله: ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: قليل منهم يقرّون بأنّ ذلك رزق من عند الله وأكثرهم لا يعلمون ذلك، ولو علموا ذلك لما خافوا التخطف إذا آمنوا به، و﴿رِّزۡقٗا﴾ مفعول له أو مصدر، لأنّ معنى ﴿يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ويرزق ثمرات كل شيء واحد.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانت حالهم مثل حالهم في كفرانهم نعم الله تعالى ومقابلتها بالأشر حتى دمّرهم الله وأبادهم.

وانتصب قوله: ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ بحذف الجار وإيصال الفعل كما في قوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾(٢)، أو بالظرف بتقدير حذف الزمان المضاف أي: بطرت أيّام معيشتها، كخفوق النجم، أو بتضمين بطرت معنى غمطت وكفرت. والبطر: سوء احتمال الغنى، وهو أن لا يحفظ حقّ الله فيه.

﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ من السكنى لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوماً أو ساعة.

﴿وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ لتلك المساكن من ساكنيها تركناها على حال لا يسكنها أحد، أو كنا خربناها فسويناها بالأرض.

وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ
٥٩ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ

(١) النمل: ٢٣.

(٢) الأعراف: ١٥٥.

خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ
كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ
﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا
تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ
فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾
وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ
ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾

أي: ﴿وَمَا كَانَ﴾ من حكم ﴿رَبُّكَ﴾ أن يهلك ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ في الأرض ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ﴾ في أم القرى أي: مكة ﴿رَسُولًا﴾ وهو محمّد صلوات الله عليه وآله خاتم الأنبياء، أو ما كان مهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي أمّها أي: أصلها رسولاً لإلزام الحجّة عليهم. وهذا إخبار عن تنزهه عن الظلم حيث لا يهلكهم ـ مع كونهم ظالمين ـ إلا بعد تأكيد الحجّة عليهم ببعثة الرسل، مع علمه بأنّهم لا يؤمنون، ولم يجعل علمه بهم حجّة عليهم.

﴿وَمَا﴾ أُعطيتم من أسباب الدنيا فتمتع وزينة أيّاماً قلائل، وهي مدة الحياة المنقضية.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ لأنّ بقاءه سرمدي ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وقرئ بالتاء والياء.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾ هذا تقرير للآية التي قبلها، أي: أفبعد هذا التفاوت الظاهر يسوّى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة.

والوعد الحسن: الثواب لأنّه منافع دائمة مقارنة للتعظيم والإجلال.

﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ كقوله: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾(١).

﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ أي: من الذين أحضروا النار، ونحوه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾(٢). وقرئ: ثمّ هو ـ بسكون الهاء ـ، كما قيل: عضد في عضد تشبيهاً للمنفصل بالمتصل، وسكون الهاء في وهو، فهو، لهو، أحسن، لأنّ الحرف الواحد لا ينطق به وحده، فهو كالمتصل.

﴿شُرَكَائِيَ﴾ مبني على زعمهم، وهو تهكّم. ومفعولا (زعم) محذوفان هنا، والتقدير: [الذين كنتم تزعمونهم شركائي، وهذا جائز وإن لم يجز الاقتصار على أحد المفعولين](٣).

و﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الشياطين أو رؤساء الضلالة، ومعنى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: وجب عليهم مقتضى القول وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(٤).

﴿هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ و﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ صفته، وحذف العائد إلى الموصول، و﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ خبر المبتدأ، والكاف صفة مصدر محذوف، وتقديره: أغويناهم فغووا غياً مثل ما غوينا، يعنون أنّهم غووا باختيارهم كما غوينا نحن باختيارنا، لأنّ إغواءنا لهم كان وسوسة وتسويلاً لا قسراً وإلجاء.

﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر.

---

(١) الإنسان: ١١.

(٢) الصافات: ١٢٧.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) هود: ١١٩.

﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ إنّما يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم، وإخلاء الجملتين من حرف العطف إنّما هو لتقريرهما معنى الجملة الأولى.

﴿لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ﴾ لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب، ثمّ يبكّتون بالاحتجاج عليهم بإرسال الرسل، ويسألون سؤال تقرير الذنب.

﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾ فصارت الأنباء مشتبهة طرق جوابها عليهم فهم كالعمي تنسد عليهم طرق الأرض.

﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً كما يتساءل الناس في المشكلات، لأنّهم يتساوون جميعاً في عمى الأنباء عليهم وعجزهم عن الجواب، والمراد بالنبأ: الخبر عما أجاب به المرسل إليه رسوله.

فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ
ٱلۡمُفۡلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا
كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ
﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٦٩﴾
وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ
ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ
ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۖ
أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ
ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم
بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ
لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ

تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من المشركين، وجمع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿فَعَسَىٰٓ﴾ أن يفلح عند الله، و(عسى) من الكرام تحقيق.

و﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ من التخيّر، كالطيرة من التطيّر، يستعمل بمعنى المصدر وبمعنى المتخيّر، يقال: محمّد ﷺ خيرة الله من خلقه. وقوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ بيان لقوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾، فإنّ معناه: ويختار ﴿مَا يَشَآءُ﴾، ولهذا لم يدخل العاطف، والمعنى: إنّ الخيرة لله في أفعاله، وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها، وليس لأحد من خلقه الاختيار، إذ لا طريق له إلى العلم بجميع أحوال المختار. وقيل: معناه: ويختار الذي لهم فيه الخيرة[1]، فحذف فيه كما حذف منه في قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[2]، أن يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم.

والحمد في ﴿ٱلْأٓخِرَةِ﴾ قولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾[3]، والتحميد هناك على وجه اللذّة لا الكلفة.

﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ معناه: أخبروني من يقدر على هذا؟.

والسرمد: الدائم المتصل، من السرد، والميم مزيدة، والمراد بالضياء: ضوء

(١) تفسير الطبري ج٢٠: ٦٤.

(٢) الشورى: ٤٣.

(٣) الزمر: ٧٤.

الشمس، وقرن به ﴿أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾ لأنّ السمع يدرك مالا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده. وقرن بالليل ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ لأنّ غيرك يبصر ما تبصره من منفعة الظلام.

﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ زاوج بين الليل والنهار ﴿لِتَسۡكُنُواْ﴾ في أحدهما ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن﴾ فضل الله في الآخر، ولإرادة شكركم، وقد سلكت فيه طريقة اللف.

وكرر سبحانه التوبيخ باتخاذ الشركاء إيذاناً بأنّ الشرك أجلب الأشياء لغضب الله، كما أنّ التوحيد أجمع لمرضاته.

﴿وَنَزَعۡنَا﴾ أي: وأخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا﴾ وهو نبيّهم، يشهد على تلك الأمة بما كان منها، وقيل: هم عدول الآخرة الذين لا يخلو زمان من واحد منهم.

﴿فَقُلۡنَا﴾ للأمة: ﴿هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ فيما ذهبتم إليه وكنتم عليه.

﴿فَعَلِمُوٓاْ﴾ حينئذ ﴿أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ﴾ ولرسوله ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ﴾ يفترونه من الأباطيل.

إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ
مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا
تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ
ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ
عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ
أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ

لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا
يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ
لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾
وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا
وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

﴿قَـٰرُونَ﴾ اسم أعجمي كان من بني إسرائيل، وهو ابن خالة موسى، وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة، ولما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرئاسة لهارون فقرّب القربان وجد قارون في نفسه.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ من البغي الذي هو الكبر والبذخ.

والمفاتح: جمع المفتح، وهو ما يفتح به، وقيل: هي الخزائن[1]، واحدها مفتح. وناء به الحمل: إذا أثقله حتى أماله، والعصبة: الجماعة الكثيرة.

و﴿إِذْ﴾ نصب بـ﴿تَنُوٓءُ﴾، ﴿تَفْرَحْ﴾ أي: لا تأشر ولا تتكبر بسبب كنوزك.

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من الغنى ﴿ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ بأن تفعل فيه أفعال الخير تزوّد بها إلى الآخرة.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾ وهو أن تأخذ منها ما يكفيك.

﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾. وقيل: إنّ المخاطِب بذلك

---

(١) عن أبي صالح. تفسير الطبري ج٢٠: ٦٨.

موسى عليه السلام[(١)].

﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ على استحقاق واستيجاب لما في من العلم الذي فضّلت به الناس، وذلك أنّه كان أعلم بني إسرائيل بالتوراة، وقيل: هو علم الكيمياء[(٢)]، وقيل: علّم الله تعالى موسى عليه السلام علم الكيمياء فعلّمه موسى أخته فعلّمته أخته قارون[(٣)].

وقال: ﴿عِندِيٓ﴾ معناه: في ظني كما يقول: الأمر عندي كذا، أي: هو في ظني ورأيي هكذا.

﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ في جملة ما عنده من العلم وقرأه في التوراة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ من هو أقوى منه فلا يغتر بكثرة ماله وقوته، ويجوز أن يكون نفياً لعلمه بذلك.

﴿وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗا﴾ للمال، أو أكثر جماعة وعدداً.

﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ بل يدخلون النار بغير حساب.

﴿فِي زِينَتِهِۦ﴾ التي كان يتزيّن بها وحشمه وخيله. والحظ والجد: البخت والدولة.

ويلك: أصله الدعاء بالهلاك، ثمّ استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك مالا يرتضى.

والضمير في ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ للكلمة التي تكلّم بها العلماء، أو للثواب لأنّه في معنى المثوبة.

---

(١) معاني القرآن للفراء ج٢: ٣٠٦.

(٢) عن ابن المسيب. الكشف والبيان ج٧: ٢٦٢.

(٣) الكشف والبيان ج٧: ٢٦٢.

﴿مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ من المنتقمين من موسى، أو من الممتنعين من عذاب الله، يقال: نصره من عدوه فانتصر، أي: منعه منه فامتنع.

أراد ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ الوقت القريب على طريق الاستعارة، والمكان: المنزلة.

(وي) مفصولة من (كأن) وهي كلمة تنبّه على الخطأ وتندّم، والمعنى: إنّ القوم تنبّهوا على خطئهم في تمنّيهم منزلة قارون وتندّموا، ثمّ قالوا: كأنّ الله، أي: ما أشبه الحال بأنّ ﴿ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ لا لكرامة ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يضيق على من يشاء لا لهوان، لكن بحسب المصلحة. ما أشبه الحال بأنّ الكافرين لا ينالون الفلاح.

وعند الكوفيين أنّ (ويك) بمعنى (ويلك)، وأنّ المعنى: ألم تعلم أنّه لا يفلح الكافرون، ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب قد ضمت إلى (وي)، كقوله:

وَيْـكَ عَنْـتَرُ أَقْـدِمِ(١)

و(أنّه) بمعنى (لأنّه)، واللام لبيان الذي قيل لأجله هذا القول، أو لأنّه يفلح الكافرون كان ذلك، وهو الخسف بقارون، وقرئ: لخسف بنا، وفيه ضمير لله.

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ

---

(١) شرح ديوان عنترة: ١٨٤، وصدره: ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس....

تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿تِلۡكَ﴾ تعظيم للدار وتفخيم لها، أي: تلك التي بلغك صفتها.

علّق الوعد بترك إرادة العلو والفساد، ولم يقل: لا يعلون ولا يفسدون، كما علّق الوعيد بالركون في قوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[1]. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ((الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها))[2]. وعن الفضيل أنّه قرأها ثمّ قال: (ذهبت الأماني هاهنا)[3].

﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ الحميدة للذين اتقوا معاصي الله.

المعنى: فلا يجزون، فوضع الظاهر موضع الضمير، لأنّ في إسناد السيئات إليهم مكرراً زيادة تهجين لهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي: أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ليثيبك عليه ثواباً لا يحاط بكنهه،

و﴿لَرَآدُّكَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ مَعَادٖ﴾ أيّ معاد، وإلى معاد ليس لغيرك من الخلق، ونكّر المعاد لذلك، وقيل: أراد بالمعاد مكة فردّه إليها يوم الفتح[4]، ووجه

---

(١) هود: ١١٣.

(٢) تفسير الطبري ج٢٠: ٧٩.

(٣) الكشاف ج٣: ٤٣٥.

(٤) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٢٠: ٨٠.

تنكيره أن كان معاداً له ذكر عال وشأن جليل، ظهر عزّ الإسلام وأهله به، وقيل: نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق إلى مكة[١].

ولما وعده الرد إلى معاد قال: ﴿قُل﴾ للمشركين: ﴿رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ يعني: نفسه وما يستحقّه من الثواب في معاده.

﴿وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ يعنيهم وما يستحقّونه من العقاب في معادهم.

﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ بمعنى (لكن) للاستدراك، أي: ولكن لرحمة من ربّك ألقي إليك، وقيل: هو محمول على المعنى، والتقدير: وما ألقي إليك الكتاب إلا رحمة[٢].

﴿بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَ﴾ أي: بعد وقت إنزاله إليك.

وقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ وما بعده من باب التهييج الذي سبق ذكره[٣]. وعن ابن عباس: (إنّ أكثر القرآن: إيّاك أعني فاسمعي يا جارة).

﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ﴾ أي: فانٍ بائد ﴿إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ إلا ذاته.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ج٢: ٥٠٨.

(٢) معاني القرآن للفراء ج٢: ٣١٣.

(٣) ينظر: تفسير آل عمران: ٦٠، الأنعام: ١١٤.

سورة العنكبوت

مكية وقيل: مدنية، وهي تسع وستون آية ﴿الم﴾ كوفي، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ بصري.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة العنكبوت) كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المؤمنين والمنافقين))[1]. وروى أبو بصير عن الصادق عليه السلام قال: ((من قرأ (سورتي العنكبوت والروم) في شهر رمضان في ليلة ثلاث وعشرين فهو والله - يا أبا محمّد - من أهل الجنّة، لا أستثني فيه أبداً، ولا أخاف أن يكتب الله عليّ في يميني إثماً، وإنّ لهاتين السورتين من الله مكاناً))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ
﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ

---

(١) الكشف والبيان ج٧: ٢٦٩.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٩.

عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٧

الحسبان إنّما يتعلّق بمضامين الجمل، وتقدير الكلام هنا: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟﴾ غير مفتونين لأن ﴿يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾، وكان التقدير قبل المجيء بالحسبان: تركهم غير مفتونين لقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ على الابتداء والخبر، وغير مفتونين من تتمة الترك، لأنّه من الترك الذي هو بمعنى التصيير، كما في قول عنترة:

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ ... يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالمِعْصَمِ[1]

وهذا كما تقول: خروجه لمخافة الشرّ، فصحّ أن يقع خبر مبتدأ وإن كان علة، وتقول: حسبت خروجه لمخافة الشرّ، فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدءاً وخبراً.

﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي: لا يمتحنون بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء، ولا يصابون بمصائب الدنيا ومحنها، بل يبتليهم الله بضروب المكاره حتى يبلو صبرهم وصحّة ضمائرهم، وليميز المخلص من غير المخلص، والراسخ في الدين من المضطرب فيه.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: أتباع الأنبياء قبلهم فقد أصابهم من الفتن بالفرائض التي افترضت عليهم أو بالشدائد والمحن. وجاء في الحديث: ((قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه))[2].

---

(١) شرح ديوان عنترة: ١٧٤، وفيه: ما بين قلة رأسه والمعصم.

(٢) سنن البيهقي الكبرى ج٩: ٥.

و﴿لَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ بالامتحان ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في الإيمان ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ فيه، ولم يزل عزّ وعلا عالماً بذلك، ولكنّه لا يعلمه موجوداً إلا إذا وجد، والمعنى: وليميزن الصادق من الكاذب، ورووا عن عليّ عليه السلام: فليعلمن، وليُعلمن ـ من الإعلام ـ أي: وليعرفنهم الله الناس من هم، أو ليسمنهم بسمة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها. وروي: ((إنّ العباس جاء إلى عليّ عليه السلام فقال له: إمش حتى يبايع لك الناس، فقال: أتراهم فاعلين؟ قال: نعم، قال: فأين قول الله عزّوجل: ﴿الم أَحسِبَ النَّاسُ... الآيات﴾))[1].

﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ أي: يفوتونا، يعني: إنّ الجزاء يلحقهم، مثل قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[2].

و﴿أَمْ﴾ منقطعة، ومعنى الإضراب فيها: إنّ هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأوّل، لأنّ ذلك يقدّر أنّه لا يمتحن لإيمانه، وهذا يظن أنّه لا يجازى بكفره وعصيانه.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا، أو بئس حكماً يحكمونه حكمهم هذا، فحذف المخصوص بالذم.

﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ مثل للوصول إلى العاقبة من لقاء الجزاء والبعث والحساب، مثّلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيّده بعد عهد بعيد وقد اطلع سيّده على أحواله، فتلقّاه ببشر وترحيب أو تقطيب لما رضي أو سخط من أفعاله، فالمعنى: من كان يرجو تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ وهو الموت ﴿لَأٓتٍ﴾ لا محالة، فليبادر بالعمل الصالح الذي يحقّق رجاءه ويقرّبه

---

(١) تفسير القمي ج٢: ١٤٨.

(٢) الزمر: ٥١.

إلى الله، وقيل: يرجو: يخاف(١).

﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ أعداء الدين لإحيائه، وجاهد نفسه [التي هي أعدى أعدائه ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ﴾ لأجل نفسه](٢)، فإنّ المنفعة عائدة إليها، فـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ولا يحتاج إلى طاعتهم، وإنّما يأمرهم وينهاهم لمنفعتهم.

﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ التي اقترفوها قبل ذلك، ولنبطلنها حتى يصير كأنّهم لم يعملوها ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ بحسناتهم التي كانوا يعملونها.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ
عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ
وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ
بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ
لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

أي: أمرنا الإنسان بأن يفعل ﴿بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [أو بإيلاء والديه حسناً](٣)، أي: فعلاً ذا حسن، يقال: وصّيته بأن يفعل شيئاً وأمرته به، بمعنى.

---

(١) عن سعيد بن جبير. الدر المنثور ج٥: ١٤١.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) ساقطة من ج.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ أبواك ﴿لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ مالا علم لك بإلهيته وحملاك عليه ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَآ﴾ في الشرك، والمراد بنفي العلم نفي المعلوم، كأنّه قال: لتشرك بي شيئاً لا يصحّ أن يكون إلهاً. نبّه بذلك سبحانه على أنّ كل حقّ ـ وإن عظم ـ ساقط إذا جاء حقّ الله، فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ثمّ قال: ﴿إِلَيَّ﴾ مرجع المؤمن والمشرك منكم فأجازيكم بحسب استحقاقكم.

﴿فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: في جملتهم وزمرتهم في الجنّة.

﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ أي: يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم أذى من الكفار ﴿فِي ٱللَّهِ﴾ أي: في ذات الله وبسبب دين الله، رجع عن الدين، وهو المراد بفتنة الناس، يعني: يصرفهم ما مسّهم من أذاهم عن الإيمان كما أنّ عذاب الله يصرف المؤمنين عن الكفر.

وإذا ﴿جَآءَ نَصۡرٞ﴾ من الله للمؤمنين ودولة لهم على الكافرين قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡ﴾ أي: متابعين لكم في دينكم فأعطونا نصيبنا من الغنيمة.

ثمّ أخبر سبحانه بأنّه أعلم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ومن ذلك ما تخفيه صدور هؤلاء من النفاق. ثمّ وعد المؤمنين وأوعد المنافقين.

أمر الكفار أهل الإيمان باتباع سبيلهم وطريقتهم التي كانوا عليها، وأمروا نفوسهم بحمل خطاياهم، فعطف الأمر على الأمر، وأرادوا ليجتمع هذان الأمران في الحصول: أن تتبعوا سبيلنا، وأن نحمل خطاياكم، والمعنى: تعليق الحمل بالاتباع، والمراد ما كان من قريش تقوله لمن آمن منهم: لا بعث ولا نشور، ولو كان ذلك فإنا نتحمل آثامكم.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ﴾ أثقال أنفسهم ﴿وَأَثْقَالًا﴾ أُخر ﴿مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وهي أثقال الذين كانوا سبباً في آثامهم.

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ﴾ سؤال تقريع وتعنيف ﴿عَمَّا كَانُوا۟﴾ يختلقونه من الأباطيل.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ
عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ
ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ
ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ
ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ
إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾

﴿ٱلطُّوفَانُ﴾ ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة.

والضمير في ﴿وَجَعَلْنَـٰهَآ﴾ للسفينة أو للقصّة.

و﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ عطف على (نوح).

و﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف لـ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أي: أرسلناه حين بلغ السنّ التي صلح فيها لأن يعظ قومه ويعرض عليهم الإيمان، ويأمرهم بالعبادة والتقوى.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شرّ لكم، وإن نظرتم بعين البصيرة علمتم أنّه ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

أي: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًا﴾ بتسميتكم الأوثان شركاء لله وآلهة أو شفعاء عند الله، وقيل: معناه: وتصنعون أصناماً بأيديكم سمّاها إفكاً، ونحتهم لها خلقاً للإفك[١].

﴿لَا يَمۡلِكُونَ﴾ أن يرزقوكم شيئاً من الرزق فاطلبوا ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ كله، فإنّه هو الرزاق وحده.

﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ فاستعدوا للقائه بعبادته ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ على نعمه.

﴿وَإِن﴾ تكذّبوني فلا تضرّوني بتكذيبكم، فقد كذّبت الأمم رسلهم ولم يضرّوهم بالتكذيب بل ضرّوا أنفسهم، إذ حلّ بهم ما حلّ بسبب ذلك.

و﴿ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ الذي يزول معه الشك لاقترانه بالمعجزات.

وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ يحتمل أن تكون من جملة قول إبراهيم لقومه، وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله ﷺ وشأن قريش بين أوّل قصّة إبراهيم وآخرها، على معنى: إنّكم يا معشر قريش إن تكذّبوا محمّداً فقد كذّب إبراهيم قومه، وكذّبت كل أمّة نبيّها. وكذلك الآيات التابعة لها لأنّها ناطقة بدلائل التوحيد ووصف قدرة الله وإيضاح حججه.

وقرئ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ بالتاء والياء.

وقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ إخبار بالإعادة بعد الموت غير معطوف على ﴿يُبۡدِئُ﴾، ولم تقع الرؤية عليه كما وقع النظر بعده على البدء دون الإنشاء في قوله: ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾.

---

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج٢٠: ٨٨.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى معنى الإعادة في ﴿يُعِيدُهُۥٓ﴾.

قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ
ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن
يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ
فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا
نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ
يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلنَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم
بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾

﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يدلّ على أنهما نشأتان، كل واحدة منهما ابتداء وإخراج من العدم إلى الوجود، لا فرق بينهما إلا أنّ الثانية إنشاء بعد إنشاء مثله، والأولى ليست كذلك. وقرئ: النشآة والنشأة كالرآفة والرأفة. والمعنى: ثمّ الله الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة، وللتنبيه على هذا المعنى أظهر اسمه ولم يقل: ثمّ ينشئ.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ﴾ تردّون وترجعون.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ربّكم، أي: لا تفوتونه إن هربتم من حكمه ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ العريضة البسيطة ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ التي هي أفسح منها لو كنتم فيها،

أو لا تعجزون أمره الجاري في السماء والأرض أن يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر في الأرض أو ينزل من السماء. وعن قتادة: (إنّ الله ذمّ قوماً هانوا عليه فقال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾ وقال: ﴿لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[1] فينبغي للمؤمن أن لا ييأس من روح الله ولا من رحمته ولا يأمن عقابه، وصفة المؤمن أن يكون راجياً لله خائفاً)[2].

﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ قرئت منصوبة بغير إضافة وبإضافة، ومرفوعة كذلك. والنصب [على وجهين: على التعليل، أي: لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاتفاقكم على عبادتها كما يتفق الناس][3] على مذهب واحد فيكون ذلك سبب توادّهم، وعلى أن يكون مفعولاً ثانياً، أي: اتخذتم الأوثان سبب المودّة بينكم، على تقدير حذف المضاف، أو اتخذتموها مودّة يعني: مودودة بينكم كقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾[4]. والرفع على وجهين أيضاً: أن يكون خبراً لـ(إنّ) على أن تكون (ما) موصولة، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف، والمعنى: إنّ الأوثان مودّة بينكم، أي: سبب مودّة أو مودودة، يعني: إنّما تتوادون عليها أو تودّونها ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ تتباغضون وتتلاعنون، تتبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ﴾ الأتباع القادة.

فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ
وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ

---

(١) يوسف: ٨٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ١٦٥.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) البقرة: ١٦٥.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ ﴿٢٧﴾

﴿لُوطٌ﴾ أوّل من صدّق بإبراهيم، وهو ابن أخته.

﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ﴾ من كوثى - وهو سواد الكوفة - إلى حران من أرض الشام، ثمّ منها إلى فلسطين، وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر [وهو ابن خمس وسبعين سنة](١).

﴿إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ إلى حيث أمرني ربّي بالهجرة إليه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي يمنعني من أعدائي ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يأمرني إلا بما فيه مصلحتي.

و﴿أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ هو الذكر الحسن، والصلاة عليه إلى آخر الدهر، والذريّة الطيّبة، وأنّ أهل الملل كلهم يتولونه.

﴿وَلُوطًا﴾ عطف على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ أو على ما عطف عليه.

و﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ مفسّرة بقوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾. وقرئ: إنّكم بغير الاستفهام في الأوّل دون الثاني.

وقطع ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ عمل قطاع الطريق من قتل الأنفس وأخذ الأموال،

---

(١) زيادة من الكشاف يقتضيها السياق.

وقيل: هو قطعهم الناس عن الأسفار بإتيان هذه الفاحشة بالمجتازين في ديارهم[١]، وعن الحسن: (هو قطع النسل باختيار الرجال على النساء)[٢].

و﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ هو الحذف بالحصا، فأيّهم أصابه ينكحونه، والصفع، وضرب المعازف، والقمار، والسباب، والفحش في المزاح، وقيل: كانوا يتحابقون[٣]، وقيل: المجاهرة في ناديهم بذلك العمل[٤]. وكل معصية فإظهارها أقبح من سرّها، وفي الحديث: ((من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له))[٥]. والنادي: مجتمع القوم، فإذا تفرّقوا عنه لا يكون نادياً.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما وعدتنا من نزول العذاب.

﴿ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ الذين يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من الفاحشة طوعاً وكرهاً، وبابتدائهم إيّاها، وبأن سنّوها لمن بعدهم.

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ
هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ
فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا
ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا
لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْۖ
إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾

---

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج٢٠: ٩٣.

(٢) الكشاف ج٣: ٤٥٢ بالمعنى.

(٣) عن عائشة. تفسير الطبري ج٢٠: ٩٣.

(٤) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج٢٠: ٩٣.

(٥) تحف العقول: ٤٥، سنن البيهقي الكبرى ج١٠: ٢١٠.

إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

﴿مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ إضافة تخفيف لا إضافة تعريف، ومعناه الاستقبال، و﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾ هي سدوم التي قيل فيها: (أجور من قاضي سدوم)[١].

﴿كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ استمر بهم فعل الظلم في الأيّام السالفة وأصّروا عليه.

وقرئ: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ و﴿مُنَجُّوكَ﴾ بالتشديد والتخفيف.

ضاق ﴿بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي: ضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي: طاقته، جعلوا ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة، كما قالوا: رحب الذراع، إذا كان مطيقاً.

والرجز والرجس: العذاب، من قولهم: ارتجز وارتجس: إذا اضطرب لما يلحق المعذّب من القلق والاضطراب. والآية البيّنة: آثار منازلهم المتخربة، وقيل: الماء الأسود على وجه الأرض[٢].

---

(١) مجمع الأمثال ج١: ٣٣٩.

(٢) عن مجاهد. الكشف والبيان ج٧: ٢٧٨.

﴿لِّقَوْمٍ﴾ يتعلّق بـ﴿تَّرَكْنَا﴾ أو بـ﴿بَيِّنَةً﴾.

﴿وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ افعلوا ما ترجون منه العاقبة، فأقيم المسبب مقام السبب، أي: وارجوا ثواب اليوم الآخر بفعل الإيمان والطاعات، وقيل: هو من الرجاء بمعنى الخوف[١].

﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، وقيل: هي صيحة جبرائيل[٢]، لأنّ القلوب رجفت لها.

﴿فِي دَارِهِمْ﴾ في بلدهم وأرضهم، واكتفي بالواحد والمراد في ديارهم لأنّه لا يلتبس.

﴿جَٰثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

وأهلكنا ﴿عَادًا وَثَمُودَاْ﴾ ويدلّ عليه قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ لأنّه في معنى الإهلاك.

﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ يعني: ما وصفه من إهلاكهم ﴿مِّن﴾ جهة ﴿مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ إذا نظرتم إليها عند مروركم بها.

﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ عقلاء متمكّنين من النظر ولم يفعلوا، أو كانوا متبيّنين أنّ العذاب نازل بهم.

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا
بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ

---

(١) عن يوسف النحوي. الكشف والبيان ج٧: ٢٧٩.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج٢: ٥١٩.

ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾

﴿وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ أي: فائتين الله، أدركهم أمر الله فلم يفوتوه.

الحاصب لقوم لوط، وهي ريح عاصف فيها حصباء، وقيل: ملك كان يرميهم.

و﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾ لمدين وثمود، والخسف لقارون، والغرق لقوم نوح وفرعون.

شبّه سبحانه ما اتخذوه متكلاً في دينهم ومعوّلاً عليه بما هو مثل في الضعف والوهن، وهو نسج العنكبوت.

والولي: المتولي للنصرة، وهو أبلغ من الناصر.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أنّ هذا مثلهم، وأنّ أمر دينهم بلغ هذه الغاية في الضعف، أو إذا صحّ هذا التشبيه فقد تبيّن أنّ دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون.

وقرئ: ﴿يَدۡعُونَ﴾ بالتاء والياء، وهذا أوكد مما تقدّم إذ لم يجعل ما يدعونه شيئاً.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء، وتركوا عبادة القادر الحكيم.

﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ أي: لا يعقل صحّة ضرب المثل بالعنكبوت والذباب وفائدته إلا العلماء بالله، فإنّ الأمثال والتشبيهات هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار، تكشف عنها وتصوّرها للأفهام، كما صوّر هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد. وروي عن النبيّ ﷺ أنّه تلا هذه الآية فقال: ((العالم الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه))[١].

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالغرض الصحيح الذي هو حقّ، وهو أن تكونوا مساكن عباده، وعبرة للمعتبرين، ودلالة للموحدين على وحدانيته وكمال قدرته.

ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ
ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ
أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ
ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ
ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ
وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ
فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ
وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن

---

(١) الكشف والبيان ج٧: ٢٨٠.

قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ
﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا
يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾

الصلاة لطف للمكلف في ترك المعاصي، فكأنّها ناهية عنها. وعن النبيّ ﷺ: ((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعداً))[١].

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسمّاها بذكر الله كما قال: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾[٢] فكأنّه قال: الصلاة أكبر لأنّها ذكر الله. وعن ابن عباس: (ولذكر الله إيّاكم برحمته أكبر من ذكركم إيّاه بطاعته)[٣].

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ من الخير والطاعة فيثيبكم عليه.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟﴾ اليهود والنصارى ﴿إِلَّا﴾ بالخصلة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ وهي مقابلة الخشونة باللين كقوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٤]، وفي هذا دلالة على أنّ الدعاء إلى الله تعالى يجب أن يكون على أحسن الوجوه وألطفها.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ فأفرطوا في الاعتداء والعناد، ولم ينجع فيهم الرفق واللطف.

﴿وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ هو من جملة المجادلة التي هي أحسن.

---

(١) مسند الشهاب ج١: ٣٠٥.

(٢) الجمعة: ٩.

(٣) الدر المنثور ج٥: ١٤٦.

(٤) فصلت: ٣٤.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الإنزال ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: أنزلناه مصدّقاً لسائر الكتب السماوية.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هم عبد الله بن سلام وأضرابه.

﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: ومن أهل مكة. وقيل: أراد بالذين آتيناهم الكتاب من تقدّم عهد رسول الله ﷺ منهم ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من في عهده منهم[1].

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ مع ظهورها ﴿إِلَّا﴾ المصممون على الكفر.

وما كنت تقرأ من قبل القرآن كتاباً، وكنت أمياً لم تعرف بخط قط، إذ لو كان شيء من ذلك أي: من التلاوة والخط ﴿لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ من أهل الكتاب وقالوا: الذي نجده في كتبنا: أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس هو به، أو لارتاب مشركو مكة وقالوا: لعله تعلّمه أو خطّه بيده.

بل القرآن ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهم النبيّ ﷺ والأئمّة والعلماء الذين حفظوه ووعوه، ورسخ معناه في قلوبهم. وهذان من خصائص القرآن: كون آياته بيّنات الإعجاز، وكونه محفوظاً في الصدور يتلوه حملته ظاهراً، بخلاف سائر الكتب الإلهية فإنّها لم تكن معجزات، وما كانت تقرأ إلا من المصاحف.

﴿وَمَا يَجْحَدُ﴾ بالآيات الواضحات ﴿إِلَّا﴾ المكابرون المتوغلون في الظلم.

وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ

(١) تفسير الطبري ج٢١: ٤.

لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ
يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ
وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ
بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ
لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ
بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ
أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٥﴾

وقرئ: ﴿ءَايَتٌ﴾ أي: هلا أنزل عليه مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك.

﴿إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ينزل أيتها شاء، ولو شاء أن ينزل ما يقترحونه لأنزله.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠﴾ منذر أنذر بما أُعطيت من الآيات، وليس لي اختيار الآيات على الله عزّ اسمه، مع علمي بأنّ الغرض من الآية ثبوت الدلالة، والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك.

﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا﴾ القرآن عليك وهو المعجزة الواضحة، والآية المغنية عن سائر الآيات، تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان، فلا يزال معهم آية ثابتة إلى آخر الدهر.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ لنعمة عظيمة وتذكرة ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗا﴾ لي بأن قد أبلغت الرسالة، وعليكم بأن كذّبتم وعاندتم.

﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وهو مطّلع على أمري وأمركم، وعالم بحقّي وباطلكم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ منكم وهو ما يعبدون من دون الله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

استعجالهم العذاب: استهزاء منهم وتكذيب، ومنه قول النضر بن الحارث: ﴿أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[١].

﴿وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ قد سمّاه الله، ووقت قدّره الله أوجبت الحكمة تأخيره إلى ذلك الوقت ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ وهو وقت فنائهم بآجالهم، وقيل: المراد بالأجل: الآخرة[٢]، لأنّ الله سبحانه وعد رسوله عليه السلام أن لا يعذّب أمّته ولا يستأصلهم، وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ﴾ بهم لأنّها مصيرهم لا محالة، فكأنّها أحاطت بهم، أو ستحيط بهم.

﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ وعلى الأوّل ينتصب ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ﴾ بمضمر.

و﴿مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِم﴾ كقوله: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾[٣]، ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾[٤].

وقرئ: ﴿وَيَقُولُ﴾ بالياء والنون، أي: ذوقوا جزاء أعمالكم.

---

(١) ينظر: تفسير الآية ٣٢ من سورة الأنفال.

(٢) عن ابن عباس. معالم التنزيل ج٣: ١٤٤.

(٣) الأعراف: ٤١.

(٤) الزمر: ١٦.

يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾
كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ
وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا
ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم
مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ
ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ
وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾

معناه: إذا لم يتسهّل لكم العبادة، ولم تتمش أمور دينكم في بلد أنتم فيه فاخرجوا منه إلى بلد آخر. وعن الصادق عليه السلام: ((إذا عصي الله في أرض أنت بها فاخرج منها إلى غيرها))[(١)]. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ((من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنّة، وكان رفيق إبراهيم ومحمّد عليهما السلام))[(٢)].

﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ هو في المتكلّم مثل: إيّاه ضربته في الغائب، وإياك ضربتك في المخاطب، والتقدير: فإياي فاعبدوني. والفاء جواب شرط محذوف، لأنّ المعنى: إنّ أرضي واسعة فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها، ثمّ حذف الشرط وعوّض عن حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص.

ولما أمر عباده بالحرص على العبادة والإخلاص فيها حتى يطلبوا لها أوفق

(١) مجمع البيان ج٧-٨: ٢٩١.

(٢) الكشف والبيان ج٧: ٢٨٨.

البلاد، عقّبه بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: واجد مرارته بأي أرض كان.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ [لننزلنهم ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ أي: علالي عاليات، وقرئ: لنثوينهم][1] من الثواء، يقال: ثوى في المنزل وأثوى غيره، والوجه في تعديته إلى الغرف أن يكون الأصل: لنثوينهم في غرف، فحذف الجار، أو أجري مجرى لننزلنهم، أو شبه الظرف الموقّت بالمبهم.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على مفارقة الأوطان لأجل الدين، وعلى المحن والشدائد، وعلى الطاعات، وعن المعاصي، ولم يتوكلوا إلا على ربّهم.

ولما أمروا بالهجرة من مكة خافوا الفقر والضيعة فقالوا: كيف نخرج إلى بلدة ليس لنا فيها معيشة؟ فقيل: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ﴾ والدابة: كل نفس دبت على وجه الأرض، عقلت أو لم تعقل.

﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لا تستطيع أن تحمله لضعفها.

﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: لا يرزق تلك الدواب إلا الله، ولا يرزقكم أيضاً إلا هو، وإن كنتم تطيقون حمل أرزاقكم وكسبها فلا تتركوا الهجرة بسبب الاهتمام للرزق.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولكم: نخشى الفقر ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بضمائركم.

﴿وَلَئِن﴾ سألت هؤلاء المشركين من أهل مكة ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ لأقرّوا بأنّه خالقها ومسخّر الشمس والقمر ومسيّرهما.

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: فكيف يصرفون عن توحيد الله؟.

وقدر الرزق وقتره: ضيقه، أي: ويقدر لمن يشاء، فوضع الضمير موضع

---

(١) ساقطة من ج.

(من يشاء).

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ
بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ
لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ
دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ
﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ
أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ
مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ
وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما وفق من توحيده، ونفي الأنداد عنه.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحّة التوحيد.

﴿هَٰذِهِ﴾ فيها ازدراء لأمر الدنيا وتحقير لها، أي: ما هي لسرعة زوالها عن أهلها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثمّ يتفرقون، وإنّ ﴿ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي: ليس فيها إلا حياة دائمة لا موت فيها ولا تنغيص، فكأنّها في ذاتها حياة. والحيوان: مصدر حيي، وأصله حييان فقلبت الثانية واواً، وبه سمّي ما فيه حياة حيواناً.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ لم يؤثروا عليها الحياة الفانية.

واتصل قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟﴾ بمحذوف دلّ عليه ما شرحه من أمرهم،

والمعنى: إنّهم على ما وصفوا به من الشرك والعناد، فإذا ركبوا في الفلك ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ﴾ كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين، حيث لا يذكرون إلا الله، ولا يدعون معه إلهاً آخر ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ﴾ وأمنوا عادوا إلى حالهم الأولى من الإشراك معه في العبادة.

﴿لِيَكۡفُرُواْ﴾، ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ قرئ بكسر اللامين، فيحتمل أن يكون لام (كي)، بمعنى: أنّهم يعودون إلى شركهم ليكونوا بالعود كافرين بنعمة الله قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير، وأن يكون لام الأمر على معنى التهديد والتوعيد، وقراءة من قرأ: وليتمتعوا ـ بالسكون ـ تشهد له، ونحوه قوله سبحانه: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾(١).

ثمّ ذكّرهم الله سبحانه النعمة عليهم في كونهم آمنين من القتل والغارة، والعرب حول مكة يغزو بعضهم بعضاً ويتغاورون مع قلتهم وكثرة العرب، ووبّخهم بأنّهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه، وهذه النعمة الظاهرة إلى غيرها من نعم الله مكفورة عندهم.

﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ﴾ تقرير لثوائهم في جهنم، كقول الشاعر:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا ... وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ(٢)

والهمزة همزة الإنكار دخلت على النفي فرجع إلى معنى التقرير، وفيها وجهان:

أحدهما: ألا يثوون في جهنم، وألا يستحقّون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا

(١) فصلت: ٤٠.

(٢) ديوان جرير: ٧٧.

الكذب على الله في ادعائهم له شريكاً، وكذّبوا بالحقّ هذا التكذيب؟!.

والثاني: ألم يصحّ عندهم أن في جهنم مثواهم حتى اجترؤوا مثل هذه الجرأة؟!.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾ ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء، والشيطان وأعداء الدين.

﴿فِينَا﴾ أي: في حقّنا ولوجهنا ومن أجلنا.

﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ لنزيدنهم هداية إلى السبيل الموصلة إلى ثوابنا، وتوفيقاً لازدياد الطاعات الموجبة لرضائنا، كقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[1] وقيل: والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينّهم إلى ما لم يعلموا[2].

---

(١) محمّد: ١٧.

(٢) عن أبي سليمان الداراني وغيره. الكشف والبيان ج٧: ٢٩٠.

سورة الروم

مكية، إلا آية منها، وهي قوله:﴿**فسبحان الله حين تمسون**﴾، وهي ستون آية، ﴿**الم**﴾ كوفي، ﴿**بضع سنين**﴾ غيرهم.

في حديث أُبيّ: ((من قرأها كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبّح الله بين السماء والأرض، وأدرك ما ضيّع في يومه وليلته))[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ
سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ
بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ
مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ
وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ
أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ
مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾

﴿ٱلْأَرْضِ﴾ أرض العرب، لأنّ الأرض المعهودة عند العرب أرضهم،

(١) الكشف والبيان ج٧: ٢٩١.

والمعنى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى﴾ أرض العرب منهم، وهي أطراف الشام، وقيل: هي أرض الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس[١]. والبضع: ما بين الثلاث إلى العشر.

قيل: احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى، فغلبت فارس الروم، فبلغ الخبر مكة، فشق على رسول الله ﷺ والمسلمين، لأنّ فارس مجوس والروم أهل كتاب، وفرح المشركون وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن وفارس لا كتاب لنا، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرنّ نحن عليكم، فنزلت[٢].

﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ يعني: إنّ الروم من بعد غلبة فارس إيّاهم سيغلبونهم ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾. وهذه من الآيات الشاهدة على صحّة نبوّة نبيّنا ﷺ، وأنّ القرآن من عند الله سبحانه، لأنّه أنبأ بما سيكون وهو الغيب الذي لا يعلمه إلا الله عزّ وجل. وعن أبي سعيد الخدري قال: (التقينا مع رسول الله ﷺ ومشركو العرب، والتقت الروم وفارس، فنصرنا الله على مشركي العرب ونصر الله الروم على المجوس، ففرحنا بنصر الله إيّانا على المشركين، ونصر أهل الكتاب على المجوس، فذلك قوله: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ وهو يوم بدر)[٣].

﴿مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾ أي: في أوّل الوقتين وآخرهما، حين غلبوا وحين يغلبون، يعني: إنّ كونهم مغلوبين أوّلاً وغالبين آخراً ليس إلا بأمر الله وقضائه.

﴿وَيَوۡمَئِذٖ﴾ ويوم يغلب الروم فارس ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾ وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له، وقيل: نصر الله أنّه ولّى بعض الظالمين

---

(١) عن مجاهد. الكشف والبيان ج٧: ٢٩٤.

(٢) أسباب النزول: ٢٤٣.

(٣) تفسير الطبري ج٢١: ١٢.

بعضاً وفرّق بين كلمتهم، وفي ذلك قوة للإسلام.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد، كقولك: له عليّ ألف درهم اعترافاً[١]، لأنّ معناه: اعترفت لك بها اعترافاً، ووعد الله ذلك وعداً لأنّ الكلام المتقدّم في معنى وعدتم.

ثمّ ذمّهم الله تعالى بأنّهم بصراء بأمور الدنيا، يعلمون منافعها ومضارّها، غافلون عن أمور الدين، وعن الحسن: (بلغ من علم أحدهم بدنياه أنّه يقلّب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه، وما يحسن أن يصلي)[٢].

وقوله: ﴿ يَعۡلَمُونَ﴾ بدل من ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾، وفي هذا الإبدال إيذان بأنّ عدم العلم الذي هو مثل الجهل، ووجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا، مستويان في أنفسهم. ويحتمل أن يكون ظرفاً، فيكون المعنى: أوَ لم يحدثوا التفكّر في قلوبهم الفارغة من الفكر؟. والتفكّر لا يكون إلا في القلوب ولكنّه زيادة تصوير لحال المتفكرين، كما يقال: اعتقد في قلبه، أي: أوَ لم يتفكروا فيقولوا هذا القول أو فيعلموا ذلك؟.

ويحتمل أن يكون صلة للتفكر، فيكون المعنى: أوَ لم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات فيتدبّروا ما أودعها الله من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال؟.

وقوله: ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ أي: ما خلقها باطلاً وعبثاً بغير غرض صحيح، وإنّما خلقها مقرونة بالحقّ مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمّى لابد أن ينتهي إليه، وهو قيام الساعة ووقت الجزاء والحساب، والمراد بلقاء ربّهم: الأجل

---

(١) في ب: عرفاً.

(٢) معالم التنزيل ج٣: ١٤٧.

المسمّى. والباء في ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ مثلها في قولك: اشتريت الفرس بسرجه ولجامه.

أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ
أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ
ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ
عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟
بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾
وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ
كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ
﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى
رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا
وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

هذا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المهلكين من الأمم الخالية بتكذيبهم الرسل، ثمّ وصف أحوالهم وأنّهم ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: حرثوا الأرض، وسمّي الثور لإثارته الأرض، والبقرة لبقرها، وهو الشق.

﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا﴾ عمر هؤلاء، ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بتدميره إيّاهم، لأنّ حاله منافية للظلم ولكنّهم ظلموا أنفسهم بفعلهم ما أوجب تدميرهم.

وقرئ: ﴿عَـٰقِبَةَ﴾ بالنصب والرفع. و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوء وهو

الأقبح، كما أنّ الحسنى تأنيث الأحسن. والمعنى: إنّهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثمّ كانت عاقبتهم السوأى، إلا أنّه [وضع المظهر موضع المضمر، فمن نصب ﴿عَـٰقِبَةَ﴾ جعلها الخبر، والسوأى: هي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات][1] في القيامة وهي جهنم.

و﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ بمعنى لأن كذبوا.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى ثوابه أو عقابه ﴿تُرْجَعُونَ﴾ وقرئ بالتاء والياء.

والإبلاس: أن يبقى يائساً ساكناً متحيّراً.

وشركاؤهم: الذين عبدوهم من دون الله ﴿وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ يكفرون بإلهيتهم ويجحدونها.

والضمير في ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ للمسلمين والكافرين، يدلّ على ذلك ما بعده، يتفرّقون فرقة لا اجتماع لها.

﴿فِى رَوْضَةٍ﴾ في بستان وهي الجنّة، ونكّرت للتفخيم والإبهام، أي: في روضة وأيّ روضة، والروضة عند العرب: كل أرض ذات نبات وماء، وفي المثل: (أحسن من بيضة في روضة)[2].

﴿يُحْبَرُونَ﴾ يسرّون، وقيل: هو السماع في الجنّة[3].

﴿مُحْضَرُونَ﴾ لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم.

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) مجمع الأمثال ج١: ٤٠٦.

(٣) عن يحيى بن أبي كثير. تفسير الطبري ج٢١: ٢٠.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

ثمّ عقّب سبحانه ذكر الوعد والوعيد بما يوصل إلى الوعد وينجي من الوعيد، والمراد بالتسبيح: ظاهره الذي هو تنزيه الله جل اسمه من السوء وذكره في هذه الأوقات، وقيل: هو الصلاة[1]. وقيل لابن عباس: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: (نعم، وتلا هذه الآية)[2].

﴿تُمْسُونَ﴾ صلاة المغرب والعشاء، و﴿تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الصبح.

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٢١: ٢٠.

(٢) الكشف والبيان ج٧: ٢٩٨.

﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاة العصر، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ صلاة الظهر. وعن النبيّ ﷺ: ((من سرّه أن يكال له بالقفيز[1] الأوفى فليقل: ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ... إلى قوله: وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾))[2]. ومثل ذلك الإخراج تخرجون من القبور وتبعثون.

﴿خَلَقَكُم﴾ أي: خلق أصلكم من تراب.

و﴿إِذَآ﴾ للمفاجأة. والتقدير: ثمّ فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض، كقوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[3].

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر.

[﴿أَزْوَاجًا﴾ لتطمئنوا إليها وتألفوا بها، وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الإلف والسكون، وما][4] بين الجنسين المختلفين من التنافر.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ أي: تواداً وتراحماً بعد أن لم يكن بينكم معرفة ولا سبب يوجب التحاب والتعاطف من القرابة والرحم.

والألسنة: اللغات أو أجناس المنطق وأشكاله. خالف سبحانه بين هذه الأشياء حتى لا يكاد يسمع بين منطقين متفقين في شيء من صفات النطق وأحواله، وكذلك الصور وتخطيطها والألوان وتنويعها، ولهذا الاختلاف وقع التعارف، ولو اتفقت وتشاكلت لوقع الالتباس.

و﴿فِي ذَلِكَ﴾ آية بيّنة في حكمة الصانع وكمال قدرته.

وقرئ: ﴿لِّلْعَالِمِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها. ويشهد للكسر قوله: ﴿وَمَا

(١) القفيز: مكيال وهو ثمانية مكاكيك. (الصحاح: مادة قفز)

(٢) الكشف والبيان ج٧: ٢٩٨.

(٣) النساء: ١.

(٤) ساقطة من ج.

﴿يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[١].

﴿مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ هو من باب اللف وترتيبه، ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار، إلا أنّه فصل بين القرينين [الأوّلين بالقرينين][٢] الآخرين لأنّهما زمانان، والزمان والواقع فيه كشيء واحد، مع إعانة اللف على الاتحاد، ويجوز أن يكون المراد: منامكم في الزمانين وابتغاؤكم من فضله فيهما، والأوّل أظهر لتكرره في القرآن.

وفي ﴿يُرِيكُمُ﴾ وجهان: أحدهما: إضمار (أن)، والآخر: إنزال الفعل منزلة المصدر. وفسّر المثل: (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه)[٣] على الوجهين.

﴿خَوۡفًا﴾ من الصاعقة أو من الإخلاف ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث. وقيل: خوفاً للمسافر وطمعاً للحاضر[٤]، وهما منصوبان على المفعول له، وكأنّه قيل: يجعلكم رائين البرق خوفاً وطمعاً، أو تقديره: إرادة خوف وإرادة طمع، فحذف المضاف. ويجوز أن يكونا حالين أي: خائفين وطامعين.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ قيام السماوات والأرض واستمساكهما بغير عمد ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾ أي: بقوله: كونا قائمتين، والمراد بإقامته لهما وإرادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال.

وقوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ بمنزلة (يريكم) في أنّ الجملة وقعت موقع المفرد على المعنى، كأنّه قال: ومن آياته قيام السماوات والأرض ثم خروج الموتى من القبور

---

(١) العنكبوت: ٤٣.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) مجمع الأمثال ج١: ٢٢٧.

(٤) عن قتادة. تفسير الطبري ج٢١: ٢٢.

إذا دعاهم ﴿دَعۡوَةٗ﴾ واحدة يا أهل القبور أخرجوا. والمراد: سرعة وجود ذلك من غير تلبث كما يجيب المدعو داعيه المطاع، وتقول: دعوت زيداً من أعلى الجبل فنزل عليّ، ودعوته من أسفل الجبل فطلع إليّ.

و﴿إِذَآ﴾ الأولى للشرط، والثانية للمفاجأة.

وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾

﴿قَٰنِتُونَ﴾ أي: مطيعون منقادون لوجود أفعاله فيهم.

﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ كما يجب عندكم أنّ من أعاد منكم صنعة شيء كان أهون عليه وأسهل من إنشائها، وتسمّون الماهر في صناعته معاوداً، بمعنى: أنه عاودها كرة بعد أخرى حتى مرن عليها، وذكّر الضمير لأنّ المراد: وأن يعيده أهون عليه، وقيل: الأهون بمعنى الهيّن[1]، كقول الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ[2]

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج٢١: ٢٤.

(٢) ديوان معن بن أوس المزني: ٩٣. وبقيته: على أيّنا تغدو المنية أول.

أي: لوجل.

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله، قد وصف به ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهو أنّه القادر الذي لا يعجز عن شيء من[1] إنشاء وإعادة.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القاهر ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ المحكم لأفعاله. وعن قتادة: (المثل الأعلى قول: لا إله إلا الله وهو الوصف بالوحدانية)[2].

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: أخذ [لكم مثلاً وانتزعه من أقرب شيء منكم وهو أنفسكم، فـ(من) هنا لابتداء][3] الغاية.

﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ﴾ أي: هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشاركوكم فيما ﴿رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال تكونون أنتم وهم فيه على السواء من غير تفرقة بينكم وبينهم، تهابون أن تستبدوا بالتصرّف دونهم كما يهاب بعضكم بعضاً من الأحرار، فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لربّ الأرباب ومالك الرقاب من العبيد والأحرار أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعني: مثل هذا التفصيل ﴿نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي: نبيّنها، لأنّ التمثيل مما يوضح المعاني الخفية، ويكون كالتشكيل والتصوير لها.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أي: أشركوا، لقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ

---

(١) في ب: في.

(٢) تفسير الطبري ج٢١: ٢٥.

(٣) ساقطة من ج.

عَظِيمٌ﴾[1].

﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جاهلين، لأنّ العالم إذا ركب هواه ربّما ردعه علمه، والجاهل يهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفّه شيء.

﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ أي: خذله ولم يلطف به لعلمه أنّه ممن لا لطف له، أي: فمن يقدر على هداية مثله، ويدلّ على أنّ المراد بالإضلال الخذلان قوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا
تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟
شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟
رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ
يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾
أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ
أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا
هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

أي: قوّم ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ وعدّله غير ملتفت عنه يميناً وشمالاً، وهو تمثيل لثباته على الدين واستقامته عليه واهتمامه بأسبابه، فإنّ من اهتم بشيء قوّم له وجهه، وسدّد إليه نظره، وأقبل عليه بكلّه.

(١) لقمان: ١٣.

﴿حَنِيفًا﴾ حال من المأمور، أو من (الدين).

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله.

وقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ حال من الضمير في (الزموا)، ولذلك أضمر على خطاب الجماعة، وقوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ﴾ معطوف على هذا المضمر.

والفطرة: الخلقة، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾. والمعنى: إنّه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام، غير نائين عنه ولا منكرين له، حتى لو تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر، ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الجن والإنس. ومنه الحديث: ((خلقت عبادي حنفاء، فاحتالتهم الشياطين عن دينهم، وأمروهم أن يشركوا بي غيري))[1]، وقوله ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه وينصّرانه [ويمجّسانه][2]))[3].

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا ينبغي أن تبدّل تلك الفطرة وتغيّر.

وخوطب الرسول ﷺ أوّلاً فوحّد، ثمّ جمع ثانياً لأنّ خطابه ﷺ خطاب لأمته.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ بدل من ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، فارقوا دينهم، أي: دين الإسلام. وقرئ: ﴿فَرَّقُواْ﴾ أي: جعلوه أدياناً مختلفة لاختلاف أهوائهم.

﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ أي: فرقاً، كل واحدة تشايع إمامها الذي أضلها، ﴿كُلُّ حِزْبِۭ﴾ منهم فرح بمذهبه مسرور، يحسب باطله حقّاً.

---

(١) صحيح مسلم ج٨: ١٥٩ باختلاف يسير.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) مسند أحمد ج٢: ٢٣٣، أمالي السيّد المرتضى ج٣: ٢.

ويجوز أن يكون ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ منقطعاً عما قبله، والمعنى: من المفارقين دينهم، كل حزب فرحين بما لديهم، لكنّه رفع ﴿فَرِحُونَ﴾ على الوصف لـ(كل).

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ أي: مرض أو قحط أو شدّة انقطعوا إلى الله وأنابوا إليه ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم ... رَحْمَةً﴾ بأن يخلصهم مما أصابهم قابلوا النعمة بالكفران.

واللام في ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ مجاز، مثلها في ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[١].

﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ نظير ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[٢].

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال تمتعكم.

والسلطان: الحجّة. ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ مجاز، كما يقال: كتابه ينطق بكذا، ومعناه الدلالة، كأنّه قال: فهو يشهد بصحّة شركهم، و(ما) مصدرية، أي: بكونهم بالله يشركون، ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير إليها، ومعناه: فهو يتكلّم بالأمر الذي بسببه يشركون.

وإذا أذقناهم ﴿رَحْمَةً﴾ أي: نعمة من مطر أو غنى أو صحّة ﴿فَرِحُواْ بِهَا﴾.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ أي: بلاء من جدب أو فقر أو مرض بسبب معاصيهم قنطوا من الرحمة، ثمّ أنكر عليهم بأنّهم قد علموا أنّه الباسط القابض، فما لهم ﴿يَقْنَطُونَ﴾ من رحمته، ولا يرجعون إليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدّة من أجلها حتى يعيد إليهم رحمته؟!.

فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ
يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن

---

(١) القصص: ٨.

(٢) فصلت: ٤٠.

﴿رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ
ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن
يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: (لما نزلت الآية أعطى رسول الله ﷺ فاطمة فدكاً وسلّمه إليها)[١]، وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام[٢].

ولما ذكر أنّ السيئة أصابتهم بما قدّمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب فعله وذكر ما يجب تركه.

وحقّ ذي القربى: صلة الرحم، وحقّ المسكين وابن السبيل: نصيبهما الذي سمّي لهما.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ أي: يقصدون جهة التقرّب إليه خالصاً لا جهة أخرى.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ قيل: إنّه الحلال، وهو أن يعطي العطية أو يهدي الهدية ليثاب أكثر منها فليس فيه أجر ولا وزر[٣]، وهو المروي عن الباقر عليه السلام[٤]، وقيل: هو مثل ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[٥] أي: ليزيد ويزكو في أموال الناس ولا يزكو ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ولا يبارك فيه.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ تبتغون به ﴿وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ خالصاً لا تطلبون مكافأة

---

(١) الدر المنثور ج٤: ١٧٧.

(٢) التبيان ج٨: ٢٢٨.

(٣) عن سعيد بن جبير وغيره. الكشف والبيان ج٧: ٣٠٤.

(٤) تهذيب الأحكام ج٧: ١٧ عن الصادق عليه السلام.

(٥) البقرة: ٢٧٦.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ﴾ ذوو الأضعاف من الحسنات، ونظير المضعف المقوي والموسر لذوي القوة واليسار. وقرئ: ما أتيتم من ربا، وهو يؤول في المعنى إلى قراءة من مد، وهو كما يقول: أتيت الخطأ وآتيت الصواب، ولم يختلفوا في ﴿مَا ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ﴾ أنه بالمد. وقرئ: لتربوا، أي: لتزيدوا في أموالهم، أو لتصيروا ذوي زيادة فيما آتيتم من أموال الناس أي: تجتلبونها وتستدعونها.

وقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ التفات حسن، كأنّه قال: فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون، فهو أمدح لهم من أن يقول: فأنتم المضعفون. والضمير الراجع إلى ما محذوف، أي: هم المضعفون به.

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾، أي: الله هو فاعل هذه الأفعال التي لا يقدر عليها غيره، ثمّ قال: ﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ الذين اتخذتموهم آلهة من يفعل شيئاً من تلك الأفعال حتى يصحّ ما ذهبتم إليه؟! ثمّ نزّه نفسه عن أن يشرك معه غيره في العبادة.

ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم
بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ
كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمۡ
وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ
يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ
يَمۡهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ
لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

المراد بالفساد ﴿فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ هو القحط وقلة الريع في الزراعات والبياعات، ومحق البركات من كل شيء.

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ يعني: كفار مكة، يريد: بسبب كفرهم وشؤم معاصيهم. وعن الحسن: (إنّ المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه)[1]. وعن عكرمة: (إنّ العرب تسمّي الأمصار البحار)[2]. ويجوز أن يريد ظهور الشرّ والمعاصي بكسب الناس ذلك، والأوّل أوجه.

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ أي: وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه.

ثمّ أكّد سبحانه تسبيب المعاصي لغضب الله ونكاله، حيث أمر بأن يسيروا في الأرض وينظروا كيف أهلك الله الأمم بمعاصيهم وشركهم.

القيّم: المستقيم، البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج.

وتعلّق ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ بـ﴿يَأْتِىَ﴾ بمعنى: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يردّه [أحد، كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾[3]، أو بمرد على معنى: لا يردّه][4] هو بعد أن يجيء به، ولا ردّ له من جهته.

﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ يتصدعون أي: يتفرقون فيه: فريق في الجنّة وفريق في السعير.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ﴾ عقوبة كفره.

﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: يوطئون لأنفسهم منازلهم كما لنفسه يوطئ من مهد فراشه وسوّاه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينغص عليه مرقده، ويجوز أن يريد:

---

(١) الكشف والبيان ج٧: ٣٠٥.

(٢) تفسير الطبري ج٢١: ٣٢.

(٣) الأنبياء: ٤٠.

(٤) ساقطة من ج.

فعلى أنفسهم يشفقون، من قولهم في الشفيق: (أُمّ فرشت فأنامت)[١]. وتقديم الظرفين للدلالة على أنّ ضرر الكفر ومنفعة الإيمان والصلاح لا يتعدّيان الكافر والمؤمن.

وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلّق بـ﴿يَمْهَدُونَ﴾ لتعليله ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي: مما يتفضّل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب، أو أراد من عطائه وفواضله وهو الثواب. وترك الضمير إلى الصريح لتقرير أنّ الفلاح للمؤمن الصالح عنده، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ
ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا
فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ
إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾
فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾
وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا
فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

---

(١) مجمع الأمثال ج١: ٣٥.

عدّد سبحانه الغرض في إرسال رياح الرحمة، وهو أن يبشّر بالغيث، وللإذاقة من الرحمة وهي المطر، وحصول الخصب الذي يتبعه الروح الذي مع هبوب الريح، وغير ذلك.

﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ في البحر عند هبوبها، وإنّما زاد ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ لأنّ الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية.

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يريد: تجارة البحر [لأنّ الريح نعمة الله فيها][1]، ولتشكروا نعمة الله فيها. ويجوز أن يتعلّق ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ بمحذوف تقديره: وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلها، وأن يكون معطوفاً على ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ كأنّه قال: ليبشركم وليذيقكم.

وفي قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم حيث جعلهم مستحقّين لأن ينصرهم ويظهرهم.

﴿فَيَبْسُطُهُۥ﴾ متصلاً تارة ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ أي: قطعاً متفرقة تارة ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ في التارتين جميعاً.

والمراد بـ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾: [سمت السماء كقوله: ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[2]][3]، وبإصابة العباد: إصابة أراضيهم وبلادهم.

﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ من باب التكرير للتوكيد كقوله: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا﴾[4].

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) إبراهيم: ٢٤.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) الحشر: ١٧.

وقرئ: إلى أثر و﴿إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ﴾.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ للقادر الذي يحيي الناس من بعد موتهم.

﴿فَرَأَوۡهُ﴾ أي: فرأوا أثر رحمة الله التي هي الغيث وأثره النبات. ومن قرأ بالجمع فالضمير يرجع إلى معناه، لأنّ معنى آثار الرحمة: النبات، واسم النبات يقع على القليل والكثير، لأنّه مصدر سمّي به ما ينبت.

واللام في (لئن) هي الموطئة للقسم، و﴿لَّظَلُّواْ﴾ جواب القسم سدّ مسدّ الجوابين.

﴿مُصۡفَرّٗا﴾ بعد الخضرة والنضرة.

ذمّهم الله سبحانه بأنّه إذا حبس عنهم القطر قنطوا وأبلسوا، فإذا رزقوا المطر استبشروا وابتهجوا، فإذا أرسل سبحانه ريحاً فضربت زروعهم بالصفار كفروا بنعمة الله، وقيل: معناه: فرأوا السحاب مصفراً لأنّه إذا كان كذلك لم يمطر[١].

ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ
جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ
ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ
سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ
وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ
ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ
فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) عن علي بن عيسى. تفسير الماوردي ج٤: ٣٢١.

﴿كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾

﴿مِّن ضَعْفٍ﴾ قرئ بفتح الضاد وضمها، يعني: إنّ بنيتكم مجبولة على الضعف ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[1]. أي: ابتدأناكم في أوّل الأمر ضعافاً وذلك حال الطفولة حتى بلغتم وقت الشبيبة والفتا وتلك حال القوة إلى وقت الاكتهال، ثمّ رددناكم[2] إلى الضعف وهو حال الشيخوخة والهرم، وفي ذلك أوضح دلالة على الصانع العليم القدير.

﴿مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ أرادوا لبثهم في الدنيا، أو في القبور، أو في ما بين فناء الدنيا إلى البعث، وإنّما قدروا وقت لبثهم ساعة على وجه الاستقصار له، أو ينسون أو يخمنون.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإفك ـ وهو الصرف ـ كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا، وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحقّ.

القائلون هم الملائكة أو الأنبياء أو المؤمنون.

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ، أو في علم الله وقضائه الذي أوجبه بحكمته، ردّوا ما قالوه وحلفوا عليه، ثمّ قرعوهم على إنكار البعث بقولهم: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنّه حقّ، فلا ينفعكم العلم به الآن.

---

(١) النساء: ٢٨.

(٢) في ج، د: ردكم.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ لا يمكّنون من الاعتذار، ولو اعتذروا لم تقبل معاذيرهم، ولا يطلب منهم الإعتاب، يقال: استعتبني فلان فأعتبته، أي: استرضاني فأرضيته، وحقيقة أعتبته: أزلت عتبه. والمعنى: لا يقال لهم ارضوا ربّكم بتوبة وطاعة.

﴿وَلَقَدْ﴾ وصفنا لهم كل صفة كأنّها مثل في غرابتها، وقصصنا عليهم كل قصّة عجيبة كقصّة المبعوثين يوم القيامة وما يقولونه وما يقال لهم، ولكنّهم لقسوة قلوبهم وعنادهم إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا: جئتنا بزور وباطل.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الطبع ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ﴾ الجهلة فيمنعهم ألطافه الشارحة للصدور حتى سمّوا المحقّين مبطلين.

﴿فَٱصْبِرْ﴾ على عداوتهم ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرك وإظهار دينك على كل الأديان ﴿حَقٌّ﴾ ولا يحملنك على الخفة والجزع من كفرهم وعنادهم فإنّهم قوم ظانون ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ بأنّهم يبعثون.

سورة لقمان

مكية سوى أربع آيات، وهي أربع وثلاثون آية، ﴿الم﴾ كوفي، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ بصري.

في حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة لقمان) كان له لقمان رفيقاً يوم القيامة، وأُعطي من الحسنات عشراً بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر))[1]، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأ (سورة لقمان) في [كل] ليلة وكّل الله به في ليلته ثلاثين ملكاً يحفظونه من إبليس وجنوده حتى يصبح، فإنّ قرأها بالنهار حفظوه من إبليس وجنوده حتى يمسي))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ
﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ

---

(١) الكشف والبيان ج٧: ٣٠٩.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٠.

عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًاۖ
فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن
تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ
ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالنصب على الحال من الآيات، والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة. وقرئ بالرفع على أنّه خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ للذين يعملون الحسنات، وهم الذين وصفهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيقان بالآخرة، كما يحكى عن الأصمعي[1] أنّه سئل عن الألمعي، فأنشد قول أوس بن حجر:

الأَلْمَعِيُّ الَّذي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ ... كَأَنْ قَدْ رَأى وَقَدْ سَمِعَا[2]

ولم يزد، أو للذين يعملون ما يحسن من الأعمال، ثمّ خصّ منهم القائمين بهذه الثلاث لفضلها.

واللهو: كل باطل ألهى عن الخير.

و﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾: هو الطعن في الحقّ والاستهزاء به، والتحدّث

---

(١) أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي الأديب المشهور، ولد سنة ١٢٢هـ وقيل سنة ١٢٣هـ، توفي سنة ٢١٦هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: وفيات الأعيان ج٢: ٣٤٤.

(٢) ديوان أوس بن حجر: ٥٣.

بالخرافات والمضاحيك، والغناء والمعازف. والإضافة بمعنى (من) ومعناها التبيين، والمعنى: من يشتري اللهو من الحديث، وهو إضافة الشيء إلى ما هو منه كباب ساج وثوب خز.

وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، وكان يتّجر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم ويحدّث بها قريشاً ويقول: إن كان محمّد يحدّثكم بحديث عاد وثمود، فأنا أحدّثكم بحديث رستم واسفنديار والأكاسرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن[1]. فعلى هذا يكون ﴿يَشْتَرِى﴾ من الشراء، وعلى الأوّل يكون من قوله: ﴿اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾[2] أي: استبدلوه منه واختاروه عليه، وعن قتادة: (اشتراؤه: استحبابه، أي: يختار حديث الباطل على حديث الحقّ)[3].

وقرئ: ﴿لِيُضِلَّ﴾ بضم الياء وفتحها، وقرئ: يتخذها بالرفع والنصب، فالرفع للعطف على ﴿يَشْتَرِى﴾، والنصب للعطف على ﴿لِيُضِلَّ﴾ والضمير للسبيل لأنّها مؤنثة.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ معناه: بغير علم بالتجارة، وبغير بصيرة بها حيث يشتري الباطل بالحقّ، والضلال بالهدى، ونحوه قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[4] أي: ما كانوا بصراء بالتجارة.

﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ رافعاً نفسه فوق مقدارها لا يعبأ بآياتنا، فشبّه حاله حال من لم يسمعها وهو سامع ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ﴾ ثقلاً. وقوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾

---

(١) أسباب النزول: ٢٤٤.

(٢) آل عمران: ١٧٧.

(٣) تفسير الطبري ج٢١: ٣٩.

(٤) البقرة: ١٦.

في محلّ نصب حال من ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ و﴿كَأَن﴾ مخففة، والأصل: كأنّه، والضمير للشأن و﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ حال من ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾، ويجوز أن يكونا جميعاً استئنافين.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان، الأوّل مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره، لأنّ قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ في معنى: وعدهم الله جنات النعيم، فأكّد معنى الوعد بالوعد. وأما ﴿حَقًّا﴾ فدالّ على معنى الثبات، أكّد به معنى الوعد، ومؤكدهما جميعاً قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي يقدر على كل شيء فيعطي النعيم من يشاء والبؤس من يشاء.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يشاء إلا ما توجبه الحكمة. هذا إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته. والخلق بمعنى المخلوق.

و﴿ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: آلهتهم، بكّتهم بأنّ هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله ﴿فَأَرُونِى﴾ ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة. ثمّ أضرب عن تبكيتهم إلى الشهادة عليهم بالتورط في ضلال ظاهر وعدول عن الحقّ.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ
وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾
وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى
عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ
عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا

فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

الأظهر أنّ لقمان لم يكن نبيّاً وكان حكيماً، وقيل: كان نبيّاً[١]، وقيل: خيّر بين النبوّة والحكمة فاختار الحكمة، وكان ابن أخت أيوب أو ابن خالته[٢]، وقيل: إنّه عاش ألف سنة وأدرك داودعليه السلام وأخذ منه العلم، وقيل: إنّه دخل عليه وهو يسرد الدرع وقد ليّن الله له الحديد، فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت، فلما أتمّها لبسها وقال: نعم لبوس الحرب أنت، فقال لقمان: الصمت حكمة وقليل فاعله، فقال داود: بحقّ ما سمّيت حكيماً[٣].

﴿أَنِ﴾ هي المفسّرة، لأنّ إيتاء الحكمة في معنى القول، وقد نبّه سبحانه على أنّ الحكمة الحقيقية والعلم الأصلي هو العمل بما هو عبادة الله والشكر له، حيث فسّر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ لا يحتاج إلى الشكر ﴿حَمِيدٌ﴾ حقيق بأن يحمد وإن لم

(١) عن عكرمة. تفسير الطبري ج٢١: ٤٤.

(٢) عن قتادة. الدر المنثور ج٥: ١٦١.

(٣) العرائس: ١٦٥.

يحمده أحد.

وقرئ: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ بفتح الياء وكسرها في كل القرآن، ويا بُنيّ، ومن كسر فهو على قولك: يا غلام أقبل، ومن فتح فهو على قولك: يا غلاماً أدبر، أبدلت الألف من ياء الإضافة ثمّ حذفت الألف للتخفيف، ومن أسكن الياء في الوصل [فإنّه أجرى الوصل][1] مجرى الوقف.

﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ لأنّ التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه وبين من لا نعمة منه البتة ولا يتصور أن يكون منه نعمة، ظلم لا يحاط بكنهه.

﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ﴾ تهن ﴿وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾ وهو مثل قولك: رجع عوداً على بدء. وهو في موضع الحال، أي: يتزايد ضعفها ويتضاعف، لأنّ الحمل كلما عظم ازدادت المرأة ثقلاً وضعفاً.

﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ﴾ تفسير لـ﴿وَصَّيۡنَا﴾.

﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ أراد بنفي العلم به نفيه، أي: لا تشرك بي ما ليس بشيء، كقوله: ﴿مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾[2].

﴿مَعۡرُوفٗا﴾ أي: صحاباً معروفاً حسناً بخلق جميل واحتمال وبرّ وصلة وما تقتضيه المروّة.

﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ من المؤمنين في دينك، ولا تتبعهما في دينهما وإن أُمرت بحسن مصاحبتهما ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾.

﴿ثُمَّ إِلَيَّ﴾ مرجعك ومرجعهما فأجازيهما على كفرهما وأجازيك على

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) العنكبوت: ٤٢.

إيمانك. وهذا كلام وقع في أثناء وصية لقمان على سبيل الاستطراد، تأكيداً لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك.

ولما وصّى بالوالدين ذكر ما تقاسيه الأم من المشاق في مدة الحمل والفصال، إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكيراً بعظيم حقّها مفرداً.

وقرئ: ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ بالرفع والنصب، فمن نصب كان الضمير للهنة من الإساءة والإحسان، أي: إن كانت مثلاً في الصغر كحبّة الخردل وكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة ﴿أَوْ﴾ حيث كانت ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا﴾ يوم القيامة فيحاسب بها عاملها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يصل علمه إلى كل خفي ﴿خَبِيرٌ﴾ عالم بكنهه. ومن رفع فـ﴿تَكُ﴾ تامة، وأنّث ﴿مِثْقَالَ﴾ لإضافته إلى ﴿حَبَّةٍ﴾، كما قيل:

كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ[1]

وهو من باب ما اكتسب فيه المضاف من المضاف إليه التأنيث. الصادق عليه السلام: ((إياكم والمحقّرات من الذنوب فإنّ لها من الله طالباً، لا يقولنّ أحدكم: أذنب وأستغفر الله، إنّ الله تعالى يقول: ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ... الآية﴾))[2].

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ من الأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ مما عزمه الله من الأمور، أي: قطعه قطع إيجاب وإلزام. ومنه الحديث: ((إنّ الله يحبّ أن يؤخذ برخصه كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه))[3]. وقيل:

---

(١) ديوان الأعشى: ٩٤، وصدره: وتشرق بالقول الذي قد أذعته.

(٢) الكافي ج٢: ٢٧٠ عن الباقر عليه السلام.

(٣) معجم الطبراني الكبير ج ١١: ٢٥٦ بالمعنى، الآيات الناسخة والمنسوخة: ١٠٠.

من الأمور التي يجب الثبات عليها[١]. وأصله من معزومات الأمور ومقطوعاتها، أو من عازمات الأمور، من قوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾[٢]، كقولك: جدّ الأمر وصدق القتال، فهو مصدر وصف به الفاعل أو المفعول. وفيه دلالة على أنّ هذه الطاعات كانت مأموراً بها في سائر الأمم.

وقرئ: تصاعر و﴿تُصَعِّرْ﴾ من صاعر خده وصعّرها. ومعناه: أقبل على الناس بوجهك تواضعاً ولا تولّهم صفحة وجهك كما يفعل المتكبر.

﴿مَرَحًا﴾ نصب على الحال بمعنى: ولا تمش تمرح مرحاً، أو أراد: ولا تمش لأجل المرح والأشر، لا يكن غرضك في المشي البطر والبطالة لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي. والمختال: مقابل للماشي مرحاً، والفخور للمصعّر خدّه كبراً.

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ إعدل فيه حتى يكون مشياً بين مشيين، لا تدب دبيب المتماوتين، ولا تثب وثوب الذعار.

﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أنقص منه.

﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ أي: أوحشها من قولهم: شيء نكر: إذا أنكرته النفوس ونفرت واستوحشت منه.

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

(١) الكشاف ج٣: ٤٩٧.

(٢) محمّد: ٢١.

فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾
وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ
عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ
مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا
بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الشمس والقمر والنجوم.

﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الحيوان والنبات والبحار والأنهار وغير ذلك.

وقرئ: نعمة و﴿نِعَمَهُۥ﴾، والنعمة: كل نفع قصد به وجه الإحسان، والله سبحانه خلق العالم كله نعمة، فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان ينتفع به، وأما الحيوان فإيجاده حياً نعمة عليه، لأنّه لولا إيجاده حياً لما صحّ منه الانتفاع، وكل ما أدى إلى الانتفاع وصحّحه فهو نعمة. والنعمة الظاهرة: كل ما يعلم بالمشاهدة، والباطنة: ما لا يعلم إلا بدليل أو غاب عن العباد علمه فلا يهتدون إليها.

﴿أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ معناه: أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى العذاب؟! أي: في حال دعاء الشيطان إيّاهم.

﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يفوّض أمره إليه ويتوكل عليه ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ هو من باب التمثيل، مثّلت حال المتوكل بحال من تدلى

[من موضع عال فاستمسك بعروة حبل وثيق يأمن انقطاعه.

وقرئ][١] ﴿فَلَا يُحْزِنكَ﴾ ويُحْزِنْكَ من (حزن) و(أحزن)، والذي عليه الاستعمال: أحزنه، ويحزنه، والمعنى: لا يهمنّك كفر من كفر وكيده للإسلام، فإنّ الله سبحانه ينتقم منه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ يعلم ما في صدور عباده، لا يخفى عليه شيء منه.

﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ زماناً قليلاً بدنياهم.

﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شبّه إلزامهم التعذيب باضطرار المضطر إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه، والمراد بالغلظ: الشدّة والثقل على المعذّب.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلزام لهم على إقرارهم بأنّ الذي خلق السماوات والأرض هو الله وحده، وأنّه يجب أن يكون له الحمد والشكر، وأن لا يعبد معه غيره ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ ذلك يلزمهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن حمد الحامدين، المستحقّ للحمد وإن لم يحمدوه.

وقرئ: ﴿وَٱلْبَحْرُ﴾ بالنصب عطفاً على اسم (إنّ)، وبالرفع عطفاً على محلّ (إنّ) ومعمولها، أي: ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً، وثبت البحر ممدوداً بسبعة أبحر، أو على الابتداء والواو للحال على معنى: ولو أنّ الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدوداً، وهي من الأحوال التي حكمها حكم الظروف، ولا يعود منها ضمير إلى ذي الحال، كبيت امرئ القيس:

---

(١) ساقطة من ج.

وَقَـدْ أَغْتَـدِي وَالطَّـيْرُ فِي وَكَنَاتِهَـا بِمُنْجَـرِدٍ قَيْـدِ الأَوَابِـدِ هَيْـكَلِ(١)

جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة، وجعل الأبحر السبعة مملوءة مداداً، فهي تصب فيه مدادها أبداً صباً لا ينقطع، فمعناه: ولو أنّ أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر، وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله، لنفدت الأقلام والمداد وما نفدت كلماته. وقرأ الصادق عليه السلام: والبحر مداده ويقوي الوجه الثاني.

والأولى أن يكون ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ عبارة عن مقدوراته ومعلوماته، لأنّها إذا كانت لا تتناهى فالكلمات التي تقع عبارة عنها أيضاً لا تتناهى.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا﴾ كخلق نفس واحدة وبعثها، والمعنى: إنّه يستوي في قدرته القليل والكثير، والواحد والجمع، إذ لا يشغله فعل عن فعل وشأن عن شأن.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾ يبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله بعض عن بعض، فكذلك الخلق والبعث.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ
ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ
وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ
بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ

---

(١) ديوان امرئ القيس: ١٩.

فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

أي: كل واحد من ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ يجري في فلكه على وتيرة واحدة، ويقطعه إلى وقت معلوم: الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر، وعن الحسن: (الأجل المسمّى: يوم القيامة، لأنّه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ)[١].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي وصف من آثار صنعه وحكمته بسبب أنّ ﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت إلهيته، وأنّ الذي يدعونه من دونه باطل، وأنّه ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ عن أن يشرك به.

﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بإحسانه ورحمته ليريكم بعض دلالاته على كمال قدرته. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ﴾ مؤمن ﴿صَبَّارٍ﴾ على بلائه ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمائه.

الظلل: جمع الظلّة، وهي كل ما أظلّك من جبل أو سحاب.

﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ في الإخلاص الذي كان عليه، وقيل: مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر[٢].

(١) تفسير الماوردي ج٤: ٣٤٦.

(٢) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج٧: ٣٢٢.

والختّار: الغدّار، والختر: أسوأ الغدر وأقبحه.

﴿لَّا يَجۡزِى﴾ أي: لا يقضي ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ شيئاً، والمعنى: لا يجزي فيه فحذف.

و﴿ٱلۡغَرُورُ﴾: الشيطان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ استأثر به ولم يطلع عليه أحداً.

﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ في آياته، ويعلم نزوله في مكانه وزمانه.

﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِى﴾ أرحام الحوامل، أتام أم ناقص، أذكر أم أنثى، أواحد أم أكثر.

﴿وَمَا تَدۡرِى نَفۡسٌ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شرّ ﴿وَمَا تَدۡرِى نَفۡسُۢ﴾ أين ﴿تَمُوتُ﴾.

وجعل العلم لله، والدراية [للعبد لما في الدراية][١] من معنى الختل والحيلة، أي: لا تعرف نفس وإن عملت حيلتها ما يختص بها من كسبها وعاقبتها، فمن أين له معرفة ما عداهما؟! وعن النبيّ ﷺ: ((مفاتيح الغيب خمس، وقرأ هذه الآية))[٢].

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) مسند أحمد ج٢: ٢٤، وينظر: الخصال: ٢٦٤.

سورة السجدة

مكية غير ثلاث آيات، من قوله: ﴿**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا**﴾ إلى تمام الآيات، تسع وعشرون آية بصري، ثلاثون آية غيرهم.

في حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (سورة الم تنزيل) فكأنّما أحيا ليلة القدر))[1]، وعن الصادقعليه السلام: ((من قرأ (سورة السجدة) في كل ليلة جمعة أعطاه الله كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما كان منه، وكان من رفقاء محمّد وأهل بيتهعليهم السلام))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾

---

(١) الكشف والبيان ج٧: ٣٢٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٠.

﴿تَنزِيلُ﴾ مبتدأ وخبره ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، و﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ اعتراض.

أثبت أوّلاً أنّ تنزيل الكتاب من ربّ العالمين، وأنّ ذلك مما لا ريب فيه، ثمّ أضرب عن ذلك إلى قوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾، لأنّ ﴿أَمۡ﴾ هذه منقطعة إنكاراً لقولهم، وتعجيباً منه لظهور الأمر في عجزهم عن الإتيان بسورة منه، ثمّ أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنّه ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، وقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ يعني: قريشاً، إذ لم يأتهم نبيّ قبل نبيّنا ﷺ.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ استعار لفظ الترجي للإرادة.

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍ﴾ هو على معنيين:

أحدهما: إنّكم إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم ولياً، أي: ناصراً ينصركم ولا شفيعاً يشفع لكم.

والآخر: أنّه سبحانه وليّكم الذي يتولى مصالحكم، وشفيعكم أي: ناصركم على سبيل المجاز، لأنّ الشفيع ينصر المشفوع له.

﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ أي: أمر الوحي، فينزله مع جبرائيل من السماء إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ ما كان من قبول الوحي أو ردّه مع جبرائيل في وقت هو في الحقيقة ﴿أَلۡفَ سَنَةٖ﴾، لأنّ المسافة في الهبوط والصعود مسيرة ألف سنة، لأنّ ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة، وهو يوم من أيّامكم، فيقطع جبرئيل مسيرة ألف سنة مما يعدّه البشر في يوم واحد. وقيل: معناه: يدبّر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض لألف سنة، وهو يوم من أيّام الله ثمّ يعرج إليه أي: يصير إليه، ويثبت عنده، ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمر إلى أن

تبلغ المدة آخرها، ثمّ يدبّر أيضاً ليوم آخر، وهلم جرا إلى أن تقوم الساعة[١]. وقيل: يدبّر المأمور به من الطاعات وينزله مدبّراً من السماء إلى الأرض، فلا[٢] يصعد إليه ذلك لقلة عمال الله المخلصين وقلة الأعمال الصاعدة، لأنّه لا يوصف بالصعود إلا الخالص.

ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ
شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن
سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا
ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾
۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾
وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا
وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾

وقرئ: ﴿خَلَقَهُۥ﴾ بفتح اللام وسكونها، فالأوّل على الوصف لكل شيء، بمعنى: إنّ كل شيء خلقه فقد أحسنه، والثاني على البدل، أي: أحسن خلق كل شيء، وأحسن بمعنى حسّن، يعني: إنّ جميع مخلوقاته حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن منه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٣]. وقيل: معناه: علم كيف يخلقه وأحسن معرفته، أي: عرفه معرفة حسنة بتحقيق وإتقان[٤]،

---

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٢١: ٥٩.

(٢) في ب: ولم، وفي ج: ولا.

(٣) التين: ٤.

(٤) عن مقاتل. معالم التنزيل ج٣: ١٥٧.

ومنه: ((قيمة كل امرئ ما يحسنه))[١].

وسمّيت الذرية نسلاً لأنّها تنسل منه أي: تنفصل منه.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ أي: قوّمه، وأضاف الروح إلى ذاته إيذاناً بأنّه خلق عجيب لا يعلم كنهه إلا هو.

﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: صرنا تراباً وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا نتميّز منه كما يضل الماء في اللبن، أو غبنا في الأرض بالدفن فيها، كقول النابغة:

وَآبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ ... وَغُودِرَ بِالْجُولانِ حَزْمٌ وَنَائِلُ[٢]

وقرى: ﴿أَءِذَا﴾ و﴿أَءِنَّا﴾، بالاستفهام وتركه، وروي عن عليّ عليه السلام وابن عباس: صَلِلنا بالصاد وكسر اللام، من صل اللحم وأصل: إذا أنتن. وقيل: صرنا من جنس الصلة وهي الأرض[٣]. وانتصب الظرف بما دلّ عليه قوله: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ وهو نبعث أو يجدد خلقنا.

﴿لِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ هو الوصول إلى العاقبة من تلقّي ملك الموت وما وراءه. ولما ذكر كفرهم بالإنشاء أضرب عنه إلى ما هو أبلغ في الكفر، وهو أنّهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالإنشاء وحده، ألا ترى كيف خوطبوا بالتوفي وبالرجوع[٤] إلى ربّهم بعد ذلك مبعوثين للجزاء؟! وهذا معنى لقاء الله.

والتوفّي: استيفاء النفس وهي الروح، وهي أن تقبض كلها لا يترك منها شيء، من قولهم: توفيت حقّي واستوفيته. وعن ابن عباس: (جعلت الدنيا لملك

(١) نهج البلاغة: ٥٧٨ ح ٨١.

(٢) ديوان النابغة الذبياني: ٩٠.

(٣) تفسير الماوردي ج٤: ٣٥٦.

(٤) في ب: الرجوع.

الموت مثل الجام، يأخذ منها ما يشاء إذا حان القضاء)[١]. وعن قتادة: (إنّ له أعواناً من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، أي: يتوفاهم ومعه أعوانه)[٢]. وقيل: يدعو الأرواح فتجيبه ثمّ يأمر أعوانه بقبضها.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ، وجواب (لو) محذوف، أي: لرأيت أمراً فظيعاً وحالاً سيئة. ويجوز أن يكون خطاباً لكل أحد، كما يقال: فلان لئيم إن أكرمته أهانك، ولا يريد مخاطباً بعينه.

و﴿إِذِ﴾ ظرف للرؤية.

﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ﴾ مطرقوها ومطأطئوها حياءً وذلاً، يستغيثون بقولهم: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا﴾ فلا يغاثون. والمعنى: أبصرنا صدق وعدك ووعيدك، وسمعنا منك تصديق رسلك، أو كنا عمياً وصماً فأبصرنا وسمعنا.

﴿فَٱرۡجِعۡنَا﴾ إلى الدنيا نعمل صالحاً ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ اليوم.

وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي
لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ
بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ
عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا
ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ
لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ
رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ
نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾

---

(١) مجمع البيان ج٧-٨: ٣٢٨.

(٢) تفسير الطبري ج٢١: ٦٢.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۝١٨ أَمَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا
أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ
الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ
الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢١﴾

يريد: إنّا بنينا أمر التكليف على الاختيار دون الاضطرار ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ على طريق القسر والإجبار ولكن حقّت كلمة العذاب، أي: على أهل الضلال والعمى لاستحبابهم العمى على الهدى.

ثمّ قال: ﴿فَذُوقُوا﴾ بنسيانكم العاقبة وقلة مبالاتكم بها وترك استعدادكم لها، والمراد بالنسيان خلاف التذكر.

﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي: جازيناكم جزاء نسيانكم، [وقيل: هو بمعنى الترك، أي: تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة(١). وفي استئناف قوله: ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾](٢) وبناء الفعل على (إنّ) واسمها تشديد في الانتقام منهم، أي: فذوقوا هذا، أي: ما أنتم فيه من نكس الرؤوس والغم والخزي بسبب نسيان اللقاء. وذوقوا عذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم.

و﴿ذُكِّرُوا بِهَا﴾ أي: وعظوا فتذكّروا واتعظوا بأن سجدوا شكراً لله سبحانه على أن هداهم لمعرفته وتواضعاً وخشوعاً.

---

(١) عن ابن عباس وغيره. الدر المنثور ج٥: ١٧٤.

(٢) ساقطة من د.

﴿وَسَبَّحُواْ﴾ ونزّهوا الله من نسبة القبائح إليه، وأثنوا عليه حامدين له.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ﴾ أي: ترتفع وتتنحى عن المضاجع، وهي الفرش ومواضع النوم والاضطجاع، وهم المتهجّدون بالليل الذين يقومون لصلاة الليل.

﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ﴾ لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته، وعن بلال عن النبيّ ﷺ: ((عليكم بقيام الليل فإنّه دأب الصالحين قبلكم، وإنّ قيام الليل قربة إلى الله، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد))[١]. وعنه عليه السلام: ((شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزّه كفّ الأذى عن الناس))[٢].

وقرئ: ما أخفى لهم على البناء للفاعل، وهو الله عزّ وجل، و(ما) بمعنى الذي أو بمعنى أي، وروي عن النبيّ ﷺ: قرات أعين. أي: لا تعلم النفوس كلهن، ولا نفس واحدة منهن، ولا ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل أي نوع عظيم من الثواب خبّئ وادخر لأولئك، أو أي ذلك أُخبئ وادخر لهم مما تقرّ به عيونهم، ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح لهمة وراءها. ومثله الحديث: ((يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتكم عليه، اقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ ... الآية﴾))[٣].

﴿كَانَ مُؤۡمِنٗا﴾ و﴿كَانَ فَاسِقٗا﴾ محمولان على لفظ (من)، و﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ محمول على معناه، بدليل قوله: ف﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ و﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾.

و﴿جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ نوع من الجنان. وعن ابن عباس: (تأوي إليها أرواح

---

(١) سنن الترمذي ج٥: ٢١٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج٤: ٣٢٥، ينظر: الخصال: ٧.

(٣) صحيح مسلم ج٨: ١٤٣.

الشهداء)[١]. وقيل: هي عن يمين العرش.

﴿نُزُلًا﴾ عطاء بأعمالهم، والنزل: عطاء النازل، ثمّ صار عاماً.

﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: النار لهم مكان جنّة المأوى للمؤمنين.

﴿كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ فيه دلالة على أنّ المراد بالفاسق هنا الكافر.

و﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ عذاب الدنيا من القتل والأسر، وما محنوا به من السنة سبع سنين حتى أكلوا الجيف، وقيل: هو القتل يوم بدر بالسيف[٢]، وقيل: الدابة والدجّال[٣]، وقيل: عذاب القبر[٤].

و﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يتوبون عن الكفر، أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾[٥]. وسمّيت إرادة الرجوع رجوعاً كما سمّيت إرادة القيام قياماً في قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾[٦].

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ
مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ
مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ
أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾

---

(١) تفسير الطبري ج٢٧: ٣٣.

(٢) عن ابن مسعود وغيره. تفسير الطبري ج٢١: ٦٩.

(٣) تفسير أبي حمزة الثمالي: ٢٦٣.

(٤) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٢١: ٦٩.

(٥) السجدة: ١٢.

(٦) المائدة: ٦.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
(٢٥) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦)
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا
تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧) وَيَقُولُونَ
مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا
يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ
وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (٣٠)﴾

معنى ﴿ثُمَّ﴾: الاستبعاد لإعراضهم عن آيات الله مع وضوحها بعد التذكير بها.

و﴿الْكِتَابَ﴾ للجنس، والضمير في ﴿لِقَائِهِ﴾ له، والمعنى: إنّا آتينا موسى مثل ما آتيناك [من الكتاب](١)، فلا تك في شك من أنّك لقيت مثله، إذ لقيناك مثل ما لقيناه من الوحي ونحوه: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾(٢). وقيل: إنّ الضمير في ﴿لِقَائِهِ﴾ لموسى(٣)، والتقدير: من لقائك موسى أو من لقاء موسى إيّاك ليلة الإسراء بك إلى السماء، فقد روي أنّه ﷺ قال: ((رأيت ليلة أسري بي إلى السماء موسى بن عمران رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنّه من رجال شنوءة))(٤). وعلى هذا فيكون قد وعد ﷺ أن يلقى موسى قبل أن يموت.

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) النمل: ٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٢٠٩.

(٤) صحيح البخاري ج٢: ٢١٦.

وجعلنا الكتاب المنزل على موسى ﴿هُدًى﴾ لقومه.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ يقتدى بأقوالهم وأفعالهم.

﴿يَهْدُونَ﴾ الناس إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه.

(لِما صبروا) أي: لصبرهم، وكذلك: لنجعلن الكتاب المنزل إليك نوراً وهدى ولنجعلن بعدك في أمّتك أئمّة يهدون الناس مثل تلك الهداية، لما صبروا عليه من نصرة الدين، وثبتوا عليه من الحقّ اليقين. وقرئ: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ ومعناه: لما صبروا جعلناهم أئمّة، وعن الحسن: (صبروا عن الدنيا)[1].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يقضي فيميز المحقّ من المبطل. و﴿هُوَ﴾ فصل، ويجوز ذلك في المضارع لأنّه يشبه الاسم، ولو قلت: إنّ زيداً هو فعل لم يجز.

الواو في ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف، وقرئ بالنون والياء، والفاعل ما دلّ عليه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ لأنّ كم لا تقع فاعلة، وتقديره: أولم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون! أو هذا الكلام كما هو بمضمونه، ومعناه كما تقول: تعصم لا إله إلا الله الدم والمال. ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ لأهل مكة.

و﴿الْقُرُونِ﴾ عاد وثمود وقوم لوط يمشي أهل مكة ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ وديارهم وبلادهم.

﴿الْجُرُزِ﴾ الأرض التي جرز نباتها أي: قطع، إما لعدم الماء وإما لأنّه رعي، ولا يقال للأرض التي لا تنبت: جرز، ويدلّ عليه قوله: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾، والضمير في به للماء.

---

(١) الكشاف ج٣: ٥١٦.

﴿تَأۡكُلُ﴾ من الزرع ﴿أَنۡعَٰمُهُمۡ﴾ من عصفه و﴿أَنفُسُهُمۡ﴾ من حبّه.

الفتح: النصر أو الفصل بالحكومة من قوله: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾[1]، وكانوا يسمعون المسلمين فيستفتحون الله عليهم ويقولون: يفتح الله بيننا وبينكم، فقالوا لهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ﴾ أي: في أي وقت يكون ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في أنّه كائن؟. و﴿يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ﴾ يوم القيامة، وقيل: يوم بدر[2]، وقيل: هو يوم فتح مكة[3].

وغرضهم في السؤال عن وقت الفتح هو التكذيب والاستهزاء، فوقع جوابهم على حسب ما عرف من مرادهم في سؤالهم، فكأنّه قال: لا تستعجلوا به، فإنّ ذلك اليوم ستؤمنون ولا ينفعكم الإيمان كما لم ينفع فرعون إيمانه عند حلول البأس، وستنظرون ولا تُنْظَرون.

﴿وَٱنتَظِرۡ﴾ حكم الله فيهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم فـ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ هلاككم والغلبة عليكم.

(١) الأعراف: ٨٩.

(٢) عن ابن عباس. الدر المنثور ج٥: ١٧٩.

(٣) عن الكلبي. معالم التنزيل ج٣: ١٦٠.

سورة الأحزاب

مدنية، ثلاث وسبعون آية.

في حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة الأحزاب) وعلّمها أهله وما ملكت يمينه أُعطي الأمان من عذاب القبر))[١]، وعن الصادقعليه السلام: ((من كان كثير القراءة لـ(سورة الأحزاب) كان يوم القيامة في جوار محمّدصلى الله عليه وآله وسلم وأزواجه))[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ
وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ
أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ
يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ
فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ

---

(١) الكشف والبيان ج٨: ٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٠.

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾

ناداه سبحانه بالنبيّ وبالرسول، وترك نداءه باسمه كما قال: ﴿يَا آدَمُ﴾[١]، ﴿يَا دَاوُودُ﴾[٢]، ﴿يَا مُوسَى﴾[٣]، إجلالاً لمحلّه وتشريفاً له.

﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي: دم على ما أنت عليه من التقوى، واثبت عليه وازدد منه.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ ولا تساعدهم على شيء، ولا تقبل منهم رأياً ومشورة.

وقرئ: بما يعملون بالياء، أي: بما يعمل المنافقون من الكيد والمكر.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وفوض أمرك إليه وكِله إليه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ موكولاً إليه كل أمر.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ قلبين في جوف رجل، ولا زوجية وأمومة في امرأة، ولا بنوة ودعوة في رجل. والمعنى: إنّ الله عزّ اسمه كما ليس في حكمته أن يجعل للإنسان قلبين، لأنّه لو كان ذلك لكان لا ينفصل إنسان واحد من إنسانين، إذ كان يؤدي أن تكون الجملة الواحدة متصفة بكونها مريدة كارهة لشيء واحد في حالة واحدة إذا أريد بأحد القلبين وكره بالآخر، فكذلك لا تكون المرأة الواحدة أمّاً لرجل وزوجة له، ولا يكون الرجل الواحد دعياً لرجل وابناً له، لأنّ الابن هو العريق في النسب، والدعيّ لاصق في التسمية لا غير، ولا يجتمع في الشيء أن يكون أصيلاً

---

(١) الأعراف: ١٩.

(٢) ص: ٢٦.

(٣) الأعراف: ١٤٤.

وغير أصيل.

وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة، وهو رجل من كلب، سبي في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمّته خديجة، فلما تزوّجها رسول الله ﷺ وهبته له، وقيل: بل اشتراه رسول الله ﷺ بسوق عكاظ وأسلم، فقدم أبوه حارثة بن شراحيل الكلبي مكة واستشفع بأبي طالب إلى رسول الله ﷺ في أن يبيعه منه، فقال عليه السلام: هو حرّ فليذهب حيث شاء، فأبى زيد أن يفارق رسول الله ﷺ، فقال أبوه: يا معشر قريش، اشهدوا أنّه ليس بابني، فقال رسول الله ﷺ: ((اشهدوا أنّ زيداً ابني))، فكان يدعى زيد بن محمّد، فلما تزوّج النبيّ ﷺ زينب بنت جحش ـ وكانت تحت زيد بن حارثة ـ قالت اليهود والمنافقون: تزوّج محمّد امرأة ابنه، وهو ينهى الناس عن ذلك، فأنزل الله عزّ وجل هذه الآية، قوله: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ**﴾[1].

وقرئ: اللائي بهمزة ممدودة مشبعة بعدها ياء. وقرئ: اللاّء بهمزة ممدودة مختلسة لا ياء بعدها، وقرئ: اللاي بغير همزة ولا مد حيث كانت من القرآن، وقرئ: ﴿تُظَاهِرُونَ﴾ من: ظاهر، وتظاهرون من: اظّاهر بمعنى تظاهر، وتظهرون من: اظّهر بمعنى: تظهر.

وأصل الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، يقال: ظاهر من امرأته، وكان ذلك طلاقاً في الجاهلية، يتجنّبون المرأة المظاهر منها كما يتجنب المطلّقة، فكان معنى قولهم: تظاهر منها: تباعد منها بجهة الظهار، وتظهّر منها: تحرّز منها، وظاهر منها: حاذر منها، ونظيره: آلى من امرأته. لما ضمّن معنى التباعد منها، عدّي بـ(من). ومعنى قولهم: أنت عليّ كظهر أمي، أنّهم أرادوا أن يقولوا

(١) الدر المنثور ج٥: ١٨١.

كبطن أمي في التحريم، فكنّوا عن البطن بالظهر، لأنّ ذكر البطن يقارب ذكر الفرج.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ النسب هو ﴿قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡ﴾: هذا ابني، ولا حقيقة له عند الله ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾ أي: لا يقول إلا الذي يوافق الحقيقة.

﴿وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ ولا يهدي إلا سبيل الحقّ، فقال ما هو الحقّ، وهدى إلى ما هو سبيل الحقّ، وهو قوله: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾.

﴿هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: أعدل حكماً وقولاً.

﴿فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ﴾ لهم آباء فهم إخوانكم ﴿فِي ٱلدِّينِ﴾ وأولياؤكم، أي: بنو أعمامكم أو ناصروكم، وقيل: ﴿وَمَوَٰلِيكُمۡ﴾: معتقوكم إذا أعتقتموهم فلكم ولاؤهم[1].

﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ﴾ أي: إثم ﴿فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ﴾ إذا نسبتموهم إلى المتبنّي لظنكم أنّه أبوه.

و﴿مَّا تَعَمَّدَتۡ﴾ في محلّ الجر عطفاً على ﴿مَآ أَخۡطَأۡتُم﴾، ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير: ولكن ما تعمّدت قلوبكم فيه الجناح، ويجوز أن يكون المراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم، كقوله عليه السلام: ((وضع عن أمّتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه))[2]، ويتناول خطأ التبني وعمده لعمومه.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ

(١) تفسير السمرقندي ج٣: ٤١.

(٢) الكافي ج٢: ٤٦٣، معجم الطبراني الأوسط ج٨: ١٦١.

ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ
مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ
وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ
وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ
أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا
شَدِيدًا ﴿١١﴾

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في كل شيء من أمور الدين والدنيا، ولذلك أطلق ولم يقيّد، فيجب عليهم أن يكون أحبّ إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقّه أوجب عندهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أكثر من شفقتهم عليها، وأن يبذلوها دونه إذا حلّ خطب، ويجعلوها فداه إذا لقحت حرب. وروي عن أُبيّ وابن مسعود وابن عباس أنّهم قرأوا: النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم، وروي ذلك عن الباقر والصادق عليهما السلام. وعن مجاهد: (كل نبيّ أب لأمته)[1]، ولذلك صار المؤمنون إخوة لأنّ النبيّ أبوهم في الدين، وأزواجه أمهاتهم في تحريم النكاح، كما قال: ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾[2]، ولسن بأمهات لهم على الحقيقة، إذ لو كن كذلك لكانت بناتهن أخوات، فكان لا يحلّ للمؤمن التزوّج بهن.

---

(١) الكشاف ج٣: ٥٢٣.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ أي: ذوو الأنساب ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ في الميراث بحقّ القرابة. وكان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالمؤاخاة في الدين وبالهجرة، فصارت هذه الآية ناسخة للتوارث بالهجرة والمؤاخاة.

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللوح المحفوظ، أو في القرآن.

﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يجوز أن يكون بياناً لأولي الأرحام، أي: الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضاً من الأجانب، ويجوز أن يكون لابتداء الغاية، أي: أولي الأرحام بحقّ القرابة أولى بالميراث [من المؤمنين][1] بحقّ المؤاخاة، ومن المهاجرين بحقّ الهجرة.

﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗا﴾ عنى بذلك وصية الرجل لإخوانه في الدين، وعدّي ﴿تَفۡعَلُوٓاْ﴾ بـ﴿إِلَىٰٓ﴾ لأنّه في معنى تسدوا وتزلوا.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ المشار إليه من نسخ الميراث بالهجرة وردّه إلى أولي الأرحام مكتوباً في اللوح أو القرآن [أو التوراة][2].

واذكر حين أخذنا ﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ جميعاً ﴿مِيثَٰقَهُمۡ﴾ بتبليغ الرسالة والدعاء إلى التوحيد، ﴿وَمِنكَ﴾ خصوصاً ﴿وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى﴾. وإنّما فعلنا ذلك ليسأل الله تعالى يوم القيامة عند تواقف الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم، فيشهد الأنبياء لهم بأنّهم صدقوا عهدهم وكانوا مؤمنين، أو ليسأل الأنبياء ما الذي أجابتهم به أممهم كقوله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ﴾[3]، أو ليسأل الذين صدقوا ماذا قصدتم بصدقكم وجه الله أم غيره؟ وفيه

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) المائدة: ١١٦.

تهديد للكاذب. قال الصادق عليه السلام: ((إذا سئل الصادق عن صدقه على أي وجه قاله فيجازى بحسبه، فكيف يكون حال الكاذب؟!))[١].

والميثاق الغليظ: اليمين بالله على الوفاء بما حملوا. والغلظ استعارة، والمراد: عظم الميثاق وجلالة قدره في بابه.

﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يوم الأحزاب، وهو يوم الخندق.

﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ وهم الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ وهي الصبا أرسلت عليهم حتى أكفأت قدورهم، ونزعت فساطيطهم، وسفت التراب في وجوههم. وفي الحديث: ((نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور))[٢].

﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة.

وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وآله بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة، أشار عليه بذلك سلمان الفارسي، ثمّ خرج ومعه ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم، واشتد الخوف في المسلمين، ورفعت الذراري والنساء في الآطام، ونجم النفاق من المنافقين، وكانت قريش قد أقبلت حتى نزلت بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أُحد وقائدهم عيينة بن حصين وعامر بن الطفيل، ومالأتهم اليهود من بني قريظة والنضير، وأقام المشركون بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بينهم وبين المسلمين قتال إلا الرمي بالنبل والحجارة، غير أنّ فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد

---

(١) مجمع البيان ج٧-٨: ٣٣٩، وهي نص عبارة الشيخ في التبيان ج٨: ٢٨٩ فلاحظ.

(٢) صحيح البخاري ج١: ١٨٣، الجعفريات ج٢: ١٣٦.

ود، وضرار بن الخطاب، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبد الله خرجوا على خيولهم حتى مروا ببني كنانة فقالوا: تهيأوا للحرب فستعلمون اليوم من الفرسان، ثمّ أقبلوا تعنق بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا: والله إنّ هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثمّ تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحموا، ونادى عمرو وكان يعدّ بألف فارس: من يبارز؟ فقام عليّ عليه السلام وهو مقنّع في الحديد فقال: أنا له يا رسول الله، فقال النبيّ: ((إنّه عمرو، اجلس))، ونادى عمرو الثانية والثالثة يقول: ألا رجل؟ أين جنّتكم التي تزعمون أنّ من قتل منكم دخلها؟! فقام عليّ عليه السلام، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله، وألبسه درعه ذات الفضول، وأعطاه ذا الفقار، وعمّمه عمامته السحاب، وقال: ((اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه))، وتجاولا فضربه عمرو في الدرقة فقدّها وأصاب رأسه فشجّه، وضربه عليّ عليه السلام وثارت بينهما عجاجة، فسمع عليّ عليه السلام يكبّر، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ((قتله والذي نفسي بيده))، فحزّ عليّ رأسه وأقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله ووجهه يتهلل، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ((أبشر يا عليّ، فلو وزن اليوم عملك بعمل أمّة محمّد لرجح عملك بعملهم))[1].

﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان.

﴿وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش.

﴿وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ مالت عن سننها حيرة وشخوصاً، وقيل: عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدّة الخوف[2].

و﴿ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ جمع الحنجرة وهي منتهى الحلقوم، قالوا: إذا انتفخت الرئة

---

(١) ينظر: مغازي الواقدي ج٢: ٤٧١، وتفسير القمي ج٢: ١٨٣.

(٢) معاني القرآن للفراء ج٢: ٣٣٦.

من فزع أو غم أو غضب ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة، ولذلك قيل للجبان: انتفخ سحره. ويجوز أن يكون ذلك مثلاً في اضطراب القلوب ووجيبها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة.

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ المختلفة، زيدت الألف في الفاصلة كما زادوها في القافية، نحو قوله:

أَقِـلِّ اللَّـوْمَ عَـاذِلَ وَالعِتَابَـا[1]

وكذلك ﴿الرَّسُولَا﴾[2] و﴿السَّبِيلَا﴾[3].

﴿وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالٗا شَدِيدٗا﴾ أي: أزعجوا أشدّ إزعاج.

وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ
إِلَّا غُرُورٗا ١٢ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ
فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ
بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ
سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ١٤ وَلَقَدۡ كَانُواْ
عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا
١٥ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا
تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٦ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ
سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا
١٧ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا

---

(١) ديوان جرير: ٥٨ وبقيته: وقولي إن أصبت لقد أصابا.

(٢) الأحزاب: ٦٦.

(٣) الأحزاب: ٦٧.

يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ
يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا
ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ
لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾
يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم
بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم
مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

قيل: إنّ القائل معتب بن قشير وأضرابه من المنافقين قالوا: (كان محمّد يعدنا كنوز كسرى وقيصر، ونحن لا نقدر أن نذهب إلى الغائط، هذا والله الغرور)[1].

﴿يَثْرِبَ﴾ اسم المدينة، وقيل: أرض وقعت المدينة في ناحية منها[2].

قرئ: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم وفتحها، أي: لا قرار لكم ها هنا ولا مكان تقيمون فيه أو تقومون ﴿فَٱرْجِعُواْ﴾ إلى المدينة، أمروهم بالهرب من معسكر رسول الله، وقيل: قالوا لهم: ارجعوا كفّاراً وأسلموا محمّداً وإلا فليست يثرب لكم بمكان[3].

﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي ذوات عورة، والعورة: الخلل، اعتذروا بأنّ بيوتهم مكشوفة ليست بحصينة، أو خالية من الرجال يخشى عليها السرّاق، فكذّبهم سبحانه بقوله: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ [بل هي حصينة، وإنّما يريدون الفرار.

---

(١) عن ابن عباس وغيره. الدر المنثور ج٥: ١٨٦.

(٢) مجاز القرآن ج٢: ١٣٤.

(٣) عن الحسن. تفسير الماوردي ج٤: ٣٨٢.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ المدينة أو بيوتهم، من قولهم: دخلت على فلان][1] بيته.

﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: جوانبها، يريد: ولو دخلت هذه العساكر مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها ينهبونهم.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا﴾ عند ذلك الفزع و﴿الْفِتْنَةَ﴾ أي: الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين لأتوها أي: لجاؤوها وفعلوها، وقرئ: ﴿لَآتَوْهَا﴾ أي: لأعطوها.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ أي: وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ فإنّ الله يهلكهم، وقيل: وما تلبّثوا بها أي: ما لبثوا عطاءها وإجابتهم إليها إلا يسيراً، ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف[2].

﴿كَانُوا عَاهَدُوا﴾ رسول الله ﴿مِن قَبْلُ﴾ ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم.

﴿مَسْئُولًا﴾ أي: مطلوباً يسألون عنه في الآخرة.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ﴾ مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف أنف أو قتل، وإن نفعكم الفرار - مثلاً - فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا زماناً قليلاً.

﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾ المثبّطون عن رسول الله، وهم المنافقون يقولون ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ من ضعفة المسلمين: ما محمّد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحماً لالتهمهم هؤلاء، فخلّوهم و﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أي: تعالوا وقرّبوا أنفسكم إلينا. وهي لغة الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة، وأما تميم فيقولون: هلم، هلما، هلموا، وهي صوت سمّي به فعل متعد مثل: احضر وقرّب.

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) معاني القرآن للفراء ج٢: ٣٣٧.

﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي: إتياناً قليلاً، يخرجون مع المؤمنين ولا يبارزون ولا يقاتلون إلا شيئاً قليلاً إذا اضطروا إليه، كقوله: ﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾[١].

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ في وقت الحرب[٢] أضناء بكم، يترفرفون حولكم كما يفعل الرجل بالذابّ عنه المحامي دونه عند الخوف، وقيل: معناه: أشحّة بالقتال معكم ولا ينصرونكم[٣].

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذراً وخوفاً ولواذاً بك.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ ﴾ وحيزت الغنائم نقلوا ذلك الشح عنكم إلى الخير وهو المال والغنيمة وقالوا: وفّروا قسمتنا، فإنّا قد شاهدناكم وبمكاننا غلبتم أعداءكم.

ونصب ﴿أَشِحَّةً﴾ على الحال أو على الذم. والسلق: أصله الضرب، سلقه بالكلام أسمعه المكروه، أي: آذوكم وخاصموكم بألسنة سليطة ذربة.

﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ﴾ لم ينهزموا وقد انهزموا.

﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ ﴾ كرة ثانية تمنّوا لخوفهم ما تمنّوا به هذه الكرة، أنّهم خارجون إلى البدو ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ ﴾ أخباركم ﴿وَلَوْ كَانُوا ﴾ معكم و﴿فِيكُم﴾ ووقع قتال، لم يقاتلوا معكم إلا قدراً يسيراً رياء وسمعة، ليوهموا أنّهم من جملتكم لا لنصرتكم.

---

(١) الأحزاب: ٢٠.

(٢) في ب: الخوف.

(٣) عن ابن كامل. تفسير الماوردي ج٤: ٣٨٥.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ
وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ
قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ
إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ
عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا
﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن
شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ﴾ بدل من ﴿لَكُمْ﴾ وهو مثل قولك: رجوت زيداً وفضله، أي: فضل زيد.

والأسوة من الايتساء كالقدوة من الاقتداء، أي: كان لكم به اقتداء لو اقتديتم به في النصرة والصبر عند مواطن الكفاح كما فعل هو يوم أُحد إذ كسرت رباعيته وشج وجهه وقتل عمه، فواساكم مع ذلك بنفسه، فهلا فعلتم مثل ما فعله هو.

﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: قرن الرجاء بالطاعات الكثيرة، والمؤتسى به من كان كذلك.

وعدهم عزّ اسمه أن يزلزلوا حتى يستغيثوه في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[1]، فلما جاء الأحزاب واضطربوا

---

(١) البقرة: ٢١٤.

﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ وأيقنوا بالنصر، وهذا إشارة إلى البلاء.

﴿وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ بالله ﴿وَتَسۡلِيمًا﴾ لقضائه.

﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ بأنّهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله ﷺ ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا.

﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ أي: قتل فوفى بنذره من الثبات مع رسول الله ﷺ، وعن ابن عباس: (هو حمزة بن عبد المطلب ومن قتل معه، وأنس بن النضر وأصحابه)[1].

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ﴾ النصرة والشهادة على ما مضى عليه أصحابه.

﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ وما غيّروا العهد، لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة. وعن عليّ عليه السلام: ((فينا نزلت، وأنا والله المنتظر وما بدّلت تبديلاً))[2].

﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾ في عهودهم ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ بنقض العهد.

﴿إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ يعني: إن شاء قبل توبتهم وأسقط عقابهم، وإن شاء لم يقبل توبتهم وعذّبهم، والظاهر يقتضي بما يقتضيه العقل من الحكم.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: الأحزاب ﴿بِغَيۡظِهِمۡ﴾ مغيظين، كقوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾[3].

﴿لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ﴾ غير ظافرين. وهما حالان بتداخل أو تعاقب، ويجوز أن

---

(١) تنوير المقباس: ٣٥٢.

(٢) شواهد التنزيل ج٢: ١، الخصال: ٣٤٦.

(٣) المؤمنون: ٢٠.

يكون الثانية بياناً للأولى أو استئنافاً.

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بالريح والجنود. وعن ابن مسعود أنّه كان يقرأ: وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ.

وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

[﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾](١) من حصونهم، والصيصية: ما تحصّن به، يقال لقرن الظبي والبقر: صيصية، ولشوكة الديك التي في ساقه، ولشوكة الحائك أيضاً، قال:

كَوَقْعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ المُمَدَّدِ(٢)

وقرئ: ﴿ٱلرُّعْبَ﴾ بضم العين وسكونها. وروي أنّ جبرائيل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة الليلة التي انصرف عن الخندق إلى المدينة فقال: يا رسول الله، إنّ الملائكة لم تضع السلاح، إنّ الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة [وأنا عامد إليهم، فعزم رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس أن لا يصلّوا العصر إلا في بني قريظة](٣)، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار، فنزلوا على حكم سعد ابن معاذ(٤)، فحكم فيهم بأن يقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم، وتغنم

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) البيت لدريد بن الصمة. الشعر والشعراء ج٢: ٧٥٠، وصدره: فجئت إليه والرماح تنوشه.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الاشهلي، أسلم بالمدينة بين العقبة الاولى والثانية، شهد بدراً وأحداً والخندق، رمي يوم الخندق بسهم فعاش شهراً ثم انتقض جرحه فمات. ينظر: الاستيعاب ج٢: ٢٧.

أموالهم، وتكون عقارهم للمهاجرين دون الأنصار، فالأنصار ذوو عقار وليس للمهاجرين عقار، فكبّر رسول الله ﷺ وقال لسعد: ((لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة))[١]. والرقيع: اسم سماء الدنيا، فقتل مقاتلتهم وكانوا ستمائة مقاتل، وقيل: أربعمائة وخمسين، وسبي سبعمائة وخمسون[٢].

﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ بأقدامكم بعد، وسيفتحها الله عليكم، وهي خيبر، وقيل: مكة[٣]، وقيل: فارس والروم[٤]، وقيل: هي كل أرض تفتح إلى يوم القيامة[٥]، وقيل: هي كل ما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ
تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ
مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ
مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا
نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ
ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ

---

(١) مغازي الواقدي ج٢: ٥١٢.

(٢) عن قتادة. الدر المنثور ج٥: ١٩٣.

(٣) عن قتادة. الدر المنثور ج٥: ١٩٣.

(٤) عن الحسن. تفسير الطبري ج٢١: ٩٨.

(٥) عن عكرمة. الدر المنثور ج٥: ١٩٣.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

قالوا: إنّ أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وتغايرن، فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وآلى منهن، وصعد إلى غرفة فمكث فيها شهراً، فنزلت آية التخيير(١).

﴿فَتَعَالَيْنَ﴾ أي: أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد أمرين، ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن كما تقول: أقبل يخاصمني، وذهب يكلّمني.

﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أعطكنّ متعة الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ أُطلّقكن ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ طلاقاً بالسنة من غير ضرار.

﴿لِلْمُحْسِنَاتِ﴾ المريدات الإحسان المطيعات لله منكن.

واختلف في حكم التخيير، والمروي عن أئمّة الهدى عليهم السلام أنّ ذلك كان خاصاً للنبيّ صلى الله عليه وآله، ولو اخترن أنفسهنّ لبنّ منه [من غير طلاق](٢)، وليس لغيره ذلك(٣).

والفاحشة: السيئة البليغة في القبح، وهي الكبيرة، والمبيّنة: الظاهر فحشها. والمراد: كل ما اقترفن من الكبائر.

---

(١) الكشف والبيان ج٨: ٣١.

(٢) ساقطة من ج، د.

(٣) ينظر: الوسائل ج١٥ باب ٤١ من أبواب مقدمات الطلاق.

قرئ: يضعّف، و﴿يُضَٰعَفۡ﴾ بالياء على بناء الفعل للمفعول، و(نضعف) بالنون والبناء للفاعل، وإنّما ضوعف عذابهن لزيادة نعمة الله عليهن بنزول الوحي في بيوتهن وبمكان النبيّ ﷺ منهن، وزيادة قبح المعصية تتبع زيادة النعمة على المعاصي من المعصي، ومتى ازداد الفعل قبحاً ازداد عقابه شدّة، ولذلك تكون المعصية من العالم أقبح، وذم العقلاء له أكثر.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ إيذان بأنّ كونهن نساء النبيّ لا يغني عنهن شيئاً.

وقرئ: ﴿مَن يَأۡتِ﴾، ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ﴾، ﴿وَتَعۡمَلۡ﴾ بالياء والتاء، و﴿نُّؤۡتِهَآ﴾ بالياء والنون، أي: نعطها ثوابها مثلي ثواب غيرها، كما يكون عذابها ضعف عذاب غيرها.

والقنوت: الطاعة.

و(أحد) في الأصل: وحد، بمعنى الواحد، ثمّ وضع في النفي العام يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع. ومعنى قوله: ﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والسابقة.

﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ أي: إن كنتن متقيات وأردتن التقوى ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ أي: لا ترققن الكلام للرجال مثل كلام المريبات والمومسات.

﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ أي: نفاق وفجور.

﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ بعيداً من التهمة مستقيماً بجدّ وخشونة من غير تخنث، أو قولاً حسناً مع كونه خشناً.

﴿وَقَرۡنَ﴾ قرئ بكسر القاف وفتحها، فالكسر من: وقر يقر وقاراً، أو من:

قرّ يقرّ قراراً، حذفت الراء الأولى من أقررن ونقلت كسرتها إلى القاف كما يقال: ظلن في ظللن، [والفتح أصله: أقررن حذفت الراء ونقلت الحركة إلى القاف مثل: ظلن][1].

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وهي القديمة التي يقال لها: الجاهلية الجهلاء، وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام، كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال، وقيل: ما بين آدم ونوح[2]، وقيل: هي جاهلية الكفر قبل الإسلام[3].

﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نصب على النداء أو على المدح.

و﴿ٱلرِّجْسَ﴾ مستعار للذنوب، والطهر للتقوى، لأنّ عرض المقترف للقبيح يتدنس به كما يتلوث جسده بالأرجاس.

واتفقت الأمة على أنّ المراد أهل بيت نبيّنا صلى الله عليه وآله[4]. وعن أبي سعيد الخدري عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ((نزلت في خمسة: فيّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة))[5]. وعن أم سلمة قالت: ((جاءت فاطمة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله تحمل حريرة لها، قال: ادعي زوجك وابنيك، فجاءت بهم فطعموا، ثمّ ألقى عليهم كساء خيبرياً وقال: هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فقلت: يا رسول الله،

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) عن الحكم. تفسير الطبري ج٢٢: ٤.

(٣) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج٢٢: ٤.

(٤) الكافي ج١: ٢٨٧، صحيح مسلم ج٧: ١٣٠، وينظر: كتاب آية التطهير في الخمسة أهل الكساء.

(٥) أسباب النزول: ٢٥١.

وأنا معهم؟ قال: أنت على خير))[١].

﴿وَٱذۡكُرۡنَ﴾ ولا تنسين ﴿مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من القرآن الذي هو آيات الله البيّنات والحكمة التي هي العلوم والشرائع، واعملن بموجبهما.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم.

إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ
وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ
وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ
وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ
وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ
ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ
إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن
يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ
أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ
وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن
تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ
أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٣٧﴾

قيل: إنّ أم سلمة قالت: يا رسول الله، ذكر الله الرجال في القرآن بخير،

---

(١) أسباب النزول: ٢٥٢.

أفما فينا خير فنذكر به؟ فنزلت الآية(١). وقيل: إنّ القائلة أسماء بنت عميس(٢) لما رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب(٣).

المسلم: الداخل في السلم، المنقاد غير المعاند، وقيل: المستسلم لأوامر الله، المفوّض أمره إلى الله(٤).

والمؤمن: المصدّق بالله ورسوله وبما يجب أن يصدّق به، والقانت: القائم بالطاعة الدائم عليها، والصادق: الذي يصدق في قوله وعمله ونيته، والصابر: الذي يصبر على الطاعة وعن المعصية، والخاشع: المتواضع لله بقلبه وجوارحه، والمتصدّق: الذي يزكّي ماله، والذاكر الله كثيراً: من لا يخلو من ذكر الله بقلبه أو بلسانه أو بهما. وعن أبي سعيد الخدري عن النبيّ ﷺ قال: ((إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فتوضآ وصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات))(٥). وعن الصادق عليه السلام: ((من بات على تسبيح فاطمة عليها السلام كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات))(٦).

والمعنى: والحافظاتها والذاكراته، فحذف لأنّ الظاهر يدلّ عليه، وعطف

---

(١) تفسير الطبري ج٢٢: ٨-٩.

(٢) أسماء بنت عميس بن معد الخثعمية، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له هناك محمّداً وعبد الله وعوناً، فلما قتل جعفر في مؤتة تزوجها أبو بكر فولدت له محمّداً، ثم مات عنها فتزوجها علي عليه السلام فولدت له يحيى. ينظر: الاستيعاب ج٤: ٢٣٤.

(٣) أسباب النزول: ٢٥٢.

(٤) التبيان ج٨: ٣٠٩.

(٥) سنن أبي داود ج٢: ٣٣ ح١٣٠٩.

(٦) مجمع البيان ج٧-٨: ٣٥٨.

الإناث في الآية على الذكور من نحو قوله: ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[1] في أنّهما جنسان مختلفان إذا اشتركا في حكم فلابد من أن يتوسط حرف العطف بينهما. وأما عطف الزوجين على الزوجين فإنّه من عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع، فكان معناه: إنّ الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعدّ الله لهم مغفرة.

خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش الأسدية على زيد بن حارثة مولاه وكانت بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب، فأبت وأبى أخوها عبد الله بن جحش، فنزل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ... الآية﴾[2]. أي: ما صحّ لرجل ولا امرأة من أهل الإيمان إذا قضى الله ورسوله أمراً من الأمور أن يكون لهم الاختيار من أمرهم على اختيار الله لهم، بل من حقّهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه، والخيرة ما يتخير، فلما نزلت قالا: رضينا يا رسول الله، فأنكحها زيداً وساق عنه إليها مهرها عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً وملحفة ودرعاً وإزاراً وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر.

وقرئ: ﴿يَكُونَ﴾ بالتاء والياء.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بتوفيقك لعتقه ومحبّته ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بما وفقك الله فيه من اختصاصه وتبنّيه وهو زيد بن حارثة.

﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ يعني زينب بنت جحش، وذلك أنّ رسول الله ﷺ أتى منزل زيد ذات يوم، فإذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيباً بفهر لها، فدفع رسول الله ﷺ الباب فوقع بصره عليها فقال: سبحان الله خالق النور، تبارك الله أحسن الخالقين، ورجع، فجاء زيد فأخبرته زينب بما كان، فقال لها: لعلك

(١) التحريم: ٥.

(٢) الكشف والبيان ج٨: ٤٦.

وقعت في قلبه، فهل لك أن أطلّقك؟ فقالت: أخشى أن تطلّقني ولا يتزوجني رسول الله ﷺ، فجاء زيد وقال: يا رسول الله، إنّي أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: مالك؟ أرابك منها شيء؟ قال: لا، والله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنّها تتعظم عليّ لشرفها وتؤذيني، فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، ثمّ طلّقها بعد، فلما اعتدت قال رسول الله: ما أجد أحداً أوثق في نفسي منك، أخطب عليّ زينب، قال زيد: فانطلقت فإذا هي تخمر عجينها، فلما رأيتها عظمت في نفسي حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أنّ رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري وقلت: يا زينب أبشري، إنّ رسول الله ﷺ يخطبك، ففرحت بذلك، وقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربّي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن ﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ فتزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها، وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها، ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتدّ النهار[1].

وقوله: ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ يريد: لا تطلّقها، وهو نهي تنزيه لا نهي تحريم؛ لأنّ الأولى أن لا يطلّق، وقيل: أراد اتق الله فلا تذمّها بالنسبة إلى الأذى والكبر.

وقوله: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ﴾ قيل: أخفى في نفسه أنّه إن طلّقها زيد تزوّجها، وخشي لائمة الناس أن يقولوا: أمره بطلاقها ثمّ تزوّجها[2]، وقيل: إنّ الذي أخفاه هو أنّ الله سبحانه أعلمه أنّها ستكون من أزواجه وأنّ زيداً سيطلّقها[3] فأبدى سبحانه ما أخفاه في نفسه بقوله: ﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾.

ولم يرد سبحانه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ خشية التقوى، لأنّه صلوات

---

(١) الكشف والبيان ج٨: ٤٧.

(٢) الكشف والبيان ج٨: ٤٨.

(٣) تفسير الطبري ج٢٢: ١١.

الله عليه كان يتقي الله حقّ تقاته ويخشاه فيما يجب أن يخشاه فيه، ولكن المراد خشية الاستحياء، لأنّ الحياء من الشيمة الكريمة، وقد يستحي الإنسان ويتحفظ من شيء هو في نفسه مباح حلال عند الله، لئلا يطلق الجهّال الذين لا يعرفون حقائق الأمور ألسنتهم فيه، ألا ترى أنّهم إذا طعموا في بيوته كانوا يستأنسون بالحديث ولا يريمون[١]، فكان يؤذيه قعودهم، ويصدّه الحياء أن يأمرهم بالانتشار حتى نزلت: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾[٢].

فأخبر الله سبحانه الناس بما كان يضمره الرسول صلوات الله عليه وآله وعاتبه عليه، وكأنّه سبحانه أراد منه أن يقول لزيد: أنت أعلم بشأنك، أو يصمت عند قوله: أريد مفارقتها، ليكون ظاهره مطابقاً لباطنه، كما جاء في حديث إرادة رسول الله ﷺ قتل عبد الله بن سعد بن أبي سرح وقد كان أهدر دمه قبل ذلك، واعترض عثمان له بالشفاعة: أنّ عباد بن بشر[٣] قال له: يا رسول الله، كان عيني إلى عينك انتظار أن تومئ إليّ فأقتله، فقال عليه السلام: ((إنّ الأنبياء لا تكون لهم خائنة الأعين))[٤] فلم يستجز الإشارة بقتل كافر وإن كان مباحاً.

والواو في ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾، ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾، ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾: واو الحال، أي: تقول لزيد: أمسك عليك زوجك مخفياً في نفسك إرادة أن لا يمسكها، وتخفي خاشياً مقالة الناس، وتخشى الناس حقيقاً في ذلك بأن تخشى الله. أو واو

---

(١) يريمون: يبرحون. (الصحاح: مادة ريم)

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) عباد بن بشر بن وقش الانصاري الاشهلي، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان ممن قتل كعب بن الأشرف، قتل يوم اليمامة وهو ابن خمس وأربعين سنة. ينظر: الاستيعاب ج٢: ٤٥٢.

(٤) ينظر: سنن أبي داود ج٣: ٥٩ ح ٢٦٨٣.

العطف كأنّه قيل: وإذ تجمع بين قولك: أمسك وإخفاء خلافه وخشية الناس.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ أي: فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وطاب عنها نفسه وطلّقها وانقضت عدتها ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾، وقراءة أهل البيت عليهم السلام زوجتكها، وعن الصادق عليه السلام: ((ما قرأتها على أبي إلا كذلك، إلى أن قال: وما قرأ عليّ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلا كذلك)).

ثمّ بيّن سبحانه الغرض والمصلحة العامة في تزويجه إيّاها بقوله: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ أي: ضيق وإثم ﴿فِيٓ﴾ أن يتزوجوا ﴿أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ وهم الذين تبنّوهم ﴿إِذَا قَضَوْا۟﴾ من نسائهم ﴿وَطَرًا﴾ أي: بلغوا منهن حاجتهم وفارقوهن، فلا يجرونهم في تحريم النساء مجرى الابن من النسب أوالرضاع.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ جملة اعتراضية، أي: كان أمر الله الذي يريد أن يكونه مكوناً لا محالة. وروي أنّ زينب كانت تقول للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: (إنّي لأدلّ عليك بثلاث ليس من نسائك امرأة تدلّ بهن: جدّي وجدّك واحد، وزوجنيك الله، والسفير جبرائيل عليه السلام)(١).

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

﴿فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ أي: قسم الله وأوجب من التزوّج بامرأة المتبنى، ليبطل حكم الجاهلية في الأدعياء، ومنه فرض لفلان في الديوان كذا.

---

(١) تفسير الطبري ج٢٢: ١١.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ اسم وضع موضع المصدر المؤكد لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ كأنّه قيل: سنّ الله ذلك سنّة في الذين خلوا من الأنبياء الماضين، وهو أن لا يحرج عليهم فيما أباح لهم الإقدام عليه من النكاح وغيره، وقد كان لداود مائة امرأة، ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ﴾ يحتمل الوجوه الثلاثة من الإعراب: الجر على الوصف للأنبياء، والرفع والنصب على المدح، أي: هم الذين يبلّغون، أو أعني الذين يبلّغون. وقرئ: رسالة الله.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ المنزل على أنبيائه ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ حكماً مبتوتاً وقضاءً مقضياً.

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فيما يتعلّق بالتبليغ والأداء.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ كافياً للمخاوف، وقيل: حافظاً لأعمال خلقه محاسباً مجازياً عليها[1].

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ أي: لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح.

﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ وكل رسول أبو أمّته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم، لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء، وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة، فكان حكمه حكمهم.

﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ آخرهم، ختمت النبوّة به، فشريعته باقية إلى آخر الدهر. وكان صلوات الله عليه أباً للحسن والحسين لقوله: ((ابناي هذان إمامان قاما أو

---

(١) تفسير الطبري ج٢٢: ١٢.

قعدا))[١] وهما من رجاله لا من رجالهم. وقرئ: خاتَم النبيّين بفتح التاء بمعنى الطابع.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾

﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أثنوا عليه بضروب الثناء من التحميد والتهليل والتمجيد والتسبيح والتكبير، وأكثروا ذلك. وعن الصادق عليه السلام: ((من سبّح تسبيح فاطمة عليها السلام فقد ذكر الله ذكراً كثيراً))[٢]. وعنهم عليهم السلام: ((من قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثلاثين مرة فقد ذكر الله كثيراً))[٣].

﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ التسبيح من جملة الذكر، واختصه من بين أنواعه اختصاص جبرئيل وميكائيل من بين الملائكة، ليبيّن فضله على سائر الأذكار، لأنّ معناه: تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال، ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات، فإنّ كل طاعة من جملة الذكر.

---

(١) الإرشاد: ٢٢٠.

(٢) معاني الأخبار: ١٨٦.

(٣) تهذيب الأحكام ج٢: ١٠٧.

ثمّ خصّ من ذلك التسبيح ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ وهو الصلاة في جميع أوقاتها؛ لفضل الصلاة على غيرها، أو صلاة الفجر والعشاءين لأنّ أداءها أشق، ومراعاتها أشدّ.

ولما كان من شأن المصلي أن ينعطف وينحني في ركوعه وسجوده استعير لمن انعطف على غيره حنواً عليه، واستعمل في الرحمة والترؤف، ومنه قولهم: صلى الله عليه وآله وسلم، أي: ترحّم عليه وترأف. وأما صلاة الملائكة فهي قولهم: اللهم صلّ على المؤمنين، جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنّهم فاعلون الرحمة والرأفة. ونظيره قولهم: حيّاك الله، أي: أحياك وأبقاك، وحييته، أي: دعوت له بأن يحييه الله ويبقيه، لأنّه لاتكاله على إجابة دعوته كأنّه يبقيه على الحقيقة، وعليه قوله: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1] أي: ادعوا الله بأن يصلّي عليه.

والمعنى: هو الذي يترحّم عليكم ويترأف حيث يأمركم بإكثار الخير والتوفر على الطاعة، ليخرجكم من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة. وفي قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ دلالة على أنّ المراد بالصلاة الرحمة.

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ هو من باب إضافة المصدر إلى المفعول، أي: يحيون يوم لقائه بسلام، وعن البراء بن عازب[2]: (لا يقبض ملك الموت روح مؤمن إلا سلم

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري، شهد مع النبي ﷺ أربع عشرة غزوة وقيل خمس عشرة، شهد مع علي عليه السلام الجمل وصفين وقتال الخوارج، نزل الكوفة ومات في إمارة مصعب بن الزبير. ينظر: الإصابة ج١: ١٤٢، معجم رجال الحديث ج٣: ٢٦٩.

عليه)[١]. وقيل: هو سلام الملائكة عند الخروج من القبور[٢]، وقيل: عند دخول الجنّة[٣]، كما قال: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾[٤]. والأجر الكريم: الجنّة.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ على أمّتك فيما يفعلونه، مقبولاً قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل، وهو حال مقدّرة كمسألة الكتاب: مررت برجل معه صقر صائداً به غداً[٥]، أي: مقدّراً به الصيد غداً.

﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ مستعار للتسهيل والتيسير، وفيه إيذان بأنّ دعاء أهل الشرك إلى التوحيد والشرائع أمر صعب لا يتسهل إلا بتيسير الله.

﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ يهتدى بك في الدين كما يهتدى بالسراج في ظلام الليل، أو يمدّ بنور نبوّتك نور البصائر كما يمدّ بنور السراج نور الأبصار.

والفضل الكبير: الزيادة على ما يستحقّونه من الثواب، ويجوز أن يكون المراد أنّ لهم فضلاً كبيراً على سائر الأمم.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ معناه: الدوام على ما كان عليه أو التهييج.

﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾ أي: ودع أن تؤذيهم بضرب أو قتل وخذ بظاهرهم، وحسابهم على الله، ويكون المصدر مضافاً إلى المفعول. قيل: وذلك قبل أن يؤمر

---

(١) الدر المنثور ج٥: ٢٠٦.

(٢) عن أبي حمزة الثمالي. الكشف والبيان ج٨: ٥٢.

(٣) عن الكلبي. تفسير السمرقندي ج٣: ٦١.

(٤) الرعد: ٢٣، ٢٤.

(٥) الكتاب ج٢: ٤٩.

بالقتال[١]، وقيل: معناه: ودع ما يؤذونك به، فيكون مضافاً إلى الفاعل[٢].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فإنّه يكفيكهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ كافياً مفوّضاً إليه.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن
قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ
وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ
ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ
وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى
هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ
أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا
فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ تستوفون عددها من قولك: عددت الدراهم فاعتدها، وكلت الشيء فاكتاله. وفيه دليل على أنّ العدّة حقّ واجب للرجال على النساء.

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ إذا لم تفرضوا لهن صداقاً.

﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ من غير ضرار ولا منع واجب.

﴿أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن، لأنّ المهر أجر على البضع، وإيتاؤها: إعطاؤها عاجلاً وفرضها وتسميتها في العقد. وقد اختار الله عزّ وجل لرسوله الأفضل والأولى وهو تسمية المهر في العقد وسوق المهر إليها عاجلاً، فإنّه أفضل من أن يسمّيه ويؤجله، ولذلك كان التعجيل ديدنهم وسنتهم. وكذلك الجارية إذا

(١) عن الكلبي. تفسير الماوردي ج٤: ٤١١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٢٣١.

كانت سبية مالكها ومما غنمه الله من دار الحرب كانت أحلّ وأطيب مما يشترى، وذلك قوله: ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ﴾.

وكذلك النساء ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ﴾ مع رسول الله ﷺ من قرابته غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه.

وأحللنا لك ﴿ٱمۡرَأَةً﴾ مصدقة بتوحيد الله ﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا﴾ لك بغير صداق إن آثر النبيّ نكاحها ورغب فيها ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ أي: خاصة لك.

﴿مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: لا يحلّ لغيرك وهو لك حلال.

شرط سبحانه في الإحلال هبتها نفسها، وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله ﷺ، وهو أن يطلب نكاحها ويرغب فيه، فكأنّه قال: أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها، لأنّ إرادته هي قبول الهبة، وعدل عن الخطاب إلى الغيبة للإيذان بأنّه مما خصّ به، ومجيئه على لفظ النبيّ للدلالة على أنّ هذا الاختصاص تكرمة له لأجل النبوّة، وتكريره تقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوّته.

﴿خَالِصَةً﴾ مصدر مؤكد، مثل: ﴿وَعْدَ اللهِ﴾(١)، و﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾(٢)، أي: خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة، بمعنى خلوصاً.

﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا﴾ على المؤمنين ﴿فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ وإمائهم وعلى أي حدّ وصفة يجب أن يفرض عليهم، وآثرناك بالاختصاص بما خصصناك به ﴿لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞ﴾ أي: ضيق في دينك ودنياك.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ لذنوب عباده ﴿رَّحِيمٗا﴾ بالتوسعة عليهم.

---

(١) يونس: ٤.

(٢) البقرة: ١٣٨.

تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ
وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن
تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟
بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ
وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ
لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ
لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ
حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن
تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ
ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ
فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

﴿تُرْجِي﴾ بهمز وغير همز، تؤخر ﴿وَتُـْٔوِيٓ﴾ تضم، يعني: تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء، أو تطلّق من تشاء وتمسك من تشاء، أو لا تقسم لأيتهن شئت، وتقسم لمن شئت ـ وكان ﷺ يقسم بين أزواجه فأبيح له ترك ذلك ـ أو تترك تزوّج من شئت من نساء أمّتك، وتتزوّج من شئت، وكان ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لغيره أن يخطبها حتى يدعها، وروي أنّ عائشة قالت: (إنّي أرى ربّك يسارع في هواك!)[١]

(١) صحيح البخاري ج٣: ٢٤٥.

﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ﴾ أن تضمّها إليك ﴿مِمَّنۡ﴾ عزلتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَ﴾ في ابتغائها، ﴿ذَٰلِكَ﴾ التفويض إلى اختيارك ومشيئتك ﴿أَدۡنَىٰٓ﴾ إلى قرّة عيونهن وقلّة حزنهن ورضاهن جميعاً، لأنّه إذا سوّى بينهن في الإيواء والإرجاء والعزل والابتغاء، ولم يكن لإحداهن مما تريد ومما لا تريد إلا مثل ما للأخرى، وعلمن أنّ هذا التفويض من عند الله سكنت نفوسهن، وذهب التنافس، وحصل التراضي.

﴿كُلُّهُنَّ﴾ تأكيد لنون ﴿وَيَرۡضَيۡنَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ فيه وعيد لمن لم يرض منهن بما فوض الله إلى مشيئة رسوله، وبعث على طلب رضاه عليه السلام.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمصالح عباده ﴿حَلِيمًا﴾ لا يعاجلهم بالعقوبة.

وقرئ: ﴿لَّا يَحِلُّ﴾ بالتاء والياء. أي: لا تحلّ ﴿لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ النساء اللواتي أحللناهن لك من الأجناس، من اللواتي أعطيت مهورهن، ومن المهاجرات القرائب، ومن الإماء المسبية، ومن وهبت نفسها له بجميع ما شاء من العدد.

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ أي: بالمسلمات الكتابيات، لأنّه لا ينبغي أن يكن أمهات المسلمين ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾ من الكتابيات، وقيل: إنّ التبدّل المحرّم هو ما كان يفعل في الجاهلية، يقول الرجل للرجل: بادلني بامرأتك أبادلك بامرأتي، فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه[1]. ويحكى أنّ عيينة بن حصين[2] دخل على النبيّ صلى الله عليه وآله وعنده عائشة من غير استئذان، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((يا عيينة، أين الاستئذان؟ قال: يا رسول الله، ما استأذنت على رجل قط منذ أدركت، ثمّ قال: من هذه الجميلة إلى

---

(١) الكشف والبيان ج٨: ٥٦.

(٢) عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري، كان من المؤلفة قلوبهم، أسلم قبل الفتح وشهده وشهد حنيناً والطائف، عاش إلى زمن عثمان. ينظر: الإصابة ج٣: ٥٤.

جنبك؟ فقال‌عليه‌السلام: ((هذه عائشة بنت أبي بكر))، قال عيينة: أفلا أنزل لك عن أحسن نساء الخلق؟ قال‌عليه‌السلام: ((قد حرّم ذلك))، فلما خرج قالت عائشة: من هذا يا رسول الله؟ فقال: ((أحمق مطاع، وإنّه على ما ترين لسيّد قومه))[١].

وقيل: معناه: لا يحلّ لك النساء من بعد نسائك اللاتي خيّرتهن فاخترن الله ورسوله وهن التسع، ولا أن تستبدل بهن أزواجاً أخر[٢].

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ واستثنى ممن حرم عليه الإماء.

﴿أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في معنى الظرف، تقديره: إلا وقت أن يؤذن لكم.

﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ﴾ حال من ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾ وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً، كأنّه قال: لا تدخلوا بيوت النبيّ إلا وقت الإذن، ولا تدخلوها إلا غير ناظرين. وهؤلاء قوم كانوا يتحيّنون [أي: يتعرضون][٣] طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه. والمعنى: لا تدخلوا يا هؤلاء المتحيّنون إلا أن يؤذن لكم إلى طعام، وإلا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصاً لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله إلا أن يؤذن له إذناً خاصاً إلى طعام فحسب.

و﴿إِنَاهُ﴾ إدراكه ونضجه، يقال: أنى الطعام إنى، وقيل: إناه: وقته[٤]، أي: غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله.

وروي: أنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أولم على زينب بتمر وسويق وذبح شاة وأمر أنساً أن يدعو أصحابه، فترادفوا أفواجاً، يأكل فوج فيخرج، ثمّ يدخل فوج، إلى أن

---

(١) معاني الأخبار: ٢٦٠، سنن الدارقطني ج٣: ٢١٨.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج٢٢: ٢١.

(٣) ساقطة من ج، د.

(٤) الكشف والبيان ج٨: ٥٨.

قال: يا نبيّ الله قد دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه، فقال: ارفعوا طعامكم وتفرّق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا، فقام رسول الله ﷺ ليخرجوا، فطاف بالحجرات ورجع فإذا الثلاثة جلوس مكانهم، وكان صلوات الله عليه شديد الحياء فتولى، فلما رأوه متولياً خرجوا، فرجع ونزلت الآية[١].

﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ﴾ مجرور عطف على: ﴿نَٰظِرِينَ﴾، أو منصوب على ولا تدخلوها ﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ﴾ أي: يستأنس بعضكم ببعض لأجل حديث يحدثه به، أو مستأنسين حديث أهل البيت، واستئناسه: تسمعه وتوجسه.

ولا بد في قوله: ﴿فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ﴾ من تقدير مضاف، أي: من إخراجكم، بدليل قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ ومعناه: إن إخراجكم حقّ ما ينبغي أن يستحيي منه، ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال قيل: والله لا يستحيي من الحقّ، بمعنى: لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم، وهذا أدب أدّب الله به الثقلاء. وعن عائشة قالت: (حسبك في الثقلاء أنّ الله تعالى لم يحتملهم وقال: (فإذا طعمتم فانتشروا))[٢].

والضمير في ﴿سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ لنساء النبيّ ﷺ، ولم يذكرن لأنّ الحال ينطق بذكرهن ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ﴾ المتاع. وقيل: إنّ رسول الله ﷺ كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة، فكره النبيّ ﷺ ذلك، فنزلت آية الحجاب[٣]. وروي أنّ بعضهم قال: أننهى أن نكلّم بنات عمنا إلا من وراء

---

(١) أسباب النزول: ٢٥٤.

(٢) الكشف والبيان ج٨: ٥٩.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٢٢: ٢٨.

الحجاب؟! لئن مات محمّد لأتزوجن عائشة[١]. وعن مقاتل: هو طلحة بن عبيد الله فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾[٢]. أي: وما صحّ لكم إيذاء رسول الله ولا نكاح ﴿أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾.

وسمّى نكاحهن بعده ﴿عَظِيمًا﴾ تعظيماً لرسول الله ﷺ، وإيجاباً لحرمته حياً وميتاً عليه أفضل الصلاة والسلام.

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا﴾ من نكاحهن على ألسنتكم ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في صدوركم فإنّ الله يعلم ذلك.

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾

لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ﷺ: أو نحن أيضاً نكلّمهن من وراء حجاب؟ فنزلت[٣].

أي: لا إثم عليهن في أن لا يحتجبن عن هؤلاء، ولم يذكر العم والخال لأنّهما

(١) أسباب النزول: ٢٥٥.

(٢) معالم التنزيل ج٣: ١٨٣.

(٣) الكشف والبيان ج٨: ٦٠.

يجريان مجرى الوالدين، وقد سمّى الله العم أباً في قوله: ﴿وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾[1] وإسماعيل عم يعقوب. وقيل: كره ترك الاحتجاب عنهما لأنّهما يصفانهن لأبنائهما، وأبناؤهما غير محارم[2].

﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ في نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب دلالة على فضل تشديد فيما أمرن به من الاحتجاب والاستتار، أي: واسلكن طريق التقوى فيما أمرتن به واحتطن فيه.

وكان الله ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من السرّ والعلن، وظاهر الحجاب وباطنه ﴿شَهِيدًا﴾ لا تتفاوت الأحوال في علمه.

صلاة الله على النبيّ عليه السلام هي ما يفعله به من إعلاء درجاته ورفع منازله وتعظيم شأنه وغير ذلك من أنواع كراماته، وصلاة الملائكة عليه مسألتهم الله عزّ اسمه أن يفعل به مثل ذلك.

﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ أي: قولوا: اللهم صل على محمّد وآل محمّد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم.

﴿وَسَلِّمُواْ﴾ له في الأمور ﴿تَسۡلِيمًا﴾ أي: انقادوا لأمره وأطيعوه، أو سلموا عليه بأن تقولوا: السلام عليك يا رسول الله.

﴿يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أذى الله تعالى عبارة عن أذى رسوله وأوليائه، وإنّما أضافه إلى نفسه مبالغة في تعظيم المعصية. وعن عليّ عليه السلام: ((حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وهو [آخذ بشعره فقال: من آذى شعرة منك فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله،

---

(١) البقرة: ١٣٣.

(٢) عن عكرمة. الدر المنثور ج ٥: ٢١٥.

ومن آذى][(١)] الله فعليه لعنة الله))[(٢)]. وقيّد إيذاء المؤمنين والمؤمنات بعد أن أطلق إيذاء الله ورسوله، لأنّ إيذاء الله ورسوله لا يكون إلا بغير حقّ أبداً.

ومعنى ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ﴾ بغير جناية أواستحقاق للأذى.

﴿بُهْتَٰنًا﴾ أي: كذباً، أي: فعلوا ما هو في الإثم مثل البهتان، يعني بذلك أذية اللسان.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ
مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ
فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ
تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ
لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

الجلباب: ثوب واسع، أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها. وعن ابن عباس: (الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل)[(٣)]، وقيل: الجلباب: الملحفة وكل ما يتستر به من كساء أو غيره[(٤)]. قال الشاعر:

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) شواهد التنزيل ج٢: ٩٨. أمالي الصدوق: ٢٧١.

(٣) الكشاف ج٣: ٥٥٩.

(٤) لسان العرب: مادة جلب.

مُجَلْبَبٌ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جِلْبَابَا[١]

ومعنى ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾: يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن، يقال إذا زلّ الثوب عن وجه المرأة: أدني ثوبك على وجهك. وذلك أنّ النساء كن في أوّل الإسلام على عادتهن في الجاهلية مبتذلات يبرزن[٢] في درع وخمار، لا فرق بين الحرّة والأمة، وكان أهل الشطارة والريبة يتعرضون للإماء، فربّما تعرضوا للحرّة بعلّة الأمة. فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الإماء لئلا يطمع فيهن طامع، وذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ أي: أقرب إلى أن لا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن. و(من) في: ﴿مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ للتبعيض، بمعنى: تجلبن ببعض جلابيبهن أو يرخين بعض جلابيبهن على الوجه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لما سلف منهن في ذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: ضعف في الإيمان، وقيل: هم الزناة وأهل الفجور[٣]، من قوله: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾[٤].

﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ بالأخبار المضعّفة لقلوب المسلمين عن سرايا النبيّ ﷺ، يقولون: هزموا وقتلوا، وأصله من الرجفة، وهي الزلزلة لكونه خبراً متزلزلاً غير ثابت. والمعنى: لئن لم ينته المنافقون من عداوتهم وكيدهم، والفسقة عن إيذاء النساء، والمرجفون عما يؤلفونه[٥] من أخبار السوء، لنأمرنك بأن تفعل

---

(١) ديوان الخنساء: ٧، وفيه: يعدو به سابح نهد مراكله   مجلبب بسواد....

(٢) في ب: يترددن.

(٣) عن عكرمة وغيره. تفسير الطبري ج٢٢: ٣٤.

(٤) الأحزاب: ٣٢.

(٥) في ب: يقولوه، وفي د: يقولونه.

بهم ما يسوؤهم وينوؤهم ويضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة، ثمّ لا يساكنونك في المدينة إلا زماناً قليلاً، فسمّى ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز.

﴿مَّلْعُونِينَ﴾ نصب على الشتم أو الحال، أي: ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ إلا ملعونين. دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معاً، كما مرّ ذكره في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾[١].

وقيل: إنّ ﴿قَلِيلًا﴾ منصوب على الحال أيضاً، أي: أقلاء أذلاء[٢]، و﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ عطف على ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾، فهو جواب آخر للقسم.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد، أي: سنّ الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا أينما ثقفوا.

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ
ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا
﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ
وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾
وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ
ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ
ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾

كان المشركون يسألون ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ ووقت قيامها استعجالاً على سبيل الإنكار، واليهود يسألون عن ذلك امتحاناً، فأمر رسول الله ﷺ بأن يجيبهم بأنّه

---

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٢٣٦.

علم قد استأثر الله به، ثمّ قال: لعلها ﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾ مجيئها، أو شيئاً قريباً، أو في زمان قريب.

والسعير: النار المسعورة.

وتقليب الوجوه معناه: تصريفها في الجهات، كما أنّ البضعة من اللحم تدور في القدر من جهة إلى جهة إذا استجمعت غلياً، أو تغييرها عن أحوالها، أو طرحها في النار منكوسين مقلوبين. وخصّ الوجوه بالذكر لأنّ الوجه أكرم الأعضاء، ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة.

وانتصب ﴿يَوْمَ﴾ بـ﴿يَقُولُونَ﴾ أو بـ(اذكر)، و﴿يَقُولُونَ﴾ حال.

وقرئ: ﴿سَادَتَنَا﴾ وساداتنا وهم رؤساء الكفرة الذين أضلوهم، وزيادة الألف لإطلاق الصوت، جعل فواصل الآي كقوافي الشعر، وفائدتها الوقف والدلالة على أنّ الكلام قد انقطع، وأنّ ما بعده مستأنف.

وقرئ ﴿كَبِيرًا﴾ بالباء والثاء، والكثرة أشبه بالموضع لأنّهم يلعنون مرة بعد مرة، والكبير بمعنى: الشديد العظيم.

أي: ﴿ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ ضعفاً لضلالهم وضعفاً لإضلالهم.

﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ قيل: نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه مما قاله بعض الناس. وقيل: في أذى موسى عليه السلام: هو حديث المومسة التي حملها قارون على قذفه بنفسها[(١)]. وقيل: اتهامهم إيّاه بقتل هارون، وقد كانا صعدا الجبل فمات هارون، فحملته الملائكة ومرّوا به على بني إسرائيل ميتاً، حتى عرفوا أنّه قد

---

(١) عن أبي العالية. معالم التنزيل ج٣: ١٨٥.

مات ولم يقتل[١]. وقيل: قذفوه بعيب في جسده، من برص أو أدرة[٢]، فأطلعهم الله على أنّه بريء منه[٣].

﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاه ومنزلة عنده، فلذلك كان يميط عنه التهم، ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم، كما يفعل الملوك بمن له عندهم وجاهة.

والمعنى: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ﴾ من قولهم أو من مقولهم، فيكون ما مصدرية أو موصولة. والمراد بالقول أو المقول مضمونه ومؤداه، وهو الأمر المعيب، كما سمّوا السبة بالقالة، والقالة بمعنى القول.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾

﴿قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ أي: قاصداً إلى الحقّ، والسداد: القصد إلى الحقّ والقول بالعدل، يقال: سدد السهم نحو الرمية، كما قالوا: سهم قاصد. وقيل: إنّ المراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير عدل في القول[٤]، وهو بعث

(١) عن ابن عباس وغيره. الدر المنثور ج٥: ٢٢٤.

(٢) الأدرة: نفخة في الخصية. (الصحاح: مادة أدر)

(٣) عن أبي هريرة مرفوعاً. تفسير الطبري ج٢٢: ٣٧.

(٤) عن ابن حيان. الكشف والبيان ج٨: ٦٧.

على أن يسدّ قولهم في كل باب، لأنّ حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله. والمعنى: احفظوا ألسنتكم وسددوا قولكم، فإنّكم إذا فعلتم ذلك أعطاكم الله غاية مطلوبكم من تزكية أعمالكم، وتقبل حسناتكم، ومغفرة سيئاتكم.

ولما علّق سبحانه طاعته وطاعة رسوله بالفوز العظيم أتبعه قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ وهو يريد بالأمانة: الطاعة، فعظّم أمرها. والمعنى: إنّ هذه الأجرام العظام قد انقادت لأمر الله فلم تمتنع على مشيئته إيجاداً وتكويناً وتسوية على أشكال متنوعة وصفات مختلفة، وأما الإنسان فلم يكن حاله فيما يصحّ منه من الطاعة ويليق به من الانقياد [لأوامر الله ونواهيه](١)، وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصحّ منها من الانقياد وعدم الامتناع.

والمراد بالأمانة: الطاعة لأنّها لازمة الأداء، وعرضها على الجمادات وإباؤها وإشفاقها مجازاً، وأما حمل الأمانة فمن قولك: فلان حامل الأمانة ومحتمل لها، تريد لا يؤديها إلى صاحبها حتى يخرج من عهدتها، لأنّ الأمانة كأنّها راكبة للمؤتمن عليها، فإذا أداها لم تبق راكبة له ولم يكن هو حاملاً لها.

فالمعنى: ﴿فَأَبَيْنَ﴾ أن لا يؤدينها وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملاً لها لا يؤديها، ثمّ وصفه بالظلم لكونه تاركاً لأداء الأمانة، وبالجهل لإغفاله ما يسعده مع تمكّنه من ذلك بأن يؤدي الأمانة.

واللام في ﴿لِّيُعَذِّبَ﴾ لام التعليل على طريق المجاز، لأنّ التعذيب نتيجة حمل الأمانة، كما أنّ التأديب في قولك: ضربته للتأديب نتيجة الضرب، أي: ليعذّب الله حامل الأمانة ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ﴾ على غيره ممن لم يحملها، لأنّه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعاً من عذاب الغادر.

---

(١) ساقطة من ج.

سورة سبأ

مكية وهي أربع وخمسون آية.

وفي حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (سورة سبأ) لم يبق نبيّ ولا رسول إلا كان له يوم القيامة رفيقاً ومصافحاً))[١]، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ الحمدين جميعاً (سبأ وفاطر) في ليلة لم يزل في ليلته في حفظ الله وكلاءته، فإن قرأهما في نهاره لم يصبه فيه مكروه، وأُعطي من خير الدنيا والآخرة ما لم يخطر على قلبه ولم يبلغه مناه))[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى
ٱلْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ
مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ
﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ
عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾
لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ

---

(١) الكشف والبيان ج٨: ٦٩.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٠.

﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥﴾

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ كله نعمة من الله، فكأنّه سبحانه وصف نفسه بالإنعام بجميع النعم الدنيوية، فمعناه: إنّه المحمود على نعم [الدنيا.

﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ إيذان بأنّه المحمود على نعم][1] الآخرة، وهي الثواب الدائم والنعيم المقيم.

﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي أحكم أمور الدارين ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ بكل كائن وبكل ما سيكون.

﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من مطر أو كنز أو ميت ﴿وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ من نبات أو جوهر أو حيوان ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من ملك أو مطر أو رزق، ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾ أي: ما يصعد من الملائكة وأعمال العباد.

﴿وَهُوَ﴾ مع كثرة نعمه وسبوغ فضله ﴿ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ لعباده المقصّرين في أداء الواجب من شكره.

قال منكرو البعث: ﴿لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ وهو نفي أو استبطاء على طريق الهزء.

﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾ أوجب ما بعد النفي بـ﴿بَلَىٰ﴾ على معنى: أن ليس الأمر إلا إتيانها، ثمّ أكّده بالقسم بالله عزّ وجل، ثمّ أكّد التوكيد القسمي بما أتبعه من وصف المقسم به بأنّه ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ لا يفوته ﴿مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فيندرج تحته علمه بوقت قيام الساعة.

---

(١) ساقطة من ج.

ثمّ أتبع القسم الحجّة القاطعة وهو ﴿لِّيَجْزِيَ﴾ لأنّه ركّب في العقول أنّ المحسن لابد له من ثواب، والمسيء مستوجب العقاب، فاتصل ﴿لِّيَجْزِيَ﴾ بقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ تعليلاً له.

وقرئ: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ وعلام الغيب بالجر صفة لـ﴿رَبِّي﴾ وقرئ: ﴿عَالِمِ﴾ بالرفع على المدح، [و﴿لَا يَعْزُبُ﴾ بالضم والكسر من العزوب، وهو البعد][1].

﴿وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ ذلك إشارة إلى ﴿مِثْقَالُ﴾، وارتفع ﴿أَصْغَرُ﴾ على أصل الابتداء، وهو كلام منقطع عما قبله، ولا يجوز أن يكون ﴿أَصْغَرُ﴾ عطفاً على ﴿مِثْقَالُ﴾ لأنّ حرف الاستثناء يأباه.

﴿سَعَوْ فِي آيَاتِنَا﴾ أي: عملوا بجهدهم في إبطال حججنا وبيّناتنا مقدّرين إعجاز ربّهم، أو ظانين أنّهم يفوتونه. وقرئ: معجزين، وقد مرّ ذكره في سورة الحج[2]. [وقرئ: ﴿أَلِيمٌ﴾ بالرفع والجر. والرجز: أسوأ العذاب، والجر في (أليم) أبين صفة لـ﴿رِّجْزٍ﴾][3].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ
الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ
لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ
يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

---

(١) ساقطة من ب، ج.

(٢) الآية: ٥١

(٣) ساقطة من د.

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾

﴿يَرَى﴾ في موضع الرفع، أي: ويعلم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهم أصحاب رسول الله، أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ ... ٱلْحَقَّ﴾ وهما مفعولان لـ﴿يَرَى﴾ وهو فصل. وقيل: (﴿وَيَرَى﴾ في موضع النصب عطفاً على ﴿لِيَجْزِيَ﴾)[1]، أي: وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنّه الحقّ علماً لا يتخالجه ريب، و﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ هو القرآن.

﴿وَيَهْدِىٓ﴾ القرآن ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي لا يغالب ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ على جميع أفعاله وهو الله سبحانه.

والعامل في ﴿إِذَا﴾ ما دلّ عليه قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وقد مرّ نظيره[2]، والممزّق مصدر أو مكان.

وأسقطت الهمزة في قوله: ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ دون قوله: (السحر) وكلتاهما همزة وصل، لأنّ القياس طرحها، ولكن لم تطرح هناك لخوف التباس الاستفهام بالخبر، لكون همزة الوصل مفتوحة، وهي مكسورة هنا فلا التباس، أي: أهو مفتر ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فيما نسب إليه ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ جنون يوهمه ذلك.

ثمّ قال: ليس محمّد من الافتراء والجنون في شيء، ﴿بَلِ﴾ هؤلاء الكافرون بالبعث واقعون ﴿فِى﴾ عذاب النار ﴿وَٱلضَّلَٰلِ﴾ عن الحقّ وذلك أجن الجنون، ولما كان العذاب من لوازم الضلال جعلا كأنّهما مفتريان[3].

---

(١) إعراب القرآن ج٣: ٣٣٢.

(٢) السجدة: ١٠.

(٣) في د: مقترنان.

ووصف الضلال بـ﴿ٱلۡبَعِيدِ﴾ من الإسناد المجازي، لأنّ البعيد صفة الضال إذا بعد عن الجادة.

﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ أي: أعموا فلم ينظروا إلى ﴿ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وأنّهما ـ حيثما كانوا ـ محيطتان بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما؟ وقيل: أفلم يتفكروا فيهما ولم يستدلّوا بذلك على قدرتنا[1].

ثمّ ذكر سبحانه قدرته على إهلاكهم بأن يخسف ﴿بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ كما خسف بقارون، أو يسقط ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ قطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما لدلالة ﴿لِّكُلِّ عَبۡدٖ﴾ مطيع لله راجع إليه. وقرئ: ﴿إِن نَّشَأۡ﴾ ﴿نَخۡسِفۡ﴾ و﴿نُسۡقِطۡ﴾ بالياء والنون في الجميع، وأدغم الكسائي الفاء في الباء في ﴿نَخۡسِفۡ بِهِمُ﴾ وليس بقويّ.

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا
لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ
صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا
شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ
بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ
ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ
كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ
عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ
إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ

---

(١) عن قتادة. تفسير الماوردي ج٤: ٤٣٤.

﴿كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ١٤﴾

﴿يَـٰجِبَالُ﴾ إما أن يكون بدلاً من ﴿فَضْلًا﴾، وإما من ﴿ءَاتَيْنَا﴾ بتقدير قولنا: يا جبال، أو قلنا: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾ من التأويب، أي: رجّعي معه التسبيح، ويجوز أن يكون الله سبحانه خلق فيها تسبيحاً كما خلق الكلام في الشجرة، فيسمع من الجبال التسبيح كما يسمع من المسبّح معجزة لداود.

وقرئ: ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ رفعاً ونصباً عطفاً على لفظ الجبال ومحلّها. وجوزوا أن ينتصب بالعطف على ﴿فَضْلًا﴾ بمعنى: وسخرنا له الطير، أو على أنّه مفعول معه.

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ وجعلناه له ليناً كالطين والشمع يصرفه بيده كيف شاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة.

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ﴾ أي: دروعاً واسعة صافية، وهو أوّل من اتخذها[1]، وكانت قبل صفائح.

﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ أي: في نسج الدروع، فلا تجعل مساميرها دقاقاً فتغلق، ولا غلاظاً فتفصم الحلق.

﴿وَٱعْمَلُوا۟﴾ الضمير لداود وأهله.

وسخرنا ﴿لِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ وقرئ: الريح بالرفع، أي: ولسليمان الريح مسخّرة، أو وله تسخير الريح.

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر، وجريها بالعشي كذلك.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي: أذبنا له معدن النحاس وأظهرناه له، ينبع كما ينبع الماء من العين، فلذلك سمّاه: عين القطر تسمية بما آل إليه، كما قال: ﴿إِنِّىٓ

(١) في ج: أحدثها.

﴿أَرَانِي أَعۡصِرُ خَمۡرًا﴾[1]، وسخرنا له ﴿مِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ﴾ بحضرته ما يأمرهم به من الأعمال.

﴿وَمَن يَزِغۡ﴾ أي: ومن يعدل ﴿مِنۡهُمۡ﴾ عما أمرناهم به من طاعة سليمان ﴿نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ في الآخرة، وقيل: في الدنيا، وقد وكّل الله به ملكاً بيده سوط يضربه ضربة تحرقه[2].

والمحاريب: البيوت الشريفة، وقيل: هي المساجد والقصور يتعبد فيها[3].

﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ قيل: كانت غير صور الحيوان، كصور الأشجار وغيرها، لأنّ التمثال: كل ما صوّر على صورة غيره من حيوان وغير حيوان، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام[4]. وروي أنّهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما، وإذا قعد أظلّه النسران بأجنحتهما من الشمس[5].

والجوابي: الحياض الكبار لأنّ الماء يجبى فيها أي: يجمع. جعل الفعل لها مجازاً وهي من الصفات الغالبة كالدابة، والقياس أن تثبت الياء فيه، ومن حذف الياء في الوقف أو في الوصل والوقف فلأنّه مشبه بالفاصلة.

﴿ٱعۡمَلُوٓاْ﴾ حكاية ما قيل لآل داود، وانتصب ﴿شُكۡرًا﴾ على أنّه مفعول له، والمعنى: اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمه، وفيه دلالة على أنّ العبادة

---

(١) يوسف: ٣٦

(٢) عن يحيى بن سلام. تفسير الماوردي ج٤: ٤٣٨.

(٣) عن قتادة. تفسير الطبري ج٢٢: ٤٩.

(٤) الكافي ج٦: ٥٢٧.

(٥) العرائس: ١٨٠.

يجب أن تؤدى على وجه الشكر، أو على الحال، أي: شاكرين أو على تقدير: اشكروا شكراً، لأنّ اعملوا فيه معنى الشكر من حيث أنّ العمل للمنعم شكر له.

و﴿ٱلشَّكُورُ﴾: المتوفر على أداء الشكر، الباذل وسعه فيه، وقد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً وكدحاً.

﴿فَلَمَّا﴾ حكمنا على سليمان ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ ما دلّ الجن ﴿عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ وهي الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ وهي العصا الكبيرة يسوق بها الراعي غنمه، من: نسأته أي زجرته، وقرئ: منسأته بتخفيف الهمزة.

﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ من تبيّن الشيء إذا ظهر وتجلى، و﴿أَن﴾ مع صلتها بدل من ﴿ٱلْجِنُّ﴾ وهو بدل الاشتمال، تقول: تبيّن زيد جهله. أي: ظهر أنّ الجن ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾، أو علم الجن كلهم علماً بيناً بعد التباس الأمر على عامتهم وتوهمهم أنّ كبارهم يعلمون الغيب، وعنهمعليهم السلام: تبينت الإنس، وهو قراءة أُبيّ، ويكون الضمير في ﴿كَانُوا۟﴾ للجن في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: علمت الإنس أن لو كان الجن [يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا، وفي قراءة ابن مسعود: تبينت الإنس أن الجن][(١)] لو كانوا يعلمون. وكان عمر سليمان ثلاثاً وخمسين سنة، وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فمدة ملكه أربعون سنة[(٢)].

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ

(١) ساقطة من د.

(٢) الكشف والبيان ج٨: ٨١.

﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ
جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ
سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ
أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ
إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾

سبأ: أبو عرب اليمن كلها ﴿فِى مَسْكَنِهِمْ﴾ أي: بلدهم. وقرئ: مساكنهم.

﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل من ﴿ءَايَةٌ﴾ أو خبر مبتدأ محذوف، أي: الآية جنّتان، ومعنى كونها آية: إنّ أهلها أعرضوا عن شكر الله عليها فخربها الله وأبدلهم عنها الخمط والأثل آية وعبرة لهم ولغيرهم، وقيل: إنّ الآية أنّه لم يكن في بلدهم بعوضة ولا ذباب ولا عقرب ولا حية، وكان الغريب إذا دخل بلدهم وفي ثيابه قمل ماتت[1].

ولم يرد بستانين فحسب، وإنّما أراد جماعتين من البساتين، جماعة عن يمين بلدتهم وأخرى عن شمالها، وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامّها كأنّها جنّة واحدة، أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله، كما قال: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾[2].

﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ إما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون إليهم، أو لما قال لهم لسان الحال.

---

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج٢٢: ٥٣.

(٢) الكهف: ٣٢.

﴿بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ﴾ أي: هذه البلدة بلدة طيبة مخصبة، نزهة أرضها عذبة ليست بسبخة.

﴿وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾ أي: ربّكم الذي رزقكم وطلب شكركم غفور لمن شكره.

﴿فَأَعۡرَضُواْ﴾ عن الحقّ ولم يشكروا الله عزّ اسمه.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ﴾ والعرم: اسم الجرذ الذي نقب عليهم السكر[1]، ضربت لهم بلقيس الملكة بسدّ ما بين الجبلين بالصخر والقار، فحقنت به ماء العيون والأمطار، وتركت فيه خروقاً على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم، فلما طغوا سلّط الله على سدّهم الخلد[2] فنقبه من أسفله فغرّقهم، وقيل: العرم: جمع عرمة وهي الحجارة المركومة[3]، ويقال للكدس من الطعام: عرمة، والمراد: المسناة التي عقدوها سكراً. وقيل: العرم اسم واد كان يجتمع فيه السيول[4]، وقيل: العرم: المطر الشديد.

وقرئ: ﴿أُكُلٍ﴾ بالضم والسكون، وبالتنوين والإضافة، ومن نوّن فالأصل ذواتي أكل أكل خمط، فحذف المضاف، أو وصف الأكل بالخمط، فكأنّه قال: ذواتي أكل بشع، ومن أضاف فكأنّه قال: ذواتي برير[5]، لأنّ أكل الخمط في معنى البرير، والأثل والسدر معطوفان على ﴿أُكُلٍ﴾ لا على ﴿خَمۡطٖ﴾، لأنّ الأثل لا أكل له، وتسمية البدل ﴿جَنَّتَيۡنِ﴾ لأجل المشاكلة، وفيه ضرب من

(١) سكرت النهر: سددته. (الصحاح: مادة سكر)

(٢) الخُلد: ضرب من الجرذان أعمى. (الصحاح: مادة خلد)

(٣) عن أبي ميسرة. تفسير الطبري ج٢٢: ٥٤.

(٤) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٢٢: ٥٥.

(٥) البَرير: ثمر الاراك، واحدتها بَريرة. (الصحاح: مادة برر)

التهكّم، وعن الحسن: (قلّل السدر لأنّه أكرم ما بدلوا)(١).

وقرئ: ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ﴾ بالنون، والمعنى: ومثل هذا الجزاء لا يستحقّه إلا الكافر، وهو العقاب العاجل.

﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ﴾ قرى الشام ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر ﴿قُرٗى ظَٰهِرَةٗ﴾ متواصلة، يرى بعضها من بعض لتقاربها، فهي ظاهرة لأعين الناظرين، أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسائلة.

﴿وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَ﴾ من القرية إلى القرية مقداراً واحداً، كان الغادي منهم يقيل في قرية، والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ الشام، لا يخاف جوعاً ولا عطشاً ولا عدوّاً، ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء.

﴿سِيرُواْ﴾ أي: وقلنا لهم: سيروا ولا قول ثَمَّ، لكن لما سهّلت لهم أسباب السير فكأنّهم أمروا به. والمعنى: سيروا إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار، فإنّ الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات، أو سيروا فيها ﴿ءَامِنِينَ﴾ لا تخافون وإن تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أيّاماً وليالي.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ﴾ وبعّد على الدعاء، بطروا النعمة وملّوا العافية فطلبوا الكد والتعب، وقرئ: ربُّنا باعَدَ بين أسفارنا وهو قراءة الباقر عليه السلام. (ربّنا) مبتدأ والمعنى خلاف الأوّل، وهو أنّهم استبعدوا مسائرهم على قصرها لفرط تنعمهم.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾ يتحدّث الناس بهم، وفرّقناهم تفريقاً اتخذه الناس مثلاً مضروباً، يقولون: (ذهبوا أيدي سبأ)، و(تفرّقوا أيادي سبأ)(٢)، قال كثير:

---

(١) الكشاف ج٣: ٥٧٦.

(٢) مجمع الأمثال ج٢: ٤.

أَيَادِي سَبَأ يَا عِزُّ مَا كُنْتُ بَعْدَكُمْ ... فَلَمْ يَحْلُ بِالعَيْنَيْنِ بَعْدَكِ مَنْظَرُ[1]

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ﴾ وعبراً ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٍ﴾ للنعم بالطاعات.

وقرئ: ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد والتخفيف، فمن شدد فعلى: حقّق [﴿عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾، أو وجده صادقاً، ومن خفف فعلى: صدق][2] في ظنه. وقرئ: صدق بالتشديد إبليس بالنصب ظنه بالرفع، والمعنى: وجد ظنه صادقاً حين قال: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3]، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[4]، ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[5].

والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعود إلى أهل سبأ، وقيل: يعود إلى الناس كلهم إلا من أطاع الله[6] وذلك قوله: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ

---

(١) ديوان كثير: ٣٢٨.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) الإسراء: ٦٢.

(٤) الأعراف: ١٧.

(٥) الحجر: ٣٩.

(٦) عن مجاهد. الدر المنثور ج٥: ٢٣٥.

حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾

[أي: لم يكن لإبليس عليهم من سلطنة واستيلاء][1] يتمكّن بها من إجبارهم على البغي والضلال، كما قال: [﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ﴾[2] وتمكينه من الاستغواء بالوسوسة لغرض][3] صحيح وحكمة بالغة، وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها، وعلل ذلك بالعلم والمراد ما تعلّق به الحكم[4].

والحفيظ: المحافظ، وفعيل ومفاعل متآخيان.

وأحد مفعولي ﴿زَعَمۡتُم﴾ الضمير المحذوف الراجع منه إلى الموصول، والمفعول الثاني: إما أن يكون ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أو ﴿لَا يَمۡلِكُونَ﴾ أو محذوفاً، فلا يصحّ الأوّل لأنّ قولك: هم من دون الله لا يلتئم كلاماً، ولا الثاني لأنّهم ما كانوا يزعمون ذلك، فبقي أن يكون محذوفاً تقديره: زعمتموهم آلهة من دون الله، فحذف الموصوف لكونه مفهوماً، وأقام صفته مقامه، فمفعولا ﴿زَعَمۡتُم﴾ محذوفان كما ترى بسببين مختلفين.

ثمّ أخبر عن آلهتهم بأنّهم ﴿لَا يَمۡلِكُونَ﴾ زنة ذرّة من خير وشرّ ونفع وضرّ

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) إبراهيم: ٢٢.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) في د: العلم.

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وليس لهم في شيء منهما نصيب ولا ﴿شِرْكٍ﴾ وليس لله ﴿مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ على خلق شيء منهما.

يقال: الشفاعة لزيد على معنى: إنّه الشافع، وعلى معنى إنّه المشفوع له، فيحتمل قوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا﴾ كائنة ﴿لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ من الشافعين ومطلقة له، مثل الملائكة والأنبياء والأولياء، أو لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له أي: لشفيعه، وهذا تكذيب لقولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾[1].

واتصل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ بما فهم من هذا الكلام من أنّ ثمّ انتظاراً للإذن وفزعاً من الراجين للشفاعة، والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن، وأنّه لا يطلق الإذن إلا بعد تربّص وتوقف، فكأنّه قال: يتربّصون ملياً فزعين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بأن يأذن ربّ العزّة في الشفاعة تباشروا بذلك، وسأل بعضهم بعضاً: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟﴾ القول ﴿ٱلْحَقَّ﴾ وهو الإذن بأن يشفعوا لمن ارتضى.

وقرئ: ﴿أَذِنَ لَهُۥ﴾ أي: أذن الله له، وأذن له على البناء للمفعول، وقرئ: (فزع) على البناء للفاعل، وهو الله وحده.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ ذو العلو والكبرياء، لا يملك أحد أن يتكلّم ذلك اليوم إلا بإذنه.

ثمّ أمره عزّ اسمه أن يقررهم بقوله: ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾ ثمّ أمره أن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله: يرزقكم ﴿ٱللَّهُ﴾ وذلك للإعلام بأنّهم مقرّون به بقلوبهم إلا أنّه ربّما لم يتكلّموا به عناداً، وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ معناه: إنّ أحد الفريقين من الموحدين ومن

---
(١) يونس: ١٨.

المشركين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال، وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه قال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك، وفي درجه بعد تقديم ما قدّم من التقرير البليغ، دلالة على من هو على الهدى ومن هو في الضلال المبيّن من الفريقين، ونحوه قول القائل لغيره: إنّ أحدنا لكاذب، وإن كان الكاذب معلوماً، ومنه قول حسان:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ   فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ[1]

﴿عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ من المعاصي ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ﴾ تعملونه، بل كل إنسان يُسأل عما يعمله ويجازى على فعله دون فعل غيره.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٧ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٨ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٩ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٠﴾

﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي: يحكم بيننا ويفصل ﴿بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالحكم.

ومعنى قوله: ﴿أَرُونِىَ﴾ وقد كان يراهم ويعرفهم، أنّه أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله، وينبئهم عن ضلالهم في ذلك.

و﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن مذهبهم، ونبّه على غلطهم الفاحش بقوله: ﴿بَلْ هُوَ

---

(١) ديوان حسان بن ثابت: ١٣.

﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ كأنّه قال: أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات إذ هي لله عزّ اسمه وحده.

﴿إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: إلا رسالة عامة لهم محيطة بهم، لأنّها إذا عمّتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم، قال الزجّاج: (معناه: أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والإبلاغ)[1]، فجعله حالاً من الكاف، والتاء للمبالغة كتاء الراوية والعلامة.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما لهم في اتباعك من الثواب، وما عليهم في مخالفتك من العقاب، أو لا يعلمون رسالتك لإعراضهم عن النظر في معجزتك.

﴿مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ أي: ميقات يوم ينزل بكم فيه ما وعدتموه، وهو إضافة تبيين كـ(سحق ثوب) و(باب ساج).

سألوا على طريق التعنت فأجيبوا على طريق التهديد أنّهم مرصدون بيوم يفاجئهم، فلا يستطيعون تأخراً عنه ولا تقدّماً عليه.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى
بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ
بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ
ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟
لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ
كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ
مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه. ج٤: ٢٥٤.

﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ كتب الله المتقدّمة، وقيل: هو يوم القيامة[1]، ومعناه: إنّهم جحدوا أن يكون القرآن من قبل[2] الله، وأن يكون للبعث والجزاء حقيقة. ثمّ أخبر سبحانه عن عاقبة أمرهم بأن قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمّد أو أيّها السامع موقفهم في الآخرة وهم يتراجعون المجادلة بينهم، لرأيت أمراً عجيباً، فحذف جواب (لو).

و﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ هم الأتباع، و﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ هم الرؤساء والقادة.

وقوله: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ إنكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الإيمان، وإثبات أنّهم هم الذين صدّوا بأنفسهم عنه باختيارهم، كأنّهم قالوا: أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين اختياركم؟! بل أنتم آثرتم الضلال على الهدى، وأمر الشهوة على أمر النُهى فكنتم مجرمين كافرين.

وقوله: ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ أضيف ﴿بَعْدَ﴾ إلى ﴿إِذْ﴾ اتساعاً مع كونها من الظروف اللازمة، كما أضيفت هي إلى الجملة التي هي ﴿جَآءَكُم﴾ فقد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره، فأضيف إليه الزمان وأضيف إلى الجمل نحو: حينئذ ويومئذ، وجئتك أوان الحجّاج أمير وحين خرج زيد.

---

(١) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج٤: ٤٥١.

(٢) في ب: كتب.

ثمّ كرّ المستضعفون على المستكبرين بقولهم: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم، كأنّهم قالوا: ما كان الإجرام من جهتنا، بل من جهة مكركم لنا دائباً ليلاً ونهاراً، وحملكم إيّانا على الكفر واتخاذ الأنداد. والمعنى: مكركم في الليل والنهار، فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به في إضافة المكر إليه، أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي.

والضمير في ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ ضمير الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين، وهم الظالمون في قوله سبحانه: ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ﴾ فندم الرؤساء على ضلالهم وإضلالهم، والأتباع على ضلالهم. والمعنى: أخفوا الندامة. وقيل: أظهروها[1]، وهو من الأضداد، وقد فسّر على الوجهين بيت امرئ القيس:

تَجاوَزْتُ أَحْراساً إِلَيْها وَمَعْشَراً   عَلَيَّ حِراصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي[2]

﴿فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: في أعناقهم فجاء بالمظهر للتنويه بذمهم.

قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ
إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ
وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ
أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ
وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ
أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا

(١) الكشف والبيان ج٨: ٩١.

(٢) ديوان امرئ القيس: ١٣ وفيه: تجاوزت أحراساً وأهوال معشر   عليّ حراصٍ لو يشرون مقتلي

مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾
فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ
ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ ﴾ التي خولتموها ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم ﴾ التي رزقتموها بالجماعة التي ﴿تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا﴾ قربة، والزلفى والزلفة كالقربى والقربة، ومحلّ ﴿زُلۡفَىٰٓ ﴾ نصب على المصدر، فهو كقوله: ﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا﴾[1].

﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ ﴾ استثناء من (كم) في ﴿تُقَرِّبُكُمۡ﴾ والمعنى: إنّ الأموال لا تقرّب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، والأولاد لا تقرّب أحداً إلا من رشحهم للصلاح وعلّمهم الدين.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾ بأن يضاعف لهم حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشراً فصاعداً إلى سبعمائة وأكثر، وجزاء الضعف من إضافة المصدر إلى المفعول. وأصله: فأولئك لهم أن يجازوا الضعف، ثمّ جزاء الضعف. وقرئ: جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء، وقرئ: في الغرفة على التوحيد.

و﴿فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ﴾ على الجمع، وهي البيوت فوق الأبنية.

﴿ءَامِنُونَ ﴾ من الغِيَرَ[2] والآفات والموت والحزن.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ ﴾ يجتهدون ﴿فِيٓ﴾إبطال ﴿ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ ﴾ لأنبيائنا، ومعجزين: مثبطين غيرهم عن طاعتهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ محصلون في العذاب أحضروا فيه.

---

(١) نوح: ١٧.

(٢) غِيَرَ الدهر: أحواله المتغيرة. (لسان العرب: مادة غير)

وكرر قوله: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ لأنّ الأوّل خوطب به الكفار، والثاني وعظ للمؤمنين، فكأنّه قال: ليس إغناء الكفار لكرامتهم، وإغناء المؤمنين يجوز أن يكون زيادة في سعادتهم بأن ينفقوها في سبيل الله، ويدلّ عليه قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾ أي: يعوّضه ويعطيكم خلفه، إما عاجلاً بزيادة النعمة، وإما آجلاً بالثواب الذي كل خلف دونهم.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا﴾ الغرض من سؤال الملائكة أن يقول ويقولوا، ويسأل ويجيبوا، فيكون تقريع الكفار أبلغ وتعييرهم أشدّ، ويكون اقتصاص ذلك زجراً للسامع ولطفاً له، ونحوه قوله: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[1].

والموالاة مفاعلة من الولي وهو القرب، كما أنّ المعاداة مفاعلة من العدو وهي البعد، والولي يقع على الموالي والموالى جميعاً، والمعنى: أنت الذي نواليه من دونهم إذ لا موالاة بيننا وبينهم، فبيّنوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم.

﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّ﴾ يريدون الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله.

وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن
يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٣﴾
وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن

(١) المائدة: ١١٦.

نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ
فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ
أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن
جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا
سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

﴿هَٰذَآ﴾ الأولى إشارة إلى رسول الله، والثانية إلى القرآن، والثالثة إلى الحقّ، والحقّ أمر النبوّة كله ودين الإسلام كما هو.

وفي قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ولم يقل قالوا، وفي قوله: ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه، وما في ﴿لَمَّا﴾ من المبادهة بالكفر؛ دليل على أنّ الكلام صدر عن إنكار عظيم وغضب شديد، كأنّه قال: وقال أولئك الكفرة المتمرّدون بجرأتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحقّ الواضح قبل أن يختبروه ويتدبّروه: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ فقضوا بأنّه سحر ظاهر.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ كتباً يدرسونها فيها برهان على صحّة الشرك، ولا ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ﴾ نذيراً ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا كما قال: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾[1] أو أراد: ليس لهم عهد بإنزال الكتاب ولا بعث رسول، فهم أميون أهل جاهلية لا ملة لهم، كما قال: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾[2].

ثمّ توعّدهم على تكذيبهم فقال: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كما كذّبوا،

(١) الروم: ٣٥.

(٢) الزخرف: ٢١.

وما بلغ هؤلاء ﴿مِعْشَارَ﴾ ما آتينا أولئك من طول الأعمار وكثرة الأموال وعظم الأجسام، فحين كذبوا ﴿رُسُلِي﴾ جاءهم نكيري، أي: عقوبتي وتغييري لأحوالهم بالتدمير والاستئصال، ولم يغن عنهم ما استظهروا به من القوة والثروة، فما بال هؤلاء لا يحذرون أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك من النقمة؟!.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم﴾ بخصلة واحدة، وفسّرها بقوله: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ﴾ على أنّه عطف بيان لها، وأراد بقيامهم: إما القيام عن مجلس رسول الله ﷺ وتفرّقهم عنه، وإما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمّة. والمعنى: إنّما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحقّ، وهي أن تقوموا لوجه الله خالصاً اثنين اثنين وواحداً واحداً.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ في أمر محمّد وما جاء به بعدل وإنصاف من غير عناد ومكابرة.

وأراد بقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ إنّ هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعاً لا يتصدى لادّعاء مثله إلا أحد رجلين: إما مجنون لا يبالي بافتضاحه إذا طولب بالبرهان فعجز، وإما عاقل كامل مرشح للنبوّة مؤيد من عند الله بالآيات والحجج، وقد علمتم أنّ محمّداً ما به من جنون، بل علمتموه أرجح الناس عقلاً، وأصدقهم قولاً، وأجمعهم للمحامد.

و﴿مَا﴾ للنفي، أو يكون استئناف كلام تنبيهاً من الله على طريقة النظر في أمر رسول الله ﷺ، ويجوز أن يكون المعنى: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ فتعلموا ما بصاحبكم من جنّة. ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ استفهامية بمعنى: أي شيء به من جنّة؟ وهل رأيتم من منشئه إلى مبعثه وصمة فيه تنافي النبوّة؟.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: مخوف ﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يوم القيامة.

﴿مَا سَأَلۡتُكُم﴾ تقديره: أي شيء سألتكم ﴿مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡ﴾ وفيه معنيان: أحدهما: نفي مسألة الأجر رأساً كما يقول الرجل لصاحبه: إن أعطيتني شيئاً فخذه، وهو يعلم أنّه لم يعطه شيئاً، والمراد: لا أسألكم على تبليغ الرسالة شيئاً من عرض الدنيا فتتهموني، والآخر: أن يريد بالأجر ما يريده في قوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[١] وفي قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ [عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٢]؛ لأنّ اتخاذ السبيل إلى الله يصيبهم، ونفعه عائد إليهم، وكذلك المودة في القربى لأنّ ذخرها لهم دونه.

﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: ليس ثواب عملي إلا على الله فهو][٣] يثيبني عليه.

القذف: الرمي، وهو مستعار لمعنى الإلقاء، ومعنى ﴿يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾: يلقيه وينزله إلى أنبيائه، أو يلقيه على الباطل فيدمغه ويزهقه.

﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ رفع محمول على محلّ ﴿إِنَّ﴾ مع اسمها، أو هو خبر مبتدأ محذوف.

قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ
فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ
سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن
مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ
بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ

---

(١) الفرقان: ٥٧.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) ساقطة من ج.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾

الحقّ: إما أن يبدئ فعلاً أو يعيده، فإذا هلك لم يكن منه إبداء ولا إعادة، فجعلوا قولهم: لا يبدئ ولا يعيد مثلاً للهلاك، ومنه قول عبيد:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ   فَاليَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ[١]

والمعنى: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ وهلك الباطل، وعن ابن مسعود قال: دخل رسول الله ﷺ مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ((جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً، جاء الحقّ وما يبدئ الباطل وما يعيد))[٢].

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ عن الحقّ كما زعمتم.

﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ أي: فإنّما يرجع وبال الضلال عليّ لأنّي المأخوذ به دون غيري.

﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ﴾ إلى الحقّ فبفضل ﴿رَبِّى﴾ حيث أوحى إليّ فله المنة بذلك عليّ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جوابه محذوف والتقدير: لرأيت أمراً عظيماً.

و﴿لَوْ﴾ و﴿إِذْ﴾ والأفعال التي هي ﴿فَزِعُوا... وَأُخِذُوا... وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ كلها للمضي، والمراد بها الاستقبال؛ لأنّ ما الله تعالى فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحقّقه، ووقت الفزع: وقت البعث.

﴿فَلَا فَوْتَ﴾ لا يفوت منهم أحد.

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص: ٥٢.

(٢) معجم الطبراني الكبير ج١٠: ١٩١.

والمكان القريب يعني به القبر، وقيل: هو فزعهم عند الموت ومعاينة ملائكة العذاب لقبض أرواحهم[١]، وقيل: يوم بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فراراً[٢]، وقيل: هو جيش[٣] يخسف بهم بالبيداء، يؤخذون من تحت أقدامهم[٤].

﴿وَأُخِذُواْ﴾ عطف على ﴿فَزِعُواْ﴾ أي: فزعوا [وأخذوا فلا فوت لهم، أو على ﴿لَا فَوْتَ﴾ أي: إذ فزعوا][٥] فلم يفوتوا وأخذوا.

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي: ويقولون في ذلك الوقت: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بمحمّد ﷺ؛ لأنّ ذكره مرّ في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ وهو التناول السهل لشيء قريب، وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون، وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا، مثّلت حالهم بحال من يريد تناول الشيء من مكان بعيد مثل ما يتناوله الآخر من موضع قريب تناولاً سهلاً، وقرئ: التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت واو أدؤر، وقيل: هو من النأش وهو الطلب، قال رؤبة:

إِلَيْكَ نَأْشَ القَدَرُ النَّؤُوشُ [٦]

والنئيش: الحركة في الإبطاء، قال:

---

(١) عن قتادة. الدر المنثور ج٥: ٢٤٠.

(٢) عن السدي وغيره. الدر المنثور ج٥: ٢٤٠.

(٣) في ب: حيث.

(٤) عن سعيد بن جبير وروي مرفوعاً. تفسير الطبري ج٢٢: ٧٢.

(٥) ساقطة من ج.

(٦) ديوان رؤبة بن العجاج: ٧٧.

تمنّى نئيشاً أنْ يكونَ أطاعني ... وقد حدثتْ بعدَ الأمورِ أمورُ[(١)]

أي: أخيراً، فنصبه على الظرف.

﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ عطف على ﴿كَفَرُوا﴾ على حكاية الحال الماضية، أي: وكانوا يرمون محمّداً ﷺ بالظنون الكاذبة، ويأتون به ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾، [وهو قولهم: إنّه ساحر وشاعر وكذاب ومجنون، وقد أتوا به ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: من جهة بعيدة][(٢)] من حاله، لأنّ أبعد شيء مما جاء به: السحر، والشعر، والجنون، وأبعد شيء من عادته الكذب، والزور.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: فرّق بينهم وبين مشتهياتهم.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ بأشباههم من كفرة الأمم وموافقيهم وأهل دينهم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ أي: مشكك، كما قالوا: عجب عجيب.

---

(١) نهشل بن حري حياته وشعره: ٦٨.

(٢) ساقطة من ج.

سورة فاطر

أو سورة الملائكة، مكية إلا آيتين، وهي خمس وأربعون آية، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، و﴿أَنْ تَزُولَا﴾، و﴿تَبْدِيلًا﴾ ثلاثهن بصري جديد، و﴿الْبَصِيرُ﴾ و﴿النُّورُ﴾ غيرهم.

في حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة الملائكة) دعته يوم القيامة ثلاث أبواب من أبواب الجنّة: أن أدخل من أي الأبواب شئت))[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ
مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا
مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن
قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا
تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾

(١) الكشف والبيان ج٨: ٩٧.

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إن جعلت الإضافة لفظية ـ بأن تكون في تقدير الانفصال ـ فهو بدل، وإن جعلتها معنوية فهو صفة.

[﴿مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ صفة][1] لـ﴿أَجۡنِحَةٖ﴾ عدلت عن اثنين اثنين، [وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، ومعنى العدل: أنّك أردت بمثنى ما أردت باثنين اثنين][2]، والأصل أن تريد بالكلمة معناها دون كلمة أخرى، والعدل: أن تلفظ بكلمة وأنت تريد كلمة أخرى. والمعنى: إنّه جعل من الملائكة خلقاً أجنحتهم اثنان اثنان، أي: لكل واحد جناحان، وخلقاً أجنحتهم ثلاثة ثلاثة، وخلقاً أجنحتهم أربعة أربعة.

﴿يَزِيدُ فِي﴾ خلق الأجنحة وفي غير ذلك ﴿مَا يَشَآءُ﴾ مما تقتضيه حكمته ومشيئته. والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة، واعتدال صورة، وقوة في البطش، وحصافة في العقل... إلى غير ذلك، وقيل: هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن[3].

﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ﴾ يعني: أيّ شيء يطلق الله.

﴿مِن رَّحۡمَةٖ﴾ أي: من نعمة رزق أو مطر أو عافية أو صحّة أو غير ذلك من أصناف نعمه ﴿فَلَا﴾ أحد يقدر على إمساكها، وأيّ شيء ﴿يُمۡسِكۡ﴾ الله فلا أحد يقدر على إطلاقه، والفتح مستعار للإطلاق والإرسال بدلالة قوله: ﴿فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ﴾ مكان لا فاتح له.

وإنّما نكّر الرحمة لإرادة الشياع، كأنّه قال: من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية، وأنّث الضمير أوّلاً وذكّره ثانياً وهو يرجع في الحالين معاً إلى ما حملا على

(١) ساقطة من ج.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) ينظر: تفسير الماوردي ج٤: ٤٦٢.

اللفظ والمعنى، ولأنّ الأوّل فسّر بالرحمة فتبع الضمير التفسير، والثاني لم يفسّر فترك على أصل التذكير، ولأنّ تفسير الثاني يحتمل أن يكون مطلقاً في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته. وإنّما فسّر الأوّل دون الثاني ليدلّ على أنّ رحمته سبقت غضبه.

و﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالقلب واللسان، واحفظوها من الغمط والكفران، واشكروها بالاعتراف بها وطاعة موليها.

﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ قرئ: ﴿غَيۡرُ﴾ بالرفع والجر على الوصف لفظاً ومحلًّا، و﴿يَرۡزُقُكُم﴾ يجوز أن يكون في محلّ جر بأن يكون صفة لـ﴿خَٰلِقٍ﴾، وأن لا يكون له محلّ بأن يكون محلّ ﴿مِنۡ خَٰلِقٍ﴾ رفعاً بإضمار يرزقكم، ويفسّره هذا الظاهر، أو يكون كلاماً مستأنفاً بعد قوله: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾، وعلى الوجه الثالث يكون فيه دلالة على أنّ الخالق لا يطلق على غير الله عزّ وجل. وأما على الوجهين المتقدّمين من الوصف والتفسير فلا دليل فيه على اختصاص الاسم بالله عزّ وجل؛ لأنّه تقيّد بالرزق من السماء والأرض وخرج من الإطلاق، والرزق من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة منفصلة لا محلّ لها.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك، وعن الحقّ إلى الباطل؟!، وقيل: كيف تصرفون عن هذه الأدلة التي أقيمت لكم على التوحيد مع وضوحها؟!.

الأصل: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ فتأس بتكذيب الرسل من قبلك، فوضع ﴿فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ﴾ موضع فتأس به استغناء بالسبب عن المسبب، أعني: بالتكذيب عن التأسي، ونكّر ﴿رُسُلٞ﴾ لأنّ تقديره: رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ومعجزات، ونحو ذلك.

﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ الذي هو البعث والنشور والجنّة والنار والجزاء والحساب ﴿حَقّٞۖ فَلَا﴾ تخدعنّكم ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ فتغترّوا بملاذها، فإنّها عن قليل تنفد وتبيد.

و﴿ٱلۡغَرُورُ﴾: الشيطان، أو الدنيا وزينتها.

إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾

لما ذكر الكافرين والمؤمنين قال للنبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ من هذين الفريقين كمن لم يزين له؟ فكأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لا، فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾. ومعنى تزيين العمل والإضلال واحد، وهو أن يكون العاصي على صفة لا يجدي عليه اللطف فيستوجب أن يخليه الله وشأنه، فعند ذلك يهيم في الضلال فيرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً، فإذا خذله الله فمن حقّ الرسول صلوات الله عليه أن لا يهتم بأمره ولا يتحسّر. وعن الزجّاج: (إنّ المعنى: أفمن زين له سوء عمله [ذهبت نفسك عليهم حسرة؟ فحذف لدلالة ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ﴾ عليه، أو أفمن زين له سوء

عمله][1] كمن هداه الله؟ فحذف لدلالة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ عليه)[2].

و﴿حَسَرَٰتٍ﴾ مفعول له، أي: فلا تهلك نفسك للحسرات، [و﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ صلة ﴿تَذۡهَبۡ﴾ كما تقول: هلك عليه حبّاً، ويجوز أن يكون حالاً، كأن كلها صارت حسرات][3] لفرط التحسّر.

﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ أي: تهيجه، وجاء على لفظ المضارع دون ما قبله وما بعده لتحكي الحال التي تقع فيها إثارة السحاب، [وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة الربّانية، وكذلك سوق السحاب][4] إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها، لما كان من الدلائل على القدرة قال: ﴿فَسُقۡنَٰهُ ... فَأَحۡيَيۡنَا﴾ معدولاً بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص.

والكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في محلّ الرفع، أي: مثل إحياء الموات نشور الأموات.

التقدير: من كان يريد العزّة فليطلبها عند الله، فوضع قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه، فإنّ الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه، ومعناه: العزّة كلها مختصة بالله: عزّة الدنيا وعزّة الآخرة، فمن أراد العزّة فليتعزّز بطاعة الله، ويدلّ عليه ما رواه أنس عن النبيّ ﷺ قال: ((إنّ ربّكم يقول كل يوم: أنا العزيز، فمن أراد عزّ الدارين فليطع العزيز))[5].

---

(١) ساقطة من د.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٢٦٤.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) ساقطة من د.

(٥) تاريخ بغداد ج٨: ١٦٧.

ثمّ عرف سبحانه أنّ ما يطلب به العزّة عنده هو الإيمان والعمل الصالح بقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾. والكلم: جمع كلمة، وكل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء جاز فيه التذكير والتأنيث، يقول: هذا كلم وهذه كلم، ومعنى الصعود هنا هو القبول، وكل ما يتقبله الله تعالى من الطاعات يوصف بالرفع والصعود، لأنّ الملائكة يكتبون أعمال بني آدم ويرفعونها إلى حيث يشاء الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾[1].

و﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: [تمجيد الله وتقديسه وتحميده، وأطيب الكلم: لا إله إلا الله.

﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ أي: يرفع الكلم الطيب إلى الله][2]، فالهاء ضمير ﴿ٱلْكَلِمُ﴾، وقيل: معناه: والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب[3]، أي: لا ينفع العمل الصالح إلا إذا صدر عن التوحيد، وقيل: معناه: والعمل الصالح يرفعه الله لصاحبه[4]. فعلى الوجهين الأخيرين يكون الهاء ضمير (العمل).

﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ المكرات ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أو أصناف المكر السيئات، فهي صفة للمصدر أو لما في حكمه، وقيل: (عنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي في إحدى المكرات الثلاث: إما إثبات رسول الله، وإما قتله، وإما إخراجه، كما حكى الله سبحانه عنهم في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ

---

(١) المطففين: ١٨.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) عن الكلبي وغيره. معالم التنزيل ج٣: ١٩٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه. ج٤: ٢٦٥.

كَفَرُوا.. الآية﴾[١])[٢].

﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين مكروا تلك المكرات ﴿هُوَ﴾ خاصة ﴿يَبُورُ﴾ أي: يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر، فجمع الله عليهم مكراتهم.

وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًاۚ وَمَا تَحْمِلُ
مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ
عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ
هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ
لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ
مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ
فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۚ
وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾

﴿أَزْوَٰجًا﴾ أي: أصنافاً وضروباً، أو ذكراناً وإناثاً.

ولا ﴿تَحْمِلُ﴾ من الإناث حاملة ولدها في بطنها ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾

---

(١) الأنفال: ٣٠.

(٢) عن أبي العالية. معالم التنزيل ج٣: ١٩٥.

[إلا وهو عالم بذلك][١].

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ معناه: وما يعمّر من أحد، وإنّما سمّاه معمّراً بما هو صائر إليه ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ بأن يذهب بعضه بمضي الليل والنهار ﴿إِلَّا﴾ وهو ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ محفوظ أثبته الله قبل كونه، وقيل: معناه: لا يطول عمر ولا يقصر إلا في كتاب، وهو أن يكتب في اللوح المحفوظ: لو أطاع الله فلان بقي إلى وقت كذا، وإذا عصى نقص من عمره الذي وقّت له[٢]. وإليه أشار رسول الله ﷺ في قوله: ((إنّ الصدقة وصلة الرحم تعمران الديار وتزيدان في الأعمار))[٣].

ثمّ ضرب البحرين ـ العذب والملح ـ مثلين للمؤمن والكافر، ثمّ قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علّق بهما من نعمة: ﴿وَمِن﴾ كل واحد منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وهو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾ وهو اللؤلؤ والمرجان.

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ من فضل الله، ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها، وإن لم يجر ذكره لم يشكل لدلالة المعنى عليه، وحرف الرجاء مستعار بمعنى الإرادة كأنّه قيل: لتبتغوا ولتشكروا. ويحتمل على طريقة الاستطراد وهو أن يشبّه الجنسين بالبحرين، ويفضل البحر الأجاج على الكافر بأنّه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه، والكافر خال من النفع.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ مبتدأ، و﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ أخبار مترادفة. والقطمير: قشر النواة.

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) معاني القرآن للفراء ج٢: ٣٦٨.

(٣) ينظر: الكافي ج٢: ١٥٠، مسند أبي يعلى ج٧: ١٣٩.

﴿لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ لأنّهم جماد ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ﴾ على سبيل الفرض والتقدير لـ﴿مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡ﴾ لأنّهم لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية.

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ﴾ بإشراككم لهم وعبادتكم إيّاهم، يقولون[1]: ﴿مَا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ﴾[2].

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ ولا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير عالم به، يريد أنّ الخبير بالأمر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين. والمعنى: إنّ ما أخبرتكم به من حال معبوديهم هو الحقّ، لأنّي عالم خبير بما أخبرتكم به.

وعرّف ﴿ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ ليريهم سبحانه أنّهم جنس الفقراء لشدّة افتقارهم إليه، ولو نكّر لكان المعنى: أنتم بعض الفقراء، ولما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم ذكر ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ ليدلّ به على أنّه الغني النافع خلقه بغناه المنعم عليهم، المستحقّ بإنعامه عليهم أن يحمدوه، والعزيز الممتنع.

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ
شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ
وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ
﴿١٨﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ
﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنۡ أَنتَ
إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا
خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ

---

(١) في ب: بقوله.

(٢) يونس: ٢٨.

جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

وزر الشيء: حمله.

﴿وَلَا تَزِرُ﴾ أي: لا تحمل نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ يوم القيامة إلا وزرها الذي اقترفته، لا تؤخذ نفس بوزر غيرها. وفيه دليل على أنّه سبحانه لا يؤاخذ نفساً بغير ذنبها.

﴿وَإِن تَدۡعُ﴾ نفس ﴿مُثۡقَلَةٌ﴾ بالآثام غيرها إلى أن تحمل شيئاً من إثمها لم تجب ولم تغث ولم يحمل شيء من حملها، ولو كان المدعو بعض قرابتها أو أقرب الناس إليها، فكل نفس بما كسبت رهينة.

وقوله: ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ حال من الفاعل أو المفعول، أي: ﴿يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم﴾ غائبين عن عذابه، أو يخشون عذابه غائباً عنهم.

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ ومن تطهّر بفعل الطاعات وترك المعاصي، وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنّهما من جملة التزكي.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ وعد لمن تزكى بالثواب.

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ الفرق بين الواوات أن بعضها ضمّت شفعاً إلى شفع، وبعضها ضمّت وتراً إلى وتر، والواو ربّما قرن بها لا في النفي؛ [لتأكيد معنى النفي][1].

و﴿ٱلۡحَرُورُ﴾ والسموم الريح الحارة.

وقيل: إنّ الأعمى والبصير مثل للمؤمن والمشرك، والظلمات والنور للشرك والإيمان، والظل والحرور للجنّة والنار والأحياء والأموات للمؤمنين

---

(١) ساقطة من ج.

والكفار[١]، أو العلماء والجهال.

﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: ما عليك إلا التبليغ والإنذار، فإن كان المنذر ممن يسمع نفعه إنذارك، وإن كان من المصرّين فلا عليك.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ حال من أحد الضميرين، بمعنى: محقّاً أو محقّين، أو صفة للمصدر أي: إرسالاً مصحوباً بالحقّ، أو صلة ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ أي بشيراً بالوعد الحقّ، [ونذيراً بالوعيد الحقّ][٢].

واكتفى في آخر الآية بذكر النذير عن البشير، لأنّ النذارة لما كانت مقرونة بالبشارة دلّت إحداهما على الأخرى، لا سيما وقد اشتملت الآية على ذكرهما.

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ يريد المعجزات الدالة على النبوّة ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ يريد الصحف ﴿وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ يريد التوراة والإنجيل.

أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ
وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ
سُودٞ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ
كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن
تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ
إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾

---

(١) عن السدي. الدر المنثور ج٥: ٢٤٩.

(٢) ساقطة من ج.

﴿أَلْوَٰنُهَا﴾ أجناسها من التين والرمان والعنب وغيرها، أو هيئاتها من الصفرة والخضرة والحمرة ونحوها.

والجدد: الخطط والطرائق، وجدة الحمار هي الخطة السوداء على ظهره.

﴿وَغَرَابِيبُ﴾ معطوف على ﴿بِيضٌ﴾ أو على ﴿جُدَدٌ﴾، كأنّه قال: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ﴾ مخطط ذو جدد، ومنها ما هو على لون واحد غرابيب. وعن عكرمة: (هي الجبال الطوال السود)[1]. والوجه في قوله: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ مع أنّ الغرابيب تأكيد الأسود، أن يضمر المؤكد قبله ويكون ﴿سُودٌ﴾ الظاهر تفسيراً للمضمر، كقول النابغة:

وَالمُؤْمِنُ العَائِذَاتِ الطَّيْرِ يَمْسَحُهَا ... رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الغِيلِ وَالسَّنَدِ[2]

وإنّما يفعل ذلك لزيادة التوكيد، حيث يدلّ على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعاً، ولابد من تقدير حذف المضاف في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ﴾ أي: ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود غرابيب، حتى يؤول إلى قوله: ومن الجبال... مختلف ألوانها، كما قال: ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ يعني: ومنهم بعض مختلف ألوانه كذلك، [أي: كاختلاف الثمرات والجبال، وتم الكلام.

ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ والمعنى: إنّ الذين][3] يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم، إذ عرفوه حقّ معرفته، وعلموه حقّ

(١) الكشاف ج٣: ٦٠٩.

(٢) ديوان النابغة الذبياني: ٣٥ وفيه: تمسحها....والسعد.

(٣) ساقطة من ج.

علمه. وعن الصادق عليه السلام: ((يعني بالعلماء من صدّق فعله قوله، ومن لم يصدّق فعله قوله فليس بعالم))[١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي: يداومون على تلاوته، وهي شأنهم وديدنهم، وعن مطرف[٢]: (هي آية القراء)[٣]. و﴿يَرۡجُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿لَّن تَبُورَ﴾: لن تكسد ولن تفسد.

وتعلّق به ﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ﴾ أي: تجارة تنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده ﴿أُجُورَهُمۡ﴾ وهي ما استحقّوه من الثواب ﴿وَيَزِيدَهُم﴾ على قدر استحقاقهم ﴿مِّن فَضۡلِهِۦٓ﴾.

وإن شئت جعلت ﴿يَرۡجُونَ﴾ في موضع الحال، بمعنى: فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق راجين تجارة مربحة ليوفيهم، وخبر ﴿إِنَّ﴾ قوله: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ أي: غفور لهم شكور لأعمالهم.

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ
ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا
مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ
بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾
جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ
وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا

---

(١) الكافي ج١: ٣٦.

(٢) أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري البصري، كان سيّداً كبير القدر له فضل وأدب ووقع في النفوس، مات سنة ٩٥هـ.. تذكرة الحفاظ ج١: ٦٤.

(٣) تفسير الطبري ج٢٢: ٨٧.

ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآن، و(من) للتبيين، أو يريد الجنس و(من) للتبعيض.

﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكدة، لأنّ الحقّ لا ينفك عن هذا التصديق.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: لما تقدّمه من الكتب، إنّه ﴿بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ يعني: إنّه خبرك وأبصر شمائلك فرآك أهلاً لما أوحاه إليك من الكتاب المعجز.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ المعنى: إنّا أوحينا إليك القرآن مصدّقاً لما قبله من الكتب موافقاً لما بشّرت به تلك الكتب من حاله وحال من أتى به، ثمّ أورثناه الذين اصطفينا من عبادنا بعدك وهم علماء الأمة، لما ورد في الحديث: ((إنّ العلماء ورثة الأنبياء))[١]، والمروي عن الباقر والصادق عليهما السلام أنّهما قالا: ((هي لنا خاصة، وإيّانا عنى))[٢]. وهذا هو الصحيح، لأنّ الوصف بالاصطفاء أليق بهم، إذ هم ورثة الأنبياء، وقدوة العلماء، المستحفظون للكتاب، العارفون بحقائقه.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ عن ابن عباس والحسن: (إنّ الضمير للعباد)[٣]، واختاره المرتضى[٤] قدس الله روحه قال: علل تعليقه سبحانه وراثة الكتاب بالمصطفين من عباده بأنّ فيهم من هو ظالم لنفسه ومن هو مقتصد ومن هو سابق

---

(١) الكافي ج١: ٣٢، سنن ابن ماجة ج١: ٨١ ح٢٢٣ ضمن حديث طويل.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٥.

(٣) تفسير السمرقندي ج٣: ١٠٠.

(٤) أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي كان نقيب الطالبيين وكان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر وله تصانيف كثيرة، ولد سنة ٣٥٥هـ وتوفي سنة ٤٣٦هـ ببغداد. ينظر: وفيات الأعيان ج٣: ٣.

بالخيرات[١]. وقيل: إنّ الضمير للذين اصطفاهم الله[٢]. وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: ((الظالم لنفسه منا: من لا يعرف حقّ الإمام، والمقتصد منا: العارف بحقّ الإمام، والسابق بالخيرات: هو الإمام))[٣]. وكلّهم مغفور لهم، وذلك لاصطفاء وإيراث الكتاب، أو ذلك السبق بالخيرات ﴿هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾.

و﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ بدل من ﴿ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ الذي هو السبق بالخيرات، لأنّه لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب، كأنّه هو الثواب، فأبدلت عنه ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ وقرئ: يدخلونها على البناء للمفعول.

﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾: من للتبعيض، أي: ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾ بعض أساور، كأنّه بعض سابق لسائر الأبعاض كما سبق المسوّرون به غيرهم.

وفي ذكر الشكور دلالة على كثرة حسناتهم.

و﴿ٱلۡمُقَامَةِ﴾ بمعنى الإقامة.

﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ من عطائه وأفضاله.

والنصب: العناء والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له، واللغوب: الإعياء والفتور الذي يلحقه بسبب النصب، واللغوب نتيجة النصب.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ

(١) رسائل الشريف المرتضى ج٣: ٢٢.

(٢) عن ابن عباس وغيره وروي مرفوعاً. تفسير السمرقندي ج٣: ١٠٠.

(٣) معاني الأخبار: ١٠٣ عن الباقر عليه السلام.

فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى
جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ
كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا
﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟
مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ
مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

﴿فَيَمُوتُوا۟﴾ [جواب النفي ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء نجازي، وقرئ: يجزي.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ﴾ أي: يتصارخون][1] ﴿فِيهَا﴾ يفتعلون من الصراخ وهو الصياح باستغاثة وجهد وشدّة.

والفائدة في قولهم: ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ من غير اكتفاء بقولهم: ﴿صَٰلِحًا﴾ أنّه للتحسّر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به، ولأنّهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة فقالوا: ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا﴾ نحسبه صالحاً فنعمله.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ توبيخ من الله، أي: فيقول لهم وهو متناول لكل عمر تمكّن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر، وإن كان التوبيخ في المتطاول أعظم، وقد

---

(١) ساقطة من ج.

قيل: إنه ستون سنة[(١)]، وقيل: أربعون[(٢)]، وقيل: ثماني عشرة سنة[(٣)].

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [عطف على معنى ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ كأنّه قيل: قد عمّرناكم وجاءكم النذير وهو النبيّ ﷺ أو القرآن، وقيل: النذير][(٤)]: الشيب[(٥)]، وقيل: موت الأهل والأقارب.

﴿فَذُوقُواْ﴾ العذاب.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ كالتعليل، لأنّه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم، وذات الصدور: مضمراتها وهي تأنيث ذو، وذو موضوع بمعنى الصحبة، فالمضمرات تصحب الصدور.

والخلائف: جمع خليفة وهو المستخلف.

﴿فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ﴾ أي: ضرر كفره وعقاب كفره. والمقت: أشدّ البغض، وقيل لمن نكح امرأة أبيه: مقتي، لكونه ممقوتاً في كل قلب.

﴿أَرُونِي﴾ بدل من ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ لأنّ معنى أرأيتم: أخبروني، فكأنّه قال: أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقّوا به العبادة، أروني أي جزء ﴿مِنَ﴾ أجزاء ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ خلقوه بأنفسهم ﴿أَمۡ لَهُمۡ﴾ مع الله شركة في خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ والأرض، أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنّهم شركاؤه، ﴿فَهُمۡ عَلَىٰ﴾ حجّة من ذلك الكتاب؟! أو يكون الضمير للمشركين كقوله: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ

---

(١) عن ابن عباس وروي مرفوعاً. تفسير الطبري ج٢٢: ٩٣.

(٢) عن الحسن. الدر المنثور ج٥: ٢٥٤.

(٣) عن قتادة. الدر المنثور ج٥: ٢٥٤.

(٤) ساقطة من ج.

(٥) عن ابن عباس وغيره. الدر المنثور ج٥: ٢٥٤.

قَبْلِهِ﴾[١]، ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾[٢].

﴿بَل إِن يَعِدُ﴾ أي: ما يعد ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم﴾ وهم الرؤساء ﴿بَعۡضًا﴾ وهم الأتباع ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ وهو قولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ٤٢ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ٤٥﴾

﴿أَن تَزُولَا﴾ كراهة أن تزولا، أو يمنعهما من أن تزولا، لأنّ الإمساك منع.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما، وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدّاً لعظم كلمة الشرك كما قال: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ

(١) الزخرف: ٢١.

(٢) الروم: ٣٥.

(٣) يونس: ١٨.

﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾[١]. و﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ جواب القسم سد مسد جواب الشرط في ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾، و﴿مِنْ﴾ الأولى مزيدة والثانية للابتداء: من بعد إمساكه.

أي: ﴿وَأَقْسَمُواْ﴾ بأيمان غليظة ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ من جهة الله تعالى ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ﴾ إلى قبول قوله ﴿مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ الماضية، يعنون اليهود والنصارى.

﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ إسناد مجازي لأنّه هو السبب في أن زادوا أنفسهم ﴿نُفُورًا﴾ من الحقّ.

﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ بدل من ﴿نُفُورًا﴾، أو مفعول له بمعنى: إلا أن نفروا لاستكبارهم ومكرهم، أو حال يعني: مستكبرين وماكرين برسول الله ﷺ والمؤمنين.

ويجوز أن يكون ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ معطوفاً على ﴿نُفُورًا﴾، وأصله: وإن مكروا السيئ أي: المكر السيئ ثمّ ومكر السيئ، ويدلّ عليه: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾. وعن كعب الأحبار أنّه قال لابن عباس: (قرأت في التوراة أنّه من حفر مغواة وقع فيها، قال: إنّي وجدت ذلك في كتاب الله، وقرأ الآية)[٢]. وفي أمثال العرب: (من حفر جباً وقع فيه منكباً)[٣]. وقرأ حمزة: ومكر السيئ بسكون الهمزة، وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة، ولعله اختلس فظن سكوناً أو وقف وقفة خفيفة.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا﴾ عادة الله في ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ المكذّبين للرسل، وهو إنزال

---

(١) مريم: ٩٠.

(٢) الكشف والبيان ج٨: ١١٦.

(٣) المستقصى في أمثال العرب ج٢: ٣٥٤.

العذاب بهم وإهلاكهم؟!، جعل استقبالهم[1] لذلك انتظاراً له منهم. والتبديل: تصيير الشيء مكان غيره، والتحويل: تصيير الشيء في غير المكان الذي كان فيه. والتغيير: تصيير الشيء على خلاف ما كان.

﴿لِيُعْجِزَهُۥ﴾ أي: ليسبقه ويفوته.

﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ من الشرك والتكذيب.

الضمير في ﴿ظَهْرِهَا﴾ للأرض وإن لم يجر لها ذكر لعدم الالتباس، أي: ما ترك على ظهر الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: نسمة تدبّ عليها، يريد: بني آدم، وقيل: ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم كفرهم ومعاصيهم[2].

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى يوم القيامة.

﴿كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾ وعيد بالجزاء.

---

(١) في ب: استئصالهم.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير السمرقندي ج٣: ١٠٧.

سورة يس

مكية إلا آية، وهي ثلاث وثمانون آية كوفي، واثنتان غيرهم، ﴿يس﴾ كوفي.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة يس) يريد بها وجه الله عزّ وجل غفر الله له، وأُعطي من الأجر كأنّما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة، وأيّما مريض قرئت عنده (سورة يس) نزل عليه بعدد كل حرف منها عشرة أملاك، يقومون بين يديه صفوفاً، ويستغفرون له، ويشهدون قبضه، ويتبعون جنازته، ويصلّون عليه، ويشهدون دفنه... إلى آخر الخبر))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((إنّ لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، فمن قرأها في نهاره كان من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي، ومن قرأها في ليله قبل أن ينام وكل به ألف ملك يحفظونه من كل شيطان رجيم، ومن كل آفة، وإن مات في يومه أدخله الله الجنّة... الخبر بطوله))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا

(١) الكشف والبيان ج٨: ١١٩.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٠-١١١.

يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾

قرئ (ياسين) بالإمالة والتفخيم في يا، وبإظهار النون وإخفائها، وكذلك ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾[١]. وعن ابن عباس: (معناه يا إنسان)[٢]، وعن الحسن: (معناه يا رجل)[٣]، وقيل: يا سيّد الأوّلين والآخرين[٤]. وعن عليّ عليه السلام: ((هو اسم النبيّ صلى الله عليه وآله))[٥].

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة، أو لأنّه دليل ناطق بالحكمة كالحي، أو لأنّه كلام حكيم، فوصف بصفة المتكلّم به.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ جواب القسم، ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ خبر بعد خبر، أي: إنّك لمن الرسل الثابتين على طريق ثابت وشريعة واضحة.

وقرئ: ﴿تَنزِيلَ﴾ بالرفع على أنّه خبر مبتدأ محذوف، وبالنصب على: أعني.

﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا﴾ لم ينذر ﴿ءَابَآؤُهُمۡ﴾ قبلهم، لأنّهم كانوا في زمان الفترة بين عيسى ونبيّنا عليهما السلام، ومثله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾[٦]، ﴿وَمَا

---

(١) ن: ١.

(٢) تفسير الطبري ج٢٢: ٩٧.

(٣) معاني القرآن للفراء ج٢: ٣٧١.

(٤) تفسير الماوردي ج٥: ٥.

(٥) الكافي ج٦: ٢٠ عن أحدهما عليهما السلام.

(٦) القصص: ٤٦.

﴿أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾[١]، فيكون ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ في موضع نصب على الصفة.

وقد فسّر ﴿مَّآ أُنذِرَ﴾ على إثبات الإنذار بأن جعل ما مصدرية بمعنى: لتنذر قوماً إنذار آبائهم، أو موصولة منصوبة على المفعول الثاني بمعنى: لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم من العذاب كقوله: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾[٢].

وقوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ على التفسير الأوّل يتعلّق بالنفي، أي: لم ينذروا فهم غافلون، على أنّ عدم إنذارهم سبب غفلتهم، وعلى الثاني يتعلّق بقوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لتنذر، كما تقول: أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنّه غافل.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ وهو قوله سبحانه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[٣] أي: ثبت عليهم هذا القول ووجب لأنّهم ممن علم من حالهم أنّهم يموتون على الكفر.

ثمّ مثّل تصميمهم على الكفر بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين، في أنّهم لا يلتفتون إلى الحقّ ولا يعطفون أعناقهم نحوه، وكالحاصلين بين سدّين لا يبصرون ما بين أيديهم وما خلفهم في أن لا تأمل لهم ولا استبصار.

﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ معناه: فالأغلال واصلة إلى الأذقان، فلا تخليه يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحاً، وهو الذي يرفع رأسه ويغض بصره، ويقال: قمح البعير: إذا رفع رأسه ولم يشرب الماء، وأقمحتها أنا، وبعير قامح، وإبل قماح، قال الشاعر يصف سفينة:

---

(١) سبأ: ٤٤.

(٢) النبأ: ٤٠.

(٣) السجدة: ١٣.

وَنَحْـنُ عَـلَى جَوَانِبِهَـا قُعُـودٌ نَغُـضُّ الطَّـرْفَ كَالإِبِـلِ القِمَاحِ[١]

وعن ابن عباس: (أنّ المعني بذلك ناس من قريش همّوا بقتل النبيّ ﷺ فلم يستطيعوا أن يبسطوا إليه يداً، وخرج إليهم وطرح التراب على رؤوسهم وهم لا يبصرونه)[٢]. وعلى هذا فيكون معنى السدّين أنّه جعلهم لا يبصرونه.

ومعنى ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾: جعلنا على أبصارهم غشاوة وحلنا بينهم وبينه.

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ
فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ
وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ
مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا
بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا
بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ
﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا
ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟
لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم
مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ
أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ
﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم: ٤٨.

(٢) الدر المنثور ج٥: ٢٥٩.

أي: ﴿ إِنَّمَا ﴾ [ينتفع بإنذارك][١] ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ﴾ القرآن ﴿وَخَشِىَ ﴾ الله ملتبساً ﴿بِٱلْغَيْبِ ﴾ يعني في حال غيبته عن الناس فبشّر من هذه صفته ﴿بِمَغْفِرَةٍ ﴾ من الله لذنوبه ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ ثواب عظيم خالص من الشوب.

﴿نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ نبعثهم يوم القيامة للجزاء، وعن الحسن: (إحياؤهم أن يخرجهم من الشرك إلى الإيمان)[٢].

﴿وَنَكْتُبُ﴾ ما أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها.

﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ أي: وأعمالهم التي صارت سنة من بعدهم يقتدى فيها بهم حسنة كانت أم قبيحة، ومن الآثار الحسنة: علم علّم، أو كتاب في الدين صنّف، أو صدقة أجريت، أو وقف وقّف، أو مسجد لله بني... ونحو ذلك. ومن الآثار السيئة: وظيفة ضارة على المسلمين وظّفت، أو شيء صاد عن ذكر الله من الملاهي والألحان أحدثت... ونحو ذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[٣] أي: قدّم من أعماله وأخّر من آثاره.، وقيل: هي آثار المشائين إلى المساجد[٤]، وقالﷺ: ((إنّ أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم))[٥].

والإمام المبين: هو اللوح المحفوظ، وقيل: هو صحائف الأعمال سمّاه مبيناً لأنّه لا يندرس أثره.

---

(١) في ب: ينفع إنذارك.

(٢) الكشاف ج٤: ٧.

(٣) القيامة: ١٣.

(٤) عن الضحاك وغيره. الكشف والبيان ج٨: ١٢٢.

(٥) صحيح مسلم ج٢: ١٣٠.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾ مثل لهم من قولهم: عندي من هذا الضرب كذا، أي من هذا المثال، والمعنى: واضرب لهم مثلاً مثل ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ والمثل الثاني بيان للأوّل، و﴿إِذۡ﴾ بدل من ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾، والقرية: أنطاكية.

والمرسلون: رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها، بعثهم دعاة إلى الحقّ، وكانوا عبدة الأوثان، وإنّما أضاف سبحانه إرسالهم إلى نفسه لأنّه أرسلهم بأمره.

﴿فَعَزَّزۡنَا﴾ فقوّيناهما وشددنا ظهورهما برسول ثالث، يقال: المطر يعزز الأرض أي: يلبدها ويشدّها. وقرئ: فعززنا بالتخفيف من: عزّه يعزّه إذا غلبه، أي: فغلبنا وقهرنا بثالث. وترك ذكر المفعول به لأنّ الغرض ذكر المعزّز به وهو شمعون الصفا رأس الحواريين.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ أوّلاً و﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ ثانياً، لأنّ الأوّل ابتداء إخبار، والثاني جواب عن إنكار.

وقوله: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾ جار مجرى القسم في التوكيد، ومثله قوله: ﴿شَهِدَ اللهُ﴾[1]، و﴿عَلِمَ اللهُ﴾[2]، وإنّما حسن منهم هذا الجواب الوارد على سبيل التوكيد لأنّهم حقّقوه بقوله: ﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ وهو الظاهر المكشوف بالآيات والمعجزات الشاهدة بصحّته، وإلا فلو قال المدعي: والله إنّي لصادق فيما أدّعي، ولم يحضر البيّنة لكان قبيحاً.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا﴾ أي: تشاءمنا ﴿بِكُمۡ﴾ وذلك أنّهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم.

﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ﴾ عما تدعونه من الرسالة ﴿لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ بالحجارة أو

(١) آل عمران: ١٨.

(٢) البقرة: ١٨٧.

لنشتمنكم[١].

قال الرسل: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ أي: سبب شؤمكم معكم، وهو إقامتكم على الكفر والشرك، فأما الدعاء إلى الإيمان والتوحيد ففيه غاية اليمن والبركة.

﴿أَئِن ذُكِّرۡتُم﴾ أي: أتطيّرون إن ذكّرتم، وقرئ: أن ذكرتم بالفتح، بمعنى: أتطيّرتم لئن ذكّرتم.

﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ في العصيان، فمن ثمّ أتاكم الشؤم لا من قبل الرسل وتذكيرهم إيّاكم، بل أنتم قوم مسرفون في ضلالكم، متمادون في غوايتكم حيث تتشائمون بمن يتبرك به.

﴿رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ هو حبيب بن إسرائيل النجار، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، فلما بلغه أنّ قومه همّوا بقتل الرسل جاء يعدو ويشتد. وعن النبيّ ﷺ: ((سبّاق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: عليّ بن أبي طالب، وصاحب ياسين، ومؤمن آل فرعون، فهم الصدّيقون، وعليّ أفضلهم[٢].

وقوله: ﴿مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ كلمة جامعة في الترغيب فيهم، أي: لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وتربحون صحّة دينكم فتفوزون بخيري الدنيا والآخرة.

وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ
مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي
شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ
﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ

(١) في ب: ليمسنكم.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٨٥، الكشف والبيان ج٨: ١٢٦.

ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى
مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً
فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾

أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم تلطّفاً لهم، فكأنّه قال: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم؟ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ولم يقل: وإليه أرجع، ثمّ ساق كلامه ذلك المساق إلى أن قال: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾.

يريد: فاسمعوا قولي وأطيعوني فقد نبّهتكم على الحقّ الصريح والدين الصحيح الذي لا محيص عنه، وهو أنّ العبادة لا تصحّ إلا لمن أنشأ خلقكم وأوجدكم وإليه مرجعكم، ومن أنكر الأشياء في العقل أن تؤثروا على عبادته عبادة أشياء، إن أرادكم هو ﴿بِضُرٍّ﴾ وشفع لكم هؤلاء لم تنفعكم شفاعتهم ولم يقدروا على إنقاذكم، إنّكم في هذا الاختيار لواقعون ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ ظاهر بيّن لا يخفى على ذي حجى.

ثمّ إنّ قومه لما سمعوا منه ذلك القول وطئوه بأرجلهم حتى مات، فأدخله الله الجنّة وهو حيّ فيها يرزق، وذلك قوله: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾، وقيل: إنّهم قتلوه على أنّ الله سبحانه أحياه وأدخله الجنّة، فلما دخلها ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى﴾ تمنّى أن يعلم قومه ما أعطاه الله تعالى من المغفرة وجزيل الثواب ليرغبوا في مثله ويؤمنوا لينالوا ذلك، وورد في حديث مرفوع: ((أنّه نصح قومه

حياً وميتاً))[١].

و(ما) في ﴿بِمَا غَفَرَ لِي﴾ مصدرية أو موصولة، أي: [بمغفرة ربّي لي، أو][٢] بالذي غفره ربّي لي من الذنوب، ويجوز أن تكون استفهامية، أي بأيّ شيء غفر لي؟ يريد ما كان منه معهم من المصابرة على الجهاد في إعزاز دين الله حتى قتل، إلا أنّه على هذا الوجه بمَ غفر لي بطرح الألف أجود وإن كان إثباتها جائزاً.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ﴾ بعد قتله [﴿مِن جُندٍ﴾][٣] أي: لم ننزل لإهلاكهم جنداً من جنود السماء كما فعلنا يوم بدر ﴿وَمَا كُنَّا﴾ منزليهم على الأمم إذا أهلكناهم.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ أي: لم يكن مهلكهم عن آخرهم إلا بأيسر أمر صيحة واحدة. أخذ جبرائيل بعضادتي باب المدينة وصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم، لا يسمع لهم حس، كالنار إذا طفئت، وكأنّه قال عزّ اسمه: إن إنزال الجنود من السماء من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك يا محمّد، حيث أنزلوا يوم بدر والخندق وما كنا نفعله لغيرك. وقرئ: إلا صيحة بالرفع على كان التامة، أي: ما وقعت إلا صيحة، والقياس التذكير؛ لأنّ المعنى: ما وقع شيء إلا صيحة، ولكن جوّز ذلك لأنّ الصيحة في حكم فاعل الفعل، ومثله بيت ذي الرمة:

وَمَا بَقِيَتْ إِلّا الضُّلُوعُ الجَرَاشِعُ[٤]

والقراءة بالنصب على معنى: إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة.

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ نوديت الحسرة كأنّها قيل لها: تعال يا حسرة فهذا

---

(١) تخريج الأحاديث والآثار ج٣: ١٦٣ عن تفسيرابن مردويه.

(٢) ساقطة من د.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) ديوان شعر ذي الرمة: ٣٤١، وفيه: الا الصدور، وصدره: طوى النحز والارجاز ما في غروضها.

من أوقاتك التي حقّك أن تحضري فيها، وهي حال استهزائهم بالرسل. والمعنى: إنّهم أحقّاء بأن يتحسّر عليهم المتحسّرون، أو هم متحسّر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين، ويجوز أن يكون من جهة الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم، وفرط إنكاره له وتعجّبه منه. وروي عن أُبيّ بن كعب وابن عباس وعلي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام: يا حسرة العباد على الإضافة إليهم لاختصاصها بهم من حيث أنّها موجهة إليهم.

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ
﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ
الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا
فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾
لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾
سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ
أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ
النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا
ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ
كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا
اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ ألم يعلموا، وهو معلّق عن العمل في ﴿كَمْ﴾ لأنّ (كم) لا يعمل فيها عامل قبلها، سواء كانت للاستفهام أم للخبر، لأنّ أصلها الاستفهام، و﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بدل من ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ على المعنى لا على اللفظ، والتقدير: ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون قبلهم كونهم غير راجعين إليهم، أي: لا يعودون إلى

الدنيا، أفلا تعتبرون بهم؟.

وقرئ: (لما) بالتخفيف على أن يكون (ما) صلة للتوكيد، و(إن) مخففة من الثقيلة، والتقدير: وإنّه كلهم لمجموعون محشورون محضرون للحساب. وقرئ: ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد بمعنى (إلا) كمسألة الكتاب: نشدتك بالله لمّا فعلت[١]، و(إن) نافية والتقدير: ما كل إلا مجموعون محضرون لدينا، والتنوين في ﴿كُلٌّ﴾ عوض من المضاف إليه، والـ﴿جَمِيعٌ﴾ فعيل بمعنى مفعول، يقال: حي جميع، وجاؤوا جميعاً.

والقراءة بالميتة مخففة أشيع وأسلس على اللسان، و﴿أَحۡيَيۡنَٰهَا﴾ استئناف، بيان لكون الأرض الميتة آية، ودلالة لهم على قدرة الله على البعث، وكذلك ﴿نَسۡلَخُ﴾ ويجوز أن يكونا صفتين لـ﴿ٱلۡأَرۡضُ﴾ و﴿ٱلَّيۡلُ﴾ لأنّه أريد بهما الجنسان مطلقين، لا أرض ولا ليل بأعيانهما، فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالجمل، ونحوه:

وَلَقَـدْ أمُـرُّ عَـلَى اللَئِيـمِ يَسُـبُّني[٢]

أي: أحييناها بالنبات ﴿وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا﴾ كل حبّ يتقوتونه مثل: الحنطة والشعير والأرز ونحوها.

﴿فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ﴾ قدّم الظرف للدلالة على أنّ الحبّ هو الذي يتعلّق به معظم العيش ويقوم بالإرتزاق منه صلاح الإنس، وإذا قلّ جاء القحط.

وخصّ النخيل والأعناب لكثرة أنواعهما ومنافعهما.

﴿وَفَجَّرۡنَا﴾ في الأرض أو في الجنات من عيون الماء.

﴿لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ والمعنى: ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر، ومما ﴿عَمِلَتۡهُ

---

(١) حكاه عنه في التنبيه والإيضاح ج٥: ١٥٣.

(٢) البيت لرجل من بني سلول. الكتاب ج٣: ٢٤، وبقيته: فمضيت ثمت قلت لايعنيني.

أَيۡدِيهِمۡ﴾ من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الأعمال، إلى أن بلغ الثمر منتهاها وأوان أكلها. وقرئ: ﴿ثَمَرِهِۦ﴾ و ثمره بفتحتين وضمتين وضمة وسكون، وأصله: من ثمرنا كما قال: ﴿وَجَعَلۡنَا﴾، ﴿وَفَجَّرۡنَا﴾ فنقل الكلام من المتكلّم إلى الغيبة على طريقة الالتفات. ويجوز أن يكون الضمير للنخيل وتترك الأعناب غير مرجوع إليها الضمير، لأنّها في حكم النخيل فيما علّق به من أكل ثمره، ويجوز أن يراد به: من ثمره المذكور وهو الحبّات، كما قال رؤبة:

فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقْ ... كَأَنَّهُ فِي الجِلْدِ تَوْلِيعُ البَهَقْ[1]

فسئل عنه فقال: أردت كأنّ ذاك.

ويجوز أن يكون (ما) في ﴿وَمَا عَمِلَتۡهُ﴾ نافية، أي: ولم تعمل تلك الثمار أيديهم ولا يقدرون عليه، وقرئ على الوجه الأوّل: وما عملت أيديهم من غير هاء.

و﴿ٱلۡأَزۡوَٰجَ﴾: الأشكال والأصناف والأجناس من الأشياء.

﴿وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها، ولا توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم، ولا يبعد أن يخلق الله من الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقاً إلى العلم به في بطون الأرض وقعر البحار.

سلخ الشاة: كشط جلدها عنها، فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله.

﴿فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ أي: داخلون في ظلام الليل لا ضياء لهم فيه.

﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا﴾ أي: لحدّ لها موقّت مقدّر تنتهي إليه من

---

(١) ديوان رؤبة بن العجاج: ١٠٤.

فلكها في آخر السنة، شبّه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره، أو منتهى لها من المشارق والمغارب حتى تبلغ أقصاها فذلك مستقرّها لأنّها لا تعدوه، أو لحدّ لها من مسيرها كل يوم في مرائي عيوننا وهو المغرب، وقرأ ابن مسعود: لا مستقر لها وهو قراءة أهل البيتﷺ. ومعناه: أنّها لا تزال تجري لا يستقر ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي يكلّ الفطن عن استخراجه، تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور، المحيط علماً بكل معلوم.

وقرئ: ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ بالرفع على الابتداء أو عطفاً على ﴿ٱلَّيْلُ﴾ أي: ومن آياته القمر، وبالنصب بفعل مضمر يفسّره ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾، والمعنى: قدّرنا مسيره ﴿مَنَازِلَ﴾ وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه، على تقدير مستو.

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ وهو عود العذق الذي تقادم عهده حتى يبس وتقوس، وقيل: إنّه يصير كذلك في كل ستة أشهر[1]، قال الزجّاج: (هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف)[2]. والقديم يدق وينحني ويصفرّ، فشبه القمر به من ثلاثة أوجه.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ في سرعة سيره فإنّها تقطع منازلها في سنة والقمر يقطعها في شهر، ولأنّ الله سبحانه باين بين فلكيهما ومجاريهما، فلا يمكن أن يدرك أحدهما الآخر.

﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ أي: ولم يسبق الليل النهار.

﴿وَكُلٌّ﴾ التنوين فيه عوض عن المضاف إليه، والمعنى وكلهم الشمس

---

(١) عيون أخبار الرضا ج١: ٢٤١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٢٨٨.

والقمر والنجوم ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يسيرون فيه بانبساط، وإنّما قيل بالواو والنون لما أضيف إليها ما هو من فعل العقلاء. وعن ابن عباس: (معناه: يجري كل واحد منهما في فلكه كما يدور المغزل في الفلكة)[١].

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم
مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ
يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ
ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ
ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن
لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ
مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً
تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

قرئ: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على التوحيد وذرياتهم على الجمع، وهم أولادهم ومن يهمّهم حمله، وقيل: إنّ اسم الذرية يقع على النساء لأنّهن مزارعها. وفي الحديث: ((إنّه نهى عن قتل الذراري))[٢]، وخصّهم بالحمل لضعفهم، ولأنّه لا قوة لهم على السفر كقوة الرجال.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن﴾ مثل الفلك ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ يعني الإبل، وهي سفن البر،

---

(١) تفسير الطبري ج٢٣: ٧.

(٢) صحيح ابن حبان ج١: ٣٤٧، وينظر: الخصال: ٢١٤.

وقيل: ﴿ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ سفينة نوح[١].

و﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ أي: مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق.

﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ﴾ أي: لا مغيث لهم، أولا إغاثة، يقال: أتاهم الصريخ.

﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ أي: لرحمة منا والتمتع بالحياة إلى أجل يموتون فيه لابد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق.

وجواب ﴿إِذَا﴾ محذوف يدلّ عليه قوله: ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾، كأنّه قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ﴾ أعرضوا، ثمّ قال: وعادتهم الإعراض عند كل آية وموعظة. وعن الصادقعليه السلام: ((معناه: اتقوا ما بين أيديكم من الذنوب وما خلفكم من العقوبة))[٢].

﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ قول الله سبحانه، أو حكاية قول المؤمنين لهم، أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين.

وقرئ: ﴿وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ﴾ بإدغام التاء من يختصمون في الصاد مع فتح الخاء وكسرها وإتباع الياء الخاء في الكسر، ويخصمون من خصمه يخصمه. أي: يختصمون في أمورهم ويتبايعون في أسواقهم، يعني: إنّ القيامة تأتيهم بغتة فلا يقدرون على الإيصاء بشيء، ولا يرجعون إلى منازلهم من الأسواق.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ٥١
قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ
ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٢٣: ٨.

(٢) مجمع البيان ج٧-٨: ٤٢٧.

جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا
تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ
ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ
مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا
مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ
إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾

﴿ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿يَنسِلُونَ﴾ يعدون، وهي النفخة الثانية.

﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ من حشرنا من منامنا الذي كنا فيه نياماً؟ لأنّ إحياءهم كالإنباه من الرقاد، وقيل: إنّهم عدّوا أحوالهم في قبورهم بالإضافة إلى أهوال القيامة رقاداً[1]. وروي عن عليّ عليه السلام أنّه قرأ: مِنْ بعثنا على من الجارة والمصدر.

﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ و﴿مَا وَعَدَ﴾ خبره وما مصدرية أو موصولة. ويجوز أن يكون ﴿هَٰذَا﴾ صفة لـ﴿مَّرْقَدِنَا﴾ و﴿مَا وَعَدَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: هذا وعد الرحمن. وعن قتادة: (أوّل الآية قول الكافر، وآخر الآية ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ قول المسلم)[2]، وقيل: هو كلام الكافرين أيضاً يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو يجيب بعضهم بعضاً[3].

وإذا جعلت (ما) موصولة فتقديره: هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون، أي: صدقوا فيه، من قولهم: صدقوهم القتال، والمثل: (صدقني سن

---

(١) الكشف والبيان ج٨: ١٣٠.

(٢) الدر المنثور ج٥: ٢٦٦.

(٣) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج٢٣: ١٢.

بكره)[١]، أي: هو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على ألسنة رسله الصادقين، وليس ببعث النائم من مرقده بل هو البعث الأكبر.

أي: لم تكن تلك المدة إلا مدة صيحة واحدة، فإذا الأوّلون والآخرون مجموعون ﴿لَّدَيْنَا﴾ في عرصات القيامة، محصلون في موقف الحساب ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ حكاية ما يقال في ذلك اليوم، وفي مثل هذه الحكاية تصوير للموعود، وتمكين له في النفوس، وترغيب في الحرص على العمل بما يثمره ويؤدي إليه ﴿فِى شُغُلٍ﴾. وقرئ: شغل بسكون الغين وهما لغتان، أي: في أي شغل لا يحاط بوصفه، وهو النعيم الذي شملهم وشغلهم عما فيه أهل النار فلا يذكرونهم وإن كانوا أقاربهم، وقيل: شغلوا بافتضاض العذارى[٢] وقيل: باستماع الألحان[٣].

وقرئ: ﴿فَٰكِهُونَ﴾ وفكهون والمعنى واحد، أي: متنعمون متلذذون، ومنه الفاكهة لأنّها مما يتلذذ به، وقيل: فرحون طيبو النفوس معجبون بما هم فيه من الفكاهة وهي المزاح والأحاديث الطيبة.

﴿هُمْ﴾ يحتمل أن يكون مبتدأ، وأن يكون تأكيداً للضمير في ﴿شُغُلٍ﴾ وفي ﴿فَٰكِهُونَ﴾ على أنّ أزواجهم تشاركهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء ﴿عَلَى﴾ الحجلة، وقيل: كل ما اتكئ عليه فهو أريكة[٤].

---

(١) مجمع الأمثال ج٢: ٢١٢.

(٢) عن ابن عباس. الدر المنثور ج٥: ٢٦٦.

(٣) عن وكيع بن الجراح. الكشف والبيان ج٨: ١٣١.

(٤) لسان العرب: مادة أرك.

﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ أي: يتمنون ويشتهون، من قولهم: ادّعِ عليّ ما شئت، بمعنى: تمنّه عليّ، وقيل: هو يفتعلون من الدعاء، أي: يدّعون به لأنفسهم[١]، كقولك: اشتوى إذا شوى لنفسه.

﴿سَلَٰمٌ﴾ بدل من ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾ كأنّه قال لهم: سلام، يقال لهم ﴿قَوْلًا مِّن﴾ جهة ﴿رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾. والمعنى: إنّ الله سبحانه يسلّم عليهم بواسطة الملك أو بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم، وذلك متمنّاهم، ولهم ذلك ما يمنعونه. وقيل: ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾ مبتدأ، و﴿سَلَٰمٌ﴾ خبره بمعنى: ولهم ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه، فـ﴿قَوْلًا﴾ مصدر مؤكد لقوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ سَلَٰمٌ﴾، أي: عدة من ربّ رحيم[٢].

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة، وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنّة، يقال: مِزتُه فامتاز وانماز، وعن قتادة: (اعتزلوا عن كل خير)[٣]، وعن الضحاك: (لكل كافر بيت في النار يدخله فيردم بابه لا يَرى ولا يُرى)[٤].

هذا إشارة إلى ما عهد إليهم فيه من معصية الشيطان وطاعة الرحمن.

﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ بليغ في استقامته، حقيق بأن يوصف بالكمال في بابه.

---

(١) إعراب القرآن ج٣: ٤٠١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٢٩٢.

(٣) تفسير الطبري ج٢٣: ١٦.

(٤) معالم التنزيل ج٣: ٢٠٥.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾
هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ
وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا
عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ
لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا
يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ
﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿جِبِلًّا﴾ قرئ بضمتين، وبضمة وسكون وبضمتين وتشديدة، وبكسرتين وتشديدة، ومعناهن جميعاً: الخلق الكثير الذي جبلوا على خليقته، أضلهم الشيطان بأن دعاهم إلى الضلال وحملهم على الضلال وأغواهم.

﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾ أي: الزموها وصيروا صلاها، أي: وقودها بسبب كفركم وتكذيبكم الأنبياء.

﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ أي: إلى الصراط، فحذف الجار وأوصل الفعل، أو ضمّن استبقوا معنى: ابتدروا، أو نصب ﴿الصِّرَاطَ﴾ على الظرف، والمعنى: ولو نشاء لمسخنا أعينهم، فلو حاولوا أن يستبقوا إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه إلى مقاصدهم كما كانوا يستبقون إليه ساعين في متصرّفاتهم لم يقدروا، فكيف ﴿يُبْصِرُونَ﴾ ويعلمون جهة السلوك وقد أعميناهم؟!.

والمكانة والمكان واحد، كالمقامة والمقام. وقرئ ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ ومكاناتهم على التوحيد والجمع، أي: لمسخناهم مسخاً يجمدهم على مكانهم لا

يقدرون أن يبرحوه بمضي ولا رجوع بأن نجعلهم حجارة، وقيل: لمسخناهم قردة وخنازير في منازلهم فلا يستطيعون مضياً عن العذاب ولا رجوعاً إلى الخلقة الأولى بعد المسخ.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ﴾ أي: نقلبه في الخلق فنخلقه على عكس ما خلقناه قبل، إذ كان يتزايد في القوة والعقل والعلم إلى أن استكمل قوته وبلغ أشدّه، وإذا انتهى نكسناه في الخلق، فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والعلم، كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله، كما قال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[1] ثمّ ﴿يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[2]. وقرئ: ننكسه من التنكيس.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ بتعليم القرآن ﴿ٱلشِّعْرَ﴾ ومعناه: إنّ القرآن ليس بشعر، ولا مناسبة بينه وبين الشعر، لأنّ الشعر كلام موزون مقفى، وليس القرآن منه في شيء.

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ أي: وما يصحّ له، وما ينطلب لو طلب، فلو أراد أن يقول الشعر لم يتأت له ولم يتسهل، حتى لو تمثّل ببيت شعر جرى على لسانه منكسراً، كما روي أنّه كان يتمثل بهذا البيت:

كفى الإسلام والشيب للمرء ناهيا

فقال أبو بكر: إنّما قال الشاعر

كَفَى الشَّيْبُ وَالإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

أشهد أنّك رسول الله[3]

(١) التين: ٥.

(٢) الحج: ٥.

(٣) طبقات ابن سعد ج١ ق٢: ١٠٢.

وأما قولهﷺ: ((أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ))[١] وما روي من نحوه فإنّ ذلك كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه، إلا أنّه اتفق أن جاء موزوناً من غير قصد منه، كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسمّيها أحد شعراً، ولا يخطر ببال المتكلّم ولا السامع أنّه شعر، على أنّ الخليل لم يكن يعد المشطور من الرجز شعراً[٢].

ولما نفى سبحانه أن يكون القرآن شعراً قال: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ أي: ما هو إلا ذكر من الله يوعظ به الإنس والجن كما قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[٣]، وما هو إلا قرآن يقرأ في المحاريب، وينال بقراءته والعمل بما فيه فوز الدارين.

﴿لِّيُنذِرَ﴾ القرآن أو الرسول ﴿مَن كَانَ حَيّٗا﴾ أي: عاقلاً متأملاً، لأنّ غير العاقل كالميت، أو من المعلوم من حاله أن يؤمن فيحيا بالإيمان.

﴿وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾ أي: ويجب الوعيد ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بكفرهم.

أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا
مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن
دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ
وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٦﴾

---

(١) مغازي الواقدي ج١: ٢٨٠.

(٢) كتاب العين ج٦: ٦٤.

(٣) التكوير: ٢٧.

﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ أي: مما تولينا خلقه وإنشاءه ولم يقدر على توليه غيرنا.

﴿فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ أي: خلقنا ﴿أَنۡعَٰمًا﴾ لأجلهم فملّكناهم إيّاها فهم متصرّفون فيها تصرّف الملاك، أو فهم لها ضابطون قاهرون، لم نخلقها وحشية نافرة منهم لا يقدرون على ضبطها، فهي مسخرة لهم، وهو قوله: ﴿وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ﴾.

والركوب والركوبة: ما يركب، كما أنّ الحلوب والحلوبة: ما يحلب، أي: فمنها ما ينتفعون بركوبه ومنها ما ينتفعون بذبحه وأكله.

﴿وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ﴾ منها لبس أصوافها وأوبارها وأشعارها، وشرب ألبانها إلى غير ذلك من وجوه الانتفاع بها، والمشارب: جمع المشرب وهو موضع الشِّرب أو الشُّرب.

﴿وَٱتَّخَذُواْ... ءَالِهَةً﴾ يعبدونها طمعاً في أن ينصروهم، ويدفعوا عنهم، ويشفعوا لهم عند الله، والأمر على عكس ما قدروا فإنّهم يوم القيامة ﴿جُندٞ مُّحۡضَرُونَ﴾ لعذابهم لأنّهم يجعلون وقود النار، أو اتخذوهم طمعاً في أن يتقووا بهم، والأمر بالضد مما توهّموه، إذ هم جند لآلهتهم يخدمونهم ويذبون عنهم، والآلهة ليس لهم قدرة على نصرهم، فلا يهمنّك قولهم في تكذيبك وأذاهم إيّاك، فإنّا عالمون بما ﴿يُسِرُّونَ﴾ من عداوتهم ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ وإنّا نجازيهم على ذلك.

أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ
٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ
رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ
عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم
مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ

﴿عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ
أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

روي: أنّ أُبي بن خلف والعاص بن وائل جاءا بعظم بال متفتت، وقالا: يا محمّد، أتزعم أنّ الله يبعث هذا؟! فقال: نعم، فنزلت(١).

قبّح الله سبحانه إنكارهم البعث تقبيحاً عجيباً، حيث قررهم بأن خلقهم من النطفة التي هي أخس شيء، ثمّ عجب من حالهم بأن يتصدوا مع مهانة مبدئهم لمخاصمة الجبار ويقولوا: من يقدر على إحياء الميت بعدما رمّت عظامه؟! ثمّ يكون خصامه في ألزم وصف له، وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر الإنشاء من الموات، فهذه مكابرة لا مطمح وراءها. وقيل: معناه: فإذا هو بعد ما كان ماء مهيناً رجل مميز منطيق قادر على الخصام، معرب عما في نفسه فصيح.

وسمّي قوله: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ مثلاً لما دلّ عليه من قصّة عجيبة شبيهة بالمثل، وهي إنكار قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، أو لما فيه من التشبيه، لأنّ ما أنكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الأولى. فإذا قيل: من يحيي العظام وهي رميم على طريق الإنكار لأن يكون ذلك مما يوصف سبحانه بالقدرة عليه، كان تعجيزاً لله وتشبيهاً له بخلقه في أنّهم غير موصوفين بالقدرة عليه. والرميم: ما بلي من العظام، ومثله: الرمة والرفات، وهو اسم غير صفة فلذلك لم يؤنث.

ويريد بـ﴿ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾ المرخ والعفار، وهما شجرتان تتخذ الأعراب

(١) ينظر: الكشف والبيان ج٨: ١٣٧.

زنودها منهما، فبيّن سبحانه أنّ من قدر على أن يجعل في الشجر الذي هو في غاية الرطوبة ناراً حتى إذا حكّ بعضه ببعض خرجت منه النار، قدر أيضاً على الإعادة.

وقرئ: يقدر أيضاً هنا وفي الأحقاف[1].

واحتمل قوله: ﴿أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ معنيين: أن يخلق مثلهم في القمأة والصغر بالإضافة إلى السماوات والأرض، أو أن يعيدهم لأنّ الإعادة مثل الابتداء وليس به إنّما شأنه ﴿إِذَآ أَرَادَ﴾ تكوين شيء ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾ معناه أن يكوّنه من غير توقف ﴿فَيَكُونُ﴾ فيحدث، أي: فهو كائن لا محالة. وحقيقته: أنّه لا يمتنع عليه شيء من المكونات، وأنّه بمنزلة المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر من الآمر المطاع، و(يكون) خبر مبتدأ محذوف تقديره: فهو يكون، فهي جملة معطوفة على جملة هي: أمره أن يقول له كن. ومن قرأ بالنصب فللعطف على ﴿يَقُولَ﴾ والمعنى: إنّه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الأجسام إذا فعلت شيئاً مما تقدر عليه من الأفعال المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات، وما يتبع ذلك من التعب واللغوب.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾ وهو القادر العالم لذاته أن يخلص داعيه إلى الفعل فيتكون الفعل، فكيف يعجز عزّ اسمه عن مقدور حتى يعجز عن الإعادة؟!.

﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: هو مالك كل شيء، والمتصرّف فيه بموجب مشيئته وقضايا حكمته، أي: فتنزيهاً له عن نفي القدرة على الإعادة وعن كل ما لا يليق بصفاته. وعن ابن عباس: (كنت لا أعلم كيف خصّت (سورة يس) بالفضائل التي رويت في قراءتها، فإذا إنّه لهذه الآية)[2].

---

(١) الآية ٣٣.

(٢) الكشاف ج٤: ٣٢.

سورة الصافات

مكية، وهي مائة وإحدى وثمانون آية بصري، اثنتان غيرهم، ﴿**وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ**﴾ غير البصري.

في حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة الصافات) أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان، وتباعدت منه مردة الشياطين، وبرئ من الشرك، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنّه كان مؤمناً بالمرسلين))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ (سورة الصافات) في كل جمعة لم يزل محفوظاً من كل آفة، مدفوعاً عنه كل بلية في حياته الدنيا، مرزوقاً بأوسع ما يكون من الرزق، ولم يصبه الله في ماله ولا ولده ولا بدنه بسوء من شيطان رجيم ولا من جبار عنيد، وإن مات في يومه أو في ليلته بعثه الله شهيداً وأدخله الجنّة مع الشهداء))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا

---

(١) الكشف والبيان ج٨: ١٣٨.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٢.

﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠﴾

قرئ بإدغام التاء في الصاد، وفي الزاي، وفي الذال، والأكثر الإظهار.

أقسم الله سبحانه بالملائكة تصفّ صفوفاً في السماء، أو تصفّ أقدامها في الصلاة كما يصفّ المؤمنون، أو أجنحتها في الهواء منتظرة لأمر الله؛ وبالملائكة التي تزجر الخلق عن المعاصي زجراً، أو تزجر السحاب وتسوقها. وقيل: هي آيات القرآن الزاجرة عن القبائح[١]. والتاليات: الملائكة تتلو كتاب الله الذي كتبه لها وفيه ذكر الحوادث، فتزداد يقيناً بوجود المخبر على وفق الخبر، وقيل: هي نفوس العلماء العمال[٢].

﴿الصَّافَّاتِ﴾ أقدامها في التهجّد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات.

﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾ بالمواعظ والنصائح.

﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾ آيات الله الدارسات شرائعه.

وقيل: هي نفوس الغزاة في سبيل الله التي تصفّ الصفوف، وتزجر الخيل للجهاد، وتتلو الذكر مع ذلك لا يشغلها عنه تلك الشواغل، كما يحكى عن عليّ عليه السلام[٣].

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو خبر بعد خبر.

﴿وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ مشارق الشمس: مطالعها، تطلع كل يوم من مشرق

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج٢٣: ٢٣.

(٢) الكشاف ج٤: ٣٣.

(٣) الكشاف ج٤: ٣٤.

وتغرب من مغرب، وخصّ المشارق بالذكر لأنّ الشروق قبل الغروب.

﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: القربى منكم.

﴿بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ الزينة مصدر كالنسبة، أو اسم لما يزان به الشيء، كالليقة اسم لما يلاق به الدواة، وإن أردت المصدر فهي مضافة إلى الفاعل، أي: بأن زانتها الكواكب، وأصله: بزينة الكواكب، أو إلى المفعول أي: بأن زان الله الكواكب وحسّنها لأنّها إنّما زيّنت السماء لحسنها في ذواتها، وأصله: بزينة الكواكب وهي قراءة أبي بكر بن عياش[1]. وإن أردت الاسم فللإضافة وجهان: أن تقع بياناً للزينة، لأنّ الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به؛ وأن يراد ما زينت به الكواكب، وجاء عن ابن عباس: (بزينة الكواكب: بضوء الكواكب)[2].

ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة، كشكل بنات نعش والثريا وغير ذلك من مسائرها ومطالعها، وقرئ على هذا المعنى ﴿بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ بتنوين زينة وجر الكواكب على الإبدال، ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلاً من محلّ بزينة.

﴿وَحِفۡظًا﴾ محمول على المعنى، لأنّ معناه: خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً من الشياطين، كما قال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾[3]. ويجوز تقدير فعل معلل به، أي: وحفظاً من كل شيطان زيّناها بالكواكب، وقيل: حفظناها حفظاً من كل شيطان[4].

(١) أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الحناط الاسدي النهشلي الكوفي، اختلف في اسمه، ولد سنة ٩٥هـ وقطع الاقراء قبل موته بسبع سنين، مات سنة ١٩٣هـ وقيل سنة ١٩٤هـ. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج١: ٣٢٥.

(٢) الكشف والبيان ج٨: ١٤٠.

(٣) الملك: ٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٢٩٨.

﴿مَّارِدٍ﴾ خارج من الطاعة متملس منها.

والضمير في ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ لـ﴿كُلِّ شَيْطَٰنٍ﴾، لأنّه في معنى الشياطين، وقرئ بالتخفيف والتشديد، وأصله يتسمعون، والتسمع: طلب السماع، يقال: تسمع فسمع أو فلم يسمع، وهو كلام منقطع مما قبله فيه اقتصاص حال المسترقة للسمع، وأنّهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا إليه.

وهم مقذفون ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ من جوانب السماء بالشهب، مدحورون عن ذلك أي: مدفوعون بالعنف مطرودون ﴿وَلَهُمْ﴾ مع ذلك ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي: دائم يوم القيامة.

﴿إِلَّا مَنْ﴾ أمهل حتى ﴿خَطِفَ﴾ خطفة، أو استرق استراقة، فعندها يعاجله الهلاك بإتباع الشهاب الثاقب وهو النيّر المضيء، والفرق بين قولك: سمعت فلاناً يتحدّث، وسمعت إليه يتحدّث، أنّ المعدّى بنفسه يفيد الإدراك، والمعدّى بـ(إلى) يفيد الإصغاء مع الإدراك.

و﴿ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الملائكة، لأنّهم يسكنون السماوات، والإنس والجن الملأ الأسفل لأنّهم سكان الأرض، وعن ابن عباس: (هم أشراف الملائكة)[١]، وعنه: (الكتبة من الملائكة)[٢].

و﴿دُحُورًا﴾ في موضع الحال، أي: مدحورين، أو مفعول له أي: يقذفون للدحور، و﴿مَنْ خَطِفَ﴾ مرفوع الموضع بدل من الواو في ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ أي: لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي خطف الخطفة.

(١) الكشاف ج٤: ٣٦.

(٢) الكشاف ج٤: ٣٦.

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ
١١ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ١٢ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ١٣ وَإِذَا
رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ١٤ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ١٥ أَءِذَا مِتۡنَا
وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧ قُلۡ نَعَمۡ
وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ١٩ وَقَالُواْ
يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ
٢١ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ
ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤ مَا
لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ٢٦﴾

أي: فاستخبرهم ﴿أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا﴾ أي: أقوى خلقاً وأصعب خلقاً ﴿أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآ﴾ [من الملائكة والسماوات والأرض والكواكب، وغلّب ما يعقل فقال: ﴿أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآ﴾](١).

﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ يعني: آدمعليه السلام، فإنّهم نسله وذريته، واللازب: الملتصق من الطين الحر، وهذه شهادة عليهم بالضعف والرخاوة، لأنّ ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة.

﴿بَلۡ عَجِبۡتَ﴾ من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث، أو عجبت من تكذيبهم إيّاك وهم يسخرون من تعجبك، وقرئ: بل عَجِبْتُ وهو قراءة عليّعليه السلام وابن عباس، ومعناه: بلغ من كثرة آياتي وعظم مخلوقاتي أن عجبت من إنكارهم البعث ممن هذه أفعاله، وهم يسخرون ممن يصفني بالقدرة على البعث، ويكون العجب المسند إلى الله تعالى بمعنى الاستعظام. وقد جاء في

(١) ساقطة من ج.

الحديث: ((عجب ربّكم من إلّكم وقنوطكم وسرعة إجابته إيّاكم))[١]. وقيل: معناه: قل يا محمّد: بل عجبت[٢].

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟﴾ أي: خوّفوا بالله ووعظوا بالقرآن لا يتعظون.

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً﴾ من آيات الله معجزة كانشقاق القمر وغيره ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ أي: يبالغون في السخرية، أو يستدعي بعضهم بعضاً للسخرية، أو يعتقدونه سخرية كما يقال: استقبحه أي: اعتقده قبيحاً.

﴿أَوَءَابَآؤُنَا﴾ عطف على الضمير في ﴿مَبْعُوثُونَ﴾، وجوّز العطف عليه للفصل بهمزة الاستفهام، أو عطف على موضع (إنّ) واسمه، يعنون: إنّ آباءهم أقدم فبعثهم أبعد، وقرئ: أوَ آباؤنا ومثله في سورة الواقعة[٣].

﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تبعثون ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ صاغرون أشدّ الصغار.

و﴿إِنَّمَا﴾ جواب شرط مقدر، والتقدير: إذا كان ذلك فما هي إلا ﴿زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ أي: صيحة واحدة من إسرافيل وهي نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أحياء بصراء ﴿يَنظُرُونَ﴾ وهي ضمير مبهم لا يرجع إلى شيء ويوضحها خبرها، ويجوز أن يكون: فإنّما البعثة زجرة واحدة.

﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: ويقولون معترفين على نفوسهم بالمعصية ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ من العذاب ﴿هَٰذَا يَوْمُ﴾ الحساب أوالجزاء.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: القضاء بين الخلائق وتميّز الحقّ من الباطل ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ يقولون ذلك بعضهم لبعض، وقيل: هو كلام الملائكة

---

(١) غريب الحديث ج٢: ٢٦٩.

(٢) عن علي بن سليمان. إعراب القرآن ج٣: ٤١٣.

(٣) الآية: ٤٨.

جواباً لهم[١].

﴿ٱحۡشُرُواْ﴾ خطاب الله للملائكة، أو خطاب بعض الملائكة لبعض.

﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ أي: ضرباءهم وأشباههم من العصاة، أهل الزنا مع أهل الزنا، وأهل الخمر مع أهل الخمر، وقيل: وأزواجهم الكافرات[٢]، وقيل: وقرناءهم من الشياطين[٣].

﴿فَٱهۡدُوهُمۡ﴾ فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها.

﴿وَقِفُوهُمۡ﴾ واحبسوهم عن دخول النار ﴿إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ عما دعوا إليه من البدع، وقيل: عن أعمالهم وخطيئاتهم[٤]، وعن أبي سعيد الخدري وسعيد بن جبير: (عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام)[٥]. يقال: وقفت أنا، ووقفت غيري.

﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ هذا تهكّم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متناصرين.

﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾ قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله.

وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ
ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن
سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ
﴿٣١﴾ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ

---

(١) تفسير السمرقندي ج٣: ١٣١.

(٢) عن الحسن. معالم التنزيل ج٣: ٢٠٩.

(٣) عن الضحاك. معالم التنزيل ج٣: ٢٠٩.

(٤) عن عطية. الدر المنثور ج٥: ٢٧٣.

(٥) شواهد التنزيل ج٢: ١٠٧.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٤ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٧ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ٣٨ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ ٣٣

﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ يتعاتبون ويتلاومون، يقول الغاوي للذي أغواه: لِمَ أغويتني؟ ويقول ذلك المغوي له: لِمَ قبلت مني؟.

و﴿ٱلۡيَمِينِ﴾ مستعارة لجهة الخير وجانبه، ومعناه: إنّكم كنتم تأتوننا من قبل الدين فتروننا أنّ الحقّ والدين ما تضلوننا به، وقيل: إنّها مستعارة للقوة والقهر، لأنّ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش[1]، ومعناه: أنّكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر فتجبروننا على الضلال، فأجابوهم بأن قالوا: بل اللوم لازم لكم إذ لم يكن ﴿لَنَا عَلَيۡكُم﴾ قدرة نجبركم بها على الغي ﴿بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ﴾ متجاوزين الحد في الكفر.

﴿فَحَقَّ عَلَيۡنَا﴾ فلزمنا ﴿قَوۡلُ رَبِّنَآ﴾ ووعيده: بأنّا ذائقون لعذابه لا محالة، لعلمه بحالنا واستحقاقنا العقوبة، ولو حكى الوعيد كما هو لقال: إنّكم لذائقون، ولكنّه عدل به إلى لفظ المتكلّم لأنّهم متكلّمون بذلك عن أنفسهم، ونحوه قول الشاعر:

لَقَدْ زَعَمَتْ هَوَازِنُ قَلَّ مَالِي[2]

(١) معاني القرآن للفراء ج٢: ٣٨٤.

(٢) البيت لزيد بن الجهم الهلالي. الوافي بالوفيات ج١٥: ٢٣، وفيه: تساءلني هوازن أين مالي وما لي غير ما أنفقت مال.

ولو حكى قولها لقال: قلّ مالك.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي: فإنّ المتبوعين والتابعين جميعاً ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في ذلك اليوم ﴿مُشْتَرِكُونَ﴾ في العذاب والإهانة، كما كانوا مشتركين في الغواية.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: يأنفون من قول لا إله إلا الله، ويستخفون بمن يدعوهم إلى هذه المقالة.

﴿إِنَّكُمْ﴾ أيّها المشركون ﴿لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ على كفركم ونسبتكم رسول الله ﷺ إلى الشعر والجنون.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ مثل ما عملتم جزاء سيئاً بعمل سيئ.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع.

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ
﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ
﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى
كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ
فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا
نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا
مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ
﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾

حكم لهم سبحانه بالرزق المعلوم المقدّر، ثمّ فسّر ذلك الرزق بالفواكه، وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحّة. والمعنى: إنّ رزقهم كله فواكه، لأنّهم مستغنون عن حفظ الصحّة بالأقوات، إذ أجسامهم محكمة مخلوقة للأبد، فلا يأكلون ما يأكلون إلا للتلذذ، وقيل: معلوم الوقت، كقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[1].

﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ هو ما قاله الشيوخ[2] في حدّ الثواب: أنّه النفع المستحقّ المقارن للتعظيم والإجلال.

﴿مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ يستمتع بعضهم بالنظر إلى وجوه بعض، وهو أتمّ للأُنس والسرور.

﴿بِكَأْسٍ﴾ هو الإناء بما فيه من الشراب، وعن الأخفش: (كل كأس في القرآن فهي الخمر)[3].

﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من شراب جار في أنهار ظاهرة للعيون، وصف بما يوصف به الماء لأنّه يجري في الجنّة كما يجري الماء.

﴿بَيْضَآءَ﴾ صفة للكأس ﴿لَذَّةٍ﴾ هي تأنيث اللذ ووزنه فعل مثل: صب وطب، وقال يصف النوم:

وَلَـذٍّ كَطَعْـمِ الصَّرْخَـدِيِّ تَرَكْتُهُ ... بِأَرْضِ العِدَى مِنْ خَشْيَةِ الحَدَثَانِ[4]

أو وصفت باللذّة كأنّها نفس اللذّة وذاتها.

---

(١) مريم: ٦٢.

(٢) في هامش د: يعني شيوخ المعتزلة.

(٣) الكشف والبيان ج٨: ١٤٤.

(٤) أمالي القالي ج١: ٢١٠ دون نسبة وكذا في المصادر المتوفرة.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ لا يغتال عقولهم فتذهب بها، ولا يصيبهم منها وجع.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ من نزف الشارب: إذا ذهب عقله، ويقال للمطعون إذا خرج دمه كله: نزف فمات، وقرئ: ينزفون من أنزف الشارب: إذا ذهب عقله أو شرابه، ومعناه: صار ذا نزف، ومثله: أقشع السحاب وقشعته الريح، وأكب الرجل وكببته، وحقيقتها: دخلا في القشع والكب.

﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرين غيرهم، أو لا يفتحن أعينهن دلالاً.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ في الأداحي، وهو بيض النعام، والعرب تشبّه بها النساء وتسمّيهن ببيضات الخدور.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ معطوف على ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ والمعنى: يشربون فيتحادثون على الشراب فيقبل ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عما جرى عليهم ولهم في الدنيا، إلا أنّه جيء به ماضياً على عادة الله عزّ اسمه في إخباره.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ في دار الدنيا أي: صاحب يختص بي ﴿يَقُولُ﴾ لي على وجه الإنكار عليّ والتهجين لي: ﴿أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ بالبعث والحساب.

﴿لَمَدِينُونَ﴾ أي: لمجزيون، من الدين الذي هو الجزاء، أو لمسوسون مربوبون، من دانه إذا ساسه. وفي الحديث: ((الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت))[1].

﴿قَالَ﴾ أي: ذلك القائل لإخوانه في الجنّة: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ إلى النار

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ج٢: ١٤٣، كتاب الزهد والرقائق: ٥٦.

لأريكم ذلك القرين؟ وقيل: إنّ القائل هو الله تعالى[١]، وقيل: بعض الملائكة، يقال: طلع علينا فلان واطّلع وأطلع بمعنى واحد، عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ هو بعد ذلك فرأى قرينه ﴿فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ في وسطها.

﴿قَالَ﴾ له: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ﴾ إن هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة، أي: إنك كدت تهلكني بما قلته لي ودعوتني إليه ﴿وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي﴾ عليّ بالعصمة والتوفيق ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ الذين أحضروا العذاب معك في النار. والفاء عاطفة على محذوف تقديره: أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذّبين؟!. والمعنى: إنّ هذه حال المؤمنين أن لا يذوقوا إلا الموتة الأولى، بخلاف الكفار فإنّهم في آلام وغموم وأحوال يتمنّون فيها الموت كل ساعة، وإنّما يقوله المؤمن تحدّثاً بنعمة الله بمسمع من قرينه ليكون توبيخاً له، ويجوز أن يكون قولهم جميعاً.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ أي: إنّ هذا الأمر الذي نحن فيه، وقيل: هو من قول الله عزّ اسمه تقريراً لقولهم.

تمت قصّة المؤمن وقرينه.

أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ
﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ
رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٦٦﴾
ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ
﴿٦٨﴾ إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ﴿٧٠﴾

---

(١) الكشف والبيان ج٨: ١٤٥.

﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٧١ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ٧٢ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٧٤﴾

ثمّ عاد سبحانه إلى ذكر الرزق المعلوم فقال: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا﴾ أي: خير حاصلاً، وأصل النزل: الفضل والريع في الطعام، فاستعير للحاصل من الشيء، وحاصل الرزق المعلوم: اللذّة والسرور، وحاصل شجرة الزقوم: الألم والغم. و ﴿نُّزُلًا﴾ منصوب على التمييز أو الحال، والنزل: ما يقام للنازل بالمكان من الرزق. ومعنى الأوّل: إنّ للرزق المعلوم نزلاً، ولشجرة الزقوم نزلاً، فأيّهما خير نزلاً؟ ومعنى الثاني: إنّ الرزق المعلوم نزل أهل الجنّة، وشجرة الزقوم نزل أهل النار، فأيّهما خير في كونه نزلاً؟.

﴿فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ افتتنوا بها إذ كذّبوا بكونها، وقيل: عذاباً لهم[١]، من قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[٢].

والطلع يكون للنخلة، فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها، وشبّه برؤوس ﴿ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر، لأنّ الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس، وقيل: الشيطان: حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جداً[٣]، وقيل: إنّ شجراً يقال له: الأستن خشناً منتناً مرّاً منكر الصورة يسمّى ثمره: رؤوس الشياطين.

---

(١) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج٥: ٥١.

(٢) الذاريات: ١٣.

(٣) معاني القرآن للفراء ج٢: ٣٨٧.

﴿لَآكِلُونَ مِنۡهَا﴾ أي: من طلعها ﴿فَمَالِـُٔونَ﴾ بطونهم منه لشدّة ما يلحقهم من الجوع، فتغلي بطونهم ويعطشون فيسقون بعد ملي ما هو أحر، وهو الشراب المشوب بالحميم ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ﴾ بعد أكل الزقوم وشرب الحميم ﴿لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ﴾ وذلك أنّهم يوردون الحميم كما يورد الإبل الماء، ثمّ يردّون إلى الجحيم وهي النار المتوقدة.

﴿إِنَّهُمۡ﴾ صادفوا ﴿ءَابَآءَهُمۡ﴾ ذاهبين عن الحقّ، فهم يسرعون ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ ويتبعونهم اتباعاً، أي: ضلّ قبل هؤلاء الكفار عن طريق الهدى أكثر الأوّلين من الأمم الخالية، وفيه دلالة على أنّ أهل الحقّ في كل زمان كانوا أقل من أهل الباطل.

ولما ذكر إرسال المنذرين من الأنبياء والرسل، وسوء عاقبة المنذرين المكذبين عقّبه سبحانه بقصّة نوحعليه السلام ودعائه إيّاه حين يئس من قومه فقال:

وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾

أي: ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ نحن، واللام جواب قسم محذوف.

﴿هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ هم الذين بقوا وقد فني غيرهم، أو هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة، فالناس كلهم من ولد نوح، فالعرب والعجم من أولاد سام بن نوح، والسودان من أولاد حام بن نوح، والترك والخزر ويأجوج من أولاد يافث بن نوح.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ من الأمم هذه الكلمة وهي ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ أي: يسلّمون عليه تسليماً إلى يوم القيامة، وهو من الكلام المحكي.

ومعنى قوله: ﴿فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعاً.

وعلل مجازاة نوح بتلك الكرامة من تبقية الذكر، وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بأنّه كان محسناً، ثمّ علل كونه محسناً بأنّه كان عبداً من عباده ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ليريك جلالة محلّ الإيمان.

﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: ممن شايعه على أصول الدين، أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين، وتعلّق ﴿إِذْ﴾ بما في الشيعة من معنى المشايعة، أي: وإنّ ممن شايعه على دينه وتقواه حين ﴿جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ لإبراهيم، أو بمحذوف هو اذكر، ومعناه: حين أخلص لله قلبه من كل ما سواه، فلم يتعلّق بشيء غيره، فضرب المجيء مثلاً لذلك.

﴿إِفْكًا﴾ مفعول له، والتقدير: أتريدون آلهة من دون الله إفكاً؟! وإنّما قدّمه للعناية، وقدّم المفعول له على المفعول به لأنّه كان الأهم عنده أن يواجههم بأنّهم على إفك وباطل في شركهم. ويجوز أن يكون إفكاً مفعولاً به، أي: أتريدون إفكاً؟! ثمّ فسّر الإفك بقوله: آلهة من دون الله على أنّها إفك في نفسها، ويجوز أن يكون حالاً، أي: أتريدون آلهة من دون الله آفكين؟!.

﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ بمن هو الحقيق بالعبادة؟ لأنّ من كان ربّ العالمين استحقّ عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام. والمعنى: إنّه لا يقدر في ظن ولا وهم ما يصد عن عبادته، أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وقد عبدتم غيره؟.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾ في علم النجوم أو في كتابها أو في أحكامها، لأنّهم كانوا يتعاطون علم النجوم فأوهمهم أنّه استدلّ بأمارة في علم النجوم على أنّه يسقم ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: مشارف للسقم، وهو من معاريض الكلام، وإنّما نوى به أنّ من كان آخر أمره الموت سقيم. وروي عن الباقر والصادق عليهما السلام أنّهما قالا: ((والله ما كان سقيماً وما كذب))[1].

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ فأعرضوا عنه وتركوه وخرجوا إلى عيدهم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ فمال إلى أصنامهم في خفية.

﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ فأقبل عليهم يضربهم ﴿ضَرْبًا﴾، أو فراغ عليهم ضرباً بمعنى: ضارباً.

﴿بِٱلْيَمِينِ﴾ أي: ضرباً شديداً قوياً، لأنّ اليمين أقوى الجارحتين وأشدّهما، وقيل: بالقوة[2]، وقيل: بسبب الحلف[3] وهو قوله: ﴿وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾[4].

﴿فَأَقْبَلُوٓاْ﴾ بعد الفراغ من عيدهم إلى إبراهيم. قرئ: يزفون يسرعون، من

---

(١) الكافي ج٢: ٢١٧، ج٨: ٣٦٩.

(٢) معاني القرآن للفراء ج٢: ٣٨٤.

(٣) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج٥: ٥٧.

(٤) الأنبياء: ٥٧.

زفيف النعام، و﴿يَزِفُّونَ﴾ من أزف: إذا دخل في الزفيف، أو من أزفه إذا حمله على الزفيف، أي: يزف بعضهم بعضاً، ويزفون خفيفاً، من وزف يزف.

﴿قَالَ﴾ محتجاً عليهم: ﴿أَتَعْبُدُونَ﴾ ما تنحتونه بأيديكم.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ وخلق ما تعملونه من الأصنام، يقال: عمل النجار الباب والكرسي، وعمل الصائغ السوار والخاتم، والمراد: عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها، والأصنام جواهر وأشكال، فخالق جواهرها هو الله، وعاملو أشكالها مصوروها ومشكلوها بنحتهم.

و﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ترجمة عن قوله: ﴿مَا تَنْحِتُونَ﴾، و﴿مَا﴾ في: ﴿مَا تَنْحِتُونَ﴾ موصولة ولا مقال فيها، فالعدول بها عن أختها تعسف.

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا
فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ
﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ
﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي
أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي
إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾
وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾
كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾
وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ
إِسْحَاقَ ۚ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

لما لزمته الحجّة ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا﴾ وعن ابن عباس: (بنوا حائطاً من الحجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، [وعرضه عشرون ذراعاً][1]، وملؤوه ناراً وألقوه فيها)[2].

﴿فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ بأن أهلكناهم ونجّيناه وسلّمناه.

﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ أي: مهاجر إلى حيث أمرني ربّي بالمهاجرة إليه من أرض الشام.

أي ﴿رَبِّ هَبْ لِى﴾ بعض ﴿ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ يريد الولد، لأنّ لفظ الهبة على الولد أغلب وإن كان قد جاء في الأخ حيث قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ﴾[3]، قال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾[4]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾[5].

﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ﴾ اشتملت البشارة على أنّ الولد ذكر، وأنّه يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم، وأيّ حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ ثمّ استسلم لذلك معه.

بيان: كأنّه لما قال: ﴿بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ أي: الحدّ الذي يقدر فيه على السعي، قيل: مع من؟ قال: مع أبيه، وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة، أتي في المنام فقيل له: اذبح ابنك، ورؤيا الأنبياء وحيّ فلهذا قال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ والأولى أن يكون قد أوحي إليه في حال اليقظة، وتعبّد بأن يمضي ما يؤمر به في

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج٣: ١٠٣.

(٣) مريم: ٥٣.

(٤) الأنبياء: ٩٠.

(٥) الأنعام: ٨٤.

حال النوم.

﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾ أو أي شيء ترى من الرأي، فيكون ﴿مَاذَا﴾ في موضع نصب بمنزلة اسم واحد، وعلى الأوّل يكون ذا بمعنى الذي، أي: ما الذي تبصره من رأيك؟ وما مبتدأ، والموصول مع صلته خبره، وقرئ: ماذا تري بضم التاء وكسر الراء، معناه: أجلداً تري على ما تحمل عليه أم خوراً؟.

﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾ أي: ما تؤمر به، فحذف الجار كما حذف من قولهم:

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ[(١)]

أو أمرك على إضافة المصدر إلى المفعول، وتسمية المأمور به أمراً.

وقرأ عليّ عليه السلام وابن عباس: سلما، يقال: سلم لأمر الله وأسلم واستسلم: إذا انقاد وخضع، وحقيقة معناه: أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وخالصة. وعن قتادة في ﴿أَسۡلَمَا﴾: (أسلم هذا ابنه، وهذا نفسه)[(٢)].

وجواب (لما) محذوف، وتقديره: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾ كان ما كان مما لا يحيط به الوصف من شكرهما لله على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله، وما فازا به من رضوان الله واكتساب الثواب والأعواض الجليلة. والتل: الصرع، يقال: وضع جبينه على الأرض لئلا يرى وجهه فتلحقه رقة الآباء.

﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾ أي: فعلت ما أمرت به في الرؤيا.

وقوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ فيه تعليل لتخويل ما خولهما الله من

(١) ديوان العباس بن مرداس السلمي: ٣١، وبقيته: فقد تركتك ذا مال وذا نشب.

(٢) تفسير الطبري ج٢٣: ٥٠.

الفرج بعد الشدّة.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: الامتحان الظاهر والمحنة الصعبة التي لا محنة أصعب منها، أو الاختبار البيّن الذي يتميّز فيه المخلصون من غيرهم.

﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ﴾ وهو المهيأ لأن يذبح.

﴿عَظِيمٍ﴾ ضخم الجثة سمين، والمفتدى منه هو الله عزّوجل لأنّه الآمر بالذبح، والفادي هو إبراهيم عليه السلام، وهب الله سبحانه له الكبش ليفدي به. وإنّما قال: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ إسناداً للفداء إلى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته.

واختلف في الذبيح على قولين: أحدهما: أنّه إسحاق، والأظهر في الروايات[1] أنّه إسماعيل، ويعضده قول النبيّ صلى الله عليه وآله: ((أنا ابن الذبيحين))[2] وكذلك قوله سبحانه بعد قصّة الذبح: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ولا بد من تقدير مضاف محذوف، أي: بوجود إسحاق، و﴿نَبِيًّا﴾ حال مقدّرة. والمعنى: بأن يوجد مقدّرة نبوّته، والعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة، فيكون نظير قوله: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[3].

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [حال ثانية وردت على سبيل الثناء والتقريظ، لأنّ كل نبيّ لابد أن يكون من الصالحين][4].

﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ أي: جعلنا ما أعطيناهما من الخير دائم البركة ثابتاً نامياً، ويجوز أن يكون المراد كثرة ولدهما وبقاءهم قرناً بعد قرن إلى وقت قيام

---

(١) في ب: الأقوال.

(٢) الخصال: ٥٦، المستدرك على الصحيحين ج٢: ٥٥٩.

(٣) الزمر: ٧٣.

(٤) ساقطة من ج.

الساعة.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا
مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾
وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ
﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ تسخير قوم فرعون إيّاهم، واستعمالهم في الأعمال الشاقة.

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ الضمير لهما ولقومهما في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ البليغ في بيانه وهو التوراة.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾
أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ
ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ
ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ
﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

اختلف في ﴿إِلْيَاسَ﴾ فقيل: هو إدريس النبيّ[1]، وقيل: هو من بني إسرائيل من ولد هارون بن عمران ابن عم اليسع[2]، وقيل: إنّه استخلف اليسع على بني

(١) عن ابن مسعود وغيره. الدر المنثور ج٥: ٢٨٥.

(٢) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج٨: ١٥٨.

إسرائيل ورفعه الله تعالى وكساه الريش فصار إنسياً ملكياً وأرضياً سماوياً[١]، وقيل: إنّ إلياس صاحب البراري، والخضر صاحب الجزائر، ويجتمعان كل يوم عرفة بعرفات[٢].

وبعل: صنم لهم كانوا يعبدونه.

وقرئ: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ﴾ بالرفع على الابتداء، وبالنصب على البدل.

﴿فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾ للحساب أو في العذاب أو النار. واستثنى من جملة قومه الذين أخلصوا عبادتهم لله.

وقرئ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ على أنّه لغة في إلياس، وقرأ ابن مسعود والأعمش[٣]: وإنّ إدريس وعلى إدراسين، ولعل لزيادة الياء والنون معنى في السريانية، ولو كان جمعاً ـ كما قيل ـ لعرّف بالألف واللام، وقرئ: على آل ياسين ووجد في المصحف مفصولاً من ياسين، وفي فصله منه دلالة على أنّ آل [هو الذي تصغيره أهيل، قاله أبو علي الفارسي[٤]. وعن ابن عباس: (آل][٥] ياسين: آل محمّد، وياسين اسم من أسمائه)[٦].

---

(١) الكشف والبيان ج٨: ١٦٧.

(٢) الكشف والبيان ج٨: ١٦٧.

(٣) سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي، ولد سنة ٦٠هـ، توفي سنة ١٤٨هـ. ينظر غاية النهاية في طبقات القراء ج١: ٣١٥.

(٤) الحجة في علل القراءات السبع ج٤: ٢٢٩.

(٥) ساقطة من ب.

(٦) معاني الأخبار: ١٢١، معجم الطبراني الكبير ج١١: ٥٦.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ
عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ
لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ
فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ
أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿لَتَمُرُّونَ﴾ على منازلهم في متاجركم إلى الشام.

﴿مُّصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح ﴿وَبِٱلَّيْلِ﴾ عطف عليه، أي: وممسين

﴿أَفَلَا﴾ تعتبرون بها.

﴿إِذْ أَبَقَ﴾ أي: هرب من قومه إلى السفينة المملوءة من الناس والأحمال خوفاً من أن ينزل العذاب بهم وهو مقيم فيهم.

﴿فَسَاهَمَ﴾ القوم أي: قارعهم.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ أي: من المغلوبين المقروعين، والمراد: من الملقين في البحر.

﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ أي: ابتلعه.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ داخل في الملامة على خروجه من بين قومه بغير أمر ربّه.

﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح والتقديس.

﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ﴾ حياً ﴿إِلَىٰ يَوْمِ﴾ البعث، وعن قتادة: (لكان بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة)[1].

﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾ فطرحناه بالعراء، وهو المكان الخالي الذي لا نبت فيه ولا شجر ﴿وَهُوَ﴾ مريض.

واليقطين: كل نبت ينبسط على وجه الأرض ولا ساق له كشجر البطيخ والقثاء، وهو يفعيل من قطن بالمكان: إذا أقام به، وقيل: هو القرع[2]، وفائدته أنّ الذباب لا يجتمع عنده، وقيل: هو التين، وقيل: هو شجرة الموز، تغطى بورقها، واستظل بأغصانها، وأفطر على ثمارها.

ومعنى ﴿أَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ﴾: أنبتناها فوقه كما يطنب البيت على الإنسان.

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ﴾ عن قتادة: (أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل)[3].

﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ في مرأى الناظر، إذا رآهم الرائي قال: هي مائة ألف أو أكثر. وقرأ الصادق عليه السلام: ويزيدون فآمنوا وأنابوا[4].

﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ﴾ إلى انقضاء آجالهم، يحتمل أن يكون أرسل إلى قوم بعد قومه، ويجوز أن يكون أرسل إلى الأوّلين.

---

(١) تفسير الطبري ج٢٣: ٦٥.

(٢) عن ابن مسعود وغيره. تفسير الطبري ج٢٣: ٦٦.

(٣) الدر المنثور ج٥: ٢٩١.

(٤) في ب: وتابوا.

فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ
لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ
عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ
سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ
وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ معطوف على مثله في السورة[1] وإن تباعد ما بينهما.

أمر الله رسوله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أوّلاً، ثمّ ساق الكلام موصولاً بعضه ببعض، ثمّ أمره باستفتائهم عن وجه القسمة التي قسّموها ضيزى حيث جعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور في قولهم: الملائكة بنات الله مع كراهتهم لهن ووأدهم إيّاهن.

﴿أَمۡ خَلَقۡنَا﴾ بل أخلقنا ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ﴾ حاضرون خلقنا إيّاهم، أي: كيف جعلوهم إناثاً ولم يشهدوا. ولقد ارتكبوا ثلاثة أنواع من الكفر في ذلك:

أحدها: التجسيم، لأنّ الولادة مختصة بالأجسام.

والثاني: تفضيل أنفسهم على ربّهم حيث اختاروا البنين لأنفسهم والبنات لله.

والثالث: أنّهم استهانوا بالملائكة حيث أنثوهم.

---

(١) الآية: ١١.

﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ﴾ دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل، ونحوه قول ذي الرمة:

أَسْتَحْدَثَ الرَّكْبُ عَنْ أَشْيَاعِهِمْ خَبَراً   أَمْ رَاجَعَ القَلْبَ مِنْ أَطْرَابِهِ طَرَبُ[1]

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ لله بالبنات ولأنفسكم بالبنين ﴿أَفَلَا﴾ تنتهون عن مثل هذا القول.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ﴾ أي: حجّة نزلت عليكم من السماء بأنّ الملائكة بنات الله ﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ الذي أنزل عليكم في ذلك.

﴿وَجَعَلُواْ﴾ بين الله ﴿وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ وهو زعمهم أنّ الملائكة بنات الله، فأثبتوا بذلك جنسية جامعة له وللملائكة، وسمّوا: جنّة لاستتارهم عن العيون، وقيل: هو قول الزنادقة: إنّ الله خالق الخير، وإبليس خالق الشرّ[2].

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾ أي: الملائكة ﴿إِنَّهُمْ﴾ في ذلك كاذبون.

﴿مُحْضَرُونَ﴾ النار معذّبون بما يقولون. ثمّ نزّه سبحانه نفسه عما وصفوه به.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ استثناء منقطع من الواو في ﴿يَصِفُونَ﴾ أي: يصفه هؤلاء بذلك، ولكن ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ براء من أن يصفوه به.

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ
﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾
لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ

---

(١) ديوان شعر ذي الرمة: ١.

(٢) عن الكلبي. تفسير الماوردي ج٥: ٧٠.

سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا
لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾
أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ
﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾
سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ
﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ لله عزّ اسمه، والمعنى: فإنّكم ومعبوديكم ﴿مَآ أَنتُمْ﴾ وهم جميعاً ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ على الله، أي: لستم تفتنون على الله أحداً بإغوائكم واستهزائكم، من قولك: فتن فلان على فلان امرأته إذا أفسدها عليه.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: إلا من سبق في علم الله أنّه يستوجب صلي الجحيم بسوء أعماله.

ويحتمل أن يكون الواو في ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ بمعنى: مع، فيجوز السكوت على: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾، كما يجوز السكوت على قولك: كل رجل وضيعته، فيكون المعنى: فإنّكم مع معبوديكم، أي: فإنّكم قرناؤهم. والضمير في (عليه) لـ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، أي: فما أنتم على ما تعبدون ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ بباعثين، أو حاملين على طريق الفتنة والإضلال ﴿إِلَّا مَنْ﴾ يصلى ﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ بسوء اختياره، ويحترق بها مثلكم.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي: وما منا ملك، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، كقوله:

أَنَـا ابْـنُ جَـلَا وَطَـلَّاعِ الثَّنَايَـا[1]

---

(١) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي. الأصمعيات: ٣، وبقيته: متى أضع العمامة تعرفوني.

أي: مقام معلوم في السموات يعبد الله فيه، أو مقام في العبادة والانتهاء إلى أمر الله لا يتجاوز ما أمر به ورتب له، كما روي: ((فمنهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافّون لا يتزايلون))[١].

﴿لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ نصفّ أقدامنا في الصلاة، أو أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين، أو في الهواء منتظرين أمر الله، وقيل: إنّ المسلمين إنّما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية[٢] وليس يصطف أحد من أهل الملل في صلاتهم غير المسلمين. و﴿ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾: المصلّون، أو المنزّهون.

(إن) هي المخففة من الثقيلة، وهم مشركو قريش كانوا يقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾ كتاباً ﴿مِّنَ﴾ كتب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الذين نزل عليهم التوراة أو الإنجيل، لأخلصنا العبادة لله، ولما خالفنا كما خالفوا، فجاءهم الذكر الذي هو سيّد الأذكار، وهو المعجز من بين الكتب ﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

الكلمة هي قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ سمّاها كلمة وإن كانت كلمات عدّة؛ لأنّها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة. وهم في: ﴿لَهُمُ﴾ فصل، والمراد: الوعد بعلوّهم على عدوهم في الدنيا، وعلوّهم عليهم في الآخرة.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ وأغض على قذاهم واصبر على أذاهم.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى مدة يسيرة هي مدة الكف عن القتال.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ وما يقضى عليهم من القتل والأسر عاجلاً، والعذاب الأليم آجلاً ﴿فَسَوْفَ﴾ يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد اليوم والثواب

---

(١) نهج البلاغة: ٢٨.

(٢) عن ابن جريج وغيره. الدر المنثور ج٥: ٢٩٣.

والنعيم غداً. والمراد بالأمر بإبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدالة [على أنّها كائنة][(١)] لا محالة، قريبة الوقوع كأنّها قدام ناظريك، وفي ذلك تسلية له صلوات الله عليه وآله.

وكانت العرب تفاجئ أعداءها بالغارة صباحاً، فخرج الكلام على عادتهم، فكأنّ العذاب الذي ينزل بساحتهم جيش نزل بساحتهم فشنّ عليهم الغارة، ولأنّ الله سبحانه أجرى العادة بتعذيب الأمم وقت الصباح، كما قال: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾[(٢)].

والمعنى: ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ صباحهم.

وإنّما كرر قوله: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ ليكون تسلية على تسلية، وتأكيداً لحصول الوعد على تأكيد، وقيل: أريد بأحدهما الدنيا وبالآخر الآخرة. وفي قوله: ﴿أَبْصِرْ﴾، و﴿يُبْصِرُونَ﴾ من غير تقييد بالمفعول فائدة زائدة، أي: ما لا يحيط به الوصف من ضروب المسرّة لك، وأنواع المساءة لهم.

﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ أضاف الربّ إلى العزّة لاختصاصه بها، كأنّه قال: ذو العزّة، أو لأنّه لا عزّة لأحد إلا وهو مالكها، كما قال: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾[(٣)]. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ إلى آخر السورة))[(٤)].

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) هود: ٨١.

(٣) آل عمران: ٢٦.

(٤) الكشف والبيان ج٨: ١٧٤. وينظر: الكافي ج٢: ٤٩٦.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

سورة الحج ٥

سورة المؤمنون ٣٨

سورة النور ٦٧

سورة الفرقان ١٠٤

سورة الشعراء ١٣٣

سورة النمل ١٦٤

سورة القصص ١٩٨

سورة العنكبوت ٢٣٠

سورة الروم ٢٥٤

سورة لقمان ٢٧٥

سورة السجدة ٢٨٨

سورة الأحزاب ٢٩٩

سورة سبأ ٣٤٢

سورة فاطر ٣٦٨

سورة يس ٣٨٨

سورة الصافات ٤١٢

فهرس المحتويات ٤٤١